مختار القصص

بقلم

كامل كيلانى

مؤلف « قصص للأطفال » ، و« نظرات فى تاريخ الأدب الاندلسى »

وشارح « رسالة الغفران »

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى (١٩٢٩م .)

عُنيت بنشره (مكتبة الوفد) لصاحبها محمد محمود

بشارع الفلكى بباب اللوق بالقاهرة

دار العصور للطبع والنشر : بشارع الخليج المصرى بالظاهر : بمصر

مكتبة الوفد

ترسل قائمتها مجانًا خالصة

اجرة البريد

كتب مختلفة وروايات مستوفقة

بشارع الفلكي بجوار بوستة باب اللوق بمصر

ومجلات وصحف

أدوات كتابية. تجليد. حفر الكليشهات. وعمل أختام كاوتش بخطوط جميلة

فهرست

ص	
١	تصدير الناشر
٣	الأدب القصصى
٤	الاهداء
٥	المامة
٦	مقدمة
١٠	الساحرة
٣٠	سنية
٤١	الخواتم الثلاثة أو الديانات الثلاث
٤٦	الملك النجار
٥٥	جزيرة الرجاء
٦٤	إوز فلورنسا
٦٩	التهمة
٧٦	العجوز و تقويمه السنوى

ص	
٨٩	الفاجر ، كيف أصبح قديسا
١٠٣	عزيزة
١١١	اصلاح الغيور
١٢٠	الهتيكة
١٢٨	المصادفات
١٣٠	قسوة زوج غيور
١٣٦	تغفل مزدوج
١٤٢	نكبات الغيرة
١٥٢	المتردية
١٥٩	أكلة الفراريج
١٦٣	الحسناء
١٨٠	كيف برأت نفسها
١٩٣	المفاجأة

« انظر ص ١١٦ »

تصدير الناشر

اشتهر الأديب العبقرى الاستاذ كامل كيلانى بدراساته الجديدة للأدب العربى فضلا عن صيته الذائع كأعظم حجة بيننا فى أدب المتنبى والمعرى وابن الرومى ، فلما ظهرت آثار عنايته بالثقافة العصرية العربية والفرنجية على السواء أجذل قلوب مريديه العديدين واكتسب محبة الجم الغفير من القراء على اختلاف نزعاتهم .

وبين ما عنى به أديبنا الكبير الأدب القصصى ، وفي هذه المجموعة المختارة أمثلة حية شاهدة بحسن اختياره وصفاء أسلوبه ونذوقه التام للجمال الفنى . وليست هذه القصص غريبة عن معظم القراء المثقفين ، فقد كانت تظهر فى كبريات الصحف والمجلات العربية فيتهافت على مطالعتها الأدباء بشغف وافر ، وأخيرا اقترح أكثر من ناقد أن تجمع هذه القصص الممتازة فى كتاب ، ورددت هذا الاقتراح إحدى كبريات المجلات السورية ، فكان من حسن حظى ومن فخرى المبادرة الى تحقيق هذه الأمنية الجميلة .

ورجائى أن يرى حضرات الأدباء أنى لم أدخر وسعا فى إخراج الكتاب على أحسن صورة جديرة بمقامه الأدبى ، كما أؤمل أن أنال من إقبالهم ما شجعنى على الاستمرار فى اصدار أحسن المؤلفات العصرية القيمة ؟

محمد محمود

صاحب مكتبة الوفد

القاهرة أول أغسطس سنة ١٩٢٩

الأدب القصصى

إنَّ الحياةَ - اذا اعتبرتَ - روايةٌ ... فاستوحِ من قَصَصِ الحياةِ جمالاَ

وتَلَقَّ مارسمتْه ريشةُ (كاملٍ) ... ممَّا يُشوّق روعةً وكمالاَ

بالأمسِ كان مرنحاً أطفالَنا (١) ... واليومَ رنّحَ جُهْدُه الأبطالاَ

يَستخلص العظة الكريمةَ جوهراً ... ويجود مغتبطاً ، ولا يَتَعالَى

فترى التألُّقَ في حياةِ سطوره ... وترى الحياةَ بها تفيض جلالاَ

وتَشمُّ من عَبَقِ التَّفَنُّنِ نفحةً ... وتذوق من خَمْرِ البيانِ حَلالاَ

وترى التَّصَرُّفَ بالخوالدِ زادها ... خُلْداً ، وزاد مآلَها آمالاَ

يختار من قَصَصِ الورَى مُختارَها ... كالنَّحل تَعشق زهرَها العَسَّالاَ

فاذا أَقَلَّ فما تراك مُحَيِّراً ... وإذا أطال فما تقول أطالاَ

سيّان في إنعامِهِ إبداعُهُ ... مافات إكثارٌ له إقلالاَ

فاذا اغتبطتُ من اطّرادِ نشاطِهِ ... كالنور حين يزيدنا إقبالاَ

فلقد غدا الأَدَبُ الجديدُ بجهدِهِ ... كَلِفاً ، وصار بودِّه مختالاَ

أبو شادى

---

(١) اشارة الى كتابه « قصص للأطفال ».

الاهداء

أصدقائى الأوفياء :

الدكتور أحمد زكى أبا شادى ، العالم الفاضل والشاعر المتفنن

الأستاذ سيد ابراهيم ، الخطاط المبدع ، والأديب النابغ

الدكتور عبد الله عبد العزيز ، الطبيب البارع والشاعر المجيد

* * *

فيكم وجدت الصديق الذى وصفه « أبو تمام » بقوله — :

من لى بانسان إذا أغضبته وجهلت ، كان الحلم رد جوابه

و إذا طربت الى المدام ، شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغى للحديث بسمعه وبقلبه ، ولعله أدرى به

ولقد كنتم لى - وما تزالون - مثال الصديق الوفى والاخ البار الذى عناه القائل :-

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن - إذا ريب الزمان صدعك - شتت فيك شمله ليجمعك

* * *

أصدقائى الأوفياء :

لقد أعجبتكم هذه القصص و طلبتم الى نشرها ، فانا اهديها اليكم منتهزاً هذه المناسبة لتحيتكم و التنويه ببعض آثاركم الباهرة ؟

أول أغسطس سنة ١٩٢٨ كامل كيلانى

المقدمة

اخترت هذه القصص من كتب ثلاثة لى و هى :

(١) مختار قصص السينما

(٢) قصص مصرية

(٣) قصص بوكاتشو

وقد نشرت فى المجلات والصحف العربية ورأيت من اقبال القراء عليها ورضاهم عنها ما حبب الى نشرها .

ومرت الأيام والشهور وأنا أسوف فى ذلك ، ويلح على بعض أصدقائى -- الذين يحسنون الظن بى - فلا يجدون منى الا اعتذارا يتلوه اعتذار وما كان لهذا التسويف من سبب الا ضيق وقتى وازدحامه بالعمل .

* * *

على أننى أردت أن أوفق بين ما أشكوه من ضيق الوقت وما أرجوه من رضى أصدقائى ، فاخترت هذه القصص من تلك الكتب الثلاثة ، حتى تتاح لى فرصة طبعها جميعاً إن كان في الأجل بقية . . . .

كامل كيلانى

مُقدّمة

القصة أقرب الاشياء الى الطبيعة البشرية . فهى تكاد تكون وفطرة الانسان شيئاً واحداً . فللقبائل المتوحشة المستغرقة فى أحط ضروب البربرية قصصها وروايتها ، ومن حول أبطالها تتكون صور الميثولوجية التى نشأت منها نواة الأديان .

فى شمال الهند غار يقال له غار « امرنات » تملؤه الثلوج على الدوام صيفا وشتاء ، ويعتقد الهنود أن بوذا انقلب هنالك صخرة ثلجية ، وان من حول هذا الغار تجتمع الافاعى وتحدث أثناء الليل اصواتاً مروّعة تجن أى انسان وتقضى عليه فى الحال . فاذا اجتمعت هذه الخرافة الرهيبة مع وحشة المكان أحدثت فى النفس روعة يخيل الى الانسان معها أنه ماثل امام خالق الاكوان .

وكذلك اذا رجعت الى قصة الخلق البابلية ، التى اعتقد أنها نواة كل قصص الخلق التي تناثرت فى الكتب المقدسة قديما وحديثا ، او الى قصة الطوفان ، رأيت أن مدارها قصة اتخذها العقل الانسانى ذريعة الى التعبير عما لم يجد من العلم الى التعبير عنه سبيلا .

فالقصة ـ فى مدارها ونشأتها ـ لدى الحقيقة ـ عبارة عن تعبير أولى أو تعليل لحقائق أولية تدور من حول مغمضات الطبيعة أو حقيقة الوجود ، عجز الانسان عن تفسيرها بالعلم الثابت ، فلجأ الى القصة الخيالية ليقنع نهمة العقل فى التطلع الى معرفة الاسرار الكونية . فاذا عجز عن معرفة أسبابها فلا أقل من أن يمثل لهذه النهمة بقصة يخلقها من العدم خلقا ، ثم يمضى معتقداً أنها صحيحة

ثم يقدسها ، ثم يعبد صورها ، ثم أشخاصها . وما هى - لدى الحقيقة - الا من خلق الوهم والخيال ، وقائعَ وصوراً وأشخاصاً .

ولازمت القصة الانسان خلال ذلك الطور القصصى الذى عبد فيه الطبيعة بأشخاص ما فيها من الظواهر . اذ تمثل العلة الاولى طورا فى الكواكب وطوراً فى الاشجار أو الصخور وفى بقية الظواهر الاخرى . ثم ارتقى به الوهم الى تخيل ان العلة لا بد من ان تكون على مثال الانسان متخذاً من الصفات الانسانية صفات مكبرة يدمجها فيها ، فكانت الاصنام والنصب القائمة على صورة بشرية مكبرة تكبيراً يسعه الوهم وحده .

وتطورت الفكرة قليلا فكان التكثير ، بعد أن خلق الوهم الآلهة والآلهات . وكان لأهل بابل على ما أظن الحظ الأول فى خلق هذه الصور على ما نعرف من تاريخ الالواح البابلية الاشورية . وما نقصد بهذا الا أن أهل بابل كانوا أول من حدد الصور الميثولوجية تحديداً أخرجها من تصور أهل الوحشية الى تصور أهل المدنيات الأولى . ولو نظرت فى الصور الميثولوجية التى تصورها الواح بابل والصور التى راجت فى العصر اليونانى لما وجدت من فرق ، الا فرق الطبيعة اذ توسع من خيال البعض وتحد من خيال الآخرين .

وظهرت مع تقدم المدنية فكرة من القصص ، ان كانت جديدة ، الا أنها تتفق والقصص الميثولوجى من حيث الاصل والنشأة . فوضعت القصة الخيالية وكان مدارها ابطال حقيقيون ألبسهم الخيال ثوبا غير حقيقي ، فأرضى الانسان بها فطرته الاصلية التى جعلته اخضع للوهم منه الى الحقائق فى كل اطوار تاريخه منذ شب الفكر عن طوق الحيوانية .

وكان لفكرة الانسان الدينية خلال كل هذه الاطوار الاثر الفعال فى ان ينصرف عن النظر فى الحياة الانسانية باعتبارها التفاؤلى والتشاؤمى ، فدارت

القصة حول الخيال وحده وحول مقدساته التى اخترعها اختراعاً وأكب عليها اكبابا . كما كان للفكرة النصرانية القديمة التى ذاعت فى أوائل القرون الوسطى من ان القرن العاشر نهاية العالم، أثر أصرف الناس عن النظر فى الحياة باعتبارها شيئاً ذا قيمة . فكان المعتقد ان الارض والسماوات سوف تتبدلان بارض جديدة وسماوات جديدة ، لهما نظامهما الثابت المتفق وروح العدل الازلى . فلم يعر الانسان العلم باسرار الارض والسماء اى انتباه . وكان المعتقد بأن نهاية العالم تقترب وان الانسان سوف يبيد من فوق الارض فى الدقيقة التى يودع فيها القرن العاشر الوجود ، سبباً فى ان ينصرف الانسان عن الحياة الدنيا ليتخذ عدته للحياة الاخرى .

وأشرقت شمس القرن الحادى عشر ، فاذا الفلك يدور دورته واذا الأرض تخرج غلاتها واذا الطبيعة تلبس ثوبها البهيج البسام ، واذا الحياة كما كانت ملك الانسان وحده وله دون بقية الموجودات علوية او سفلية .

وكان للتطور الذى حدث بعد أن كذبت الاوهام الانسان فى فناء العالم ونهاية النوع البشرى ، آثار جلى . غير أنها لم تظهر فى ناحية من نواحى الابتكار الانسانى بقدر ما ظهرت فى القصص . فأكب الناس على الرواية جاعلين الانسان والحياة الانسانية مدارها ، ومن حول هذا المركز تدور القصة ، منذذلك الحين حتى اليوم على اختلاف فى الصورة والفكرة والاسلوب .

وليس من شأننا ان نتبسط فى الصور الادبية التى تقلب فيها القصص الحديث منذ القرن العاشر الى اليوم ، فان ذلك يملأ فراغا كبيراً . ولكن حسبنا ان نقول اننا اليوم احوج ما نكون الى قصص اساسه العلم ليعبر عن حقائق الحياة .

فاذا قرأت هذه القصص وغيرها مستهديا بنور هذه الحقائق كنت أقدر على الاستفادة منها ، منك اذا اخذت القصة على انها زخرف أو انها سلاح

تقتل به وقتك ، وتفنى به سأمك . بل اعتبران القصة جزء من الحياة ، وأن الحياة اصبحت بعد فناء الفكرة القديمة فى فناء العالم ملكا للانسان وحده .

ولاجرم اننا اذا استطعنا ان نثبت هذه الفكرة الجديدة فى نفوس القراء ، خطونا خطوة كبرى في تلك السبيل الجديدة التى مهدتها للامم الأخرى مطالب النشوء والارتقاء ، ومن أجل ذلك أرحب بجهود صديقي الأديب المتفنن الاستاذ كامل كيلانى وأرجو له التوفيق المستمر فى خدمة الأدب العربى والثقافة العصرية .

اسماعيل مظهر

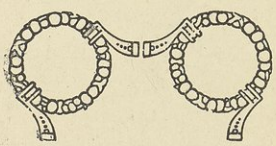

الساحرة (١)

« سيرسيه » « Circé »

تلخيص وتعليق

(تمهيد)

كانت الأميرة (سيرسيه) مصدراً من مصادر الوحى والالهام لكثير من شعراء اليونان القدماء وكثيراً ما افتنوا فى اطراء هذه الساحرة التي خلبت عقول عاشقيها بجمالها الفاتن وحسنها الباهر ، وقد عزت اليها الخرافات اليونانية وبحلتها الأساطير الاغريقية كثيراً من المميزات ، فروت عنها روايات غريبة نسقها التواتر وأبدعها الافتنان وروعة الخيال حتى جعلتها مضرباً من مضارب الامثال بما شهرتها به من قوة تأثيرها على العقول وشدة سلطانها فى استهوائها النفوس ، حتى زعموا أنه لم يكن فى عصرها من يستطيع الثبات أمام جمالها الفاتن ، مهما أوتى من قوة الارادة ومضاء العزيمة . فقد كان حسب البطل الكمى أو المتمرد الطاغى أن تسدد إلى قلبه نظرة واحدة من نظراتها الساحرة ، فتخور قواه وينقلب عزمه تردداً وقوته ضعفاً

وقد لاتقف معه عند هذا الحد بل تجعله حيواناً ذلولا بعد أن تسلب منه قوة ارادته ، وكثيراً ماسحرت عاشقيها والمفتونين بها خنازير بعد أن ردتهم أسرى شهواتهم وعبيد لذاتهم .

وقد كان جنود (عولس) ملك (ايتاك) من بين ضحاياها . فقد سحرتهم خنازير — كما سحرت غيرهم من قبل — أما (عولس) فتحدثنا عنه الاساطير أنه الشخص الوحيد الذى قاومها فنجح فى مقاومته وعجزت عن أن تنال

---

(١) من كتاب « مختار قصص السينما » .

منه بفنون سحرها ومكرها ؛ أو تلحق به أذى ؛ وقد سجلت له الاساطير الاغريقية هذا الفوز الخالد

خلاصة القصة

ذلك ماتحدثنا به الخرافات فى غابر الزمان وتنبئنا بحدوثه فى أقدم العصور.

ولما كان التاريخ — كما يقولون — يعيد نفسه والأيام لاتفتأ تكرر الحوادث المتماثلة بين حين وآخر — والمثل العربى يقول « ما أشبه الليلة بالبارحة ! » ، ولأمر ماقال القائل :

مامر في دنياك أمر معجب إلا أرتك لما مضى تمثالا

وقال فى مكان آخر:

. . . . . وهذه الليالى كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذى مرت به السنوات

حدث أن فتاة بارعة الحسن رائعة الجمال من بنات العصر الحالى ؛ طابق اسمها اسم (سيرسيه) ساحرة العصر الغابر ، ولم تكن لتقل عنها مقدرة وافتناناً ولا كان سحرها أقل من سحر تلك أثراً فى نفوس العاشقين .

كانت (سيرسيه) بطلة قصتنا الحديثة آية من آيات الابداع وسراً من أسرار الجمال ودمية فريدة من دمى الحسن ، يحار المتأمل فى جمالها ، ويتملك عليه كل نفسه فينسى كل شى غارقا فى تأمل محاسنها التى لاتنفد :

فى هوي مثلها يخف حليم راجح حلمه ويغوى رشيد

غادة زانها من الغصن قد ومن الظبي مقلتان وجيد

وزهاها من فرعها ومن الخد ين ذاك السواد والتوريد

فهى برد بخـــدها وسلام وهى للعاشقين جهد جهيد

ما لما تصطليه من وجنتيها غير ترشاف ريقها تبريد

مثل ذاك الرضاب أطفأ ذاك الـ وجد، لولا الأباء والتصريد

* * *

كذلك كانت (سيرسيه) الحديثة مصدر سحر وفتنة لمحبيها وعشاقها الكثيرين الذين كانوا لا يترددون لحظة فى تلبيه كل رغباتها سباقين إلى تنفيذ أية اشارة من اشاراتها طائعين فرحين ، فلو أمرتهم أن يلقوا بنفوسهم فى البحر لفعلوا أو يطرحوا بها فى هاوية لما أحجموا ، ولقد كانت ابتسامة من (سيرسيه) لعاشق كافية لاستهوائه وانتزاع ثروته -- بل روحه -- لو شاءت ، وكانت محاسنها متجددة ، وجمالها الفاتن يزداد سحره ويقوى سلطانه يوما بعد يوم

ليت شعرى إذا أدام اليها كرة الطرف مبدىء ومعيد
أهى شىء لا تسأم العين منه أم لها كل ساعة تجديد
بل هى العين لا يزال متى استع رض يملى غرائبا ويفيد

على أنها كانت - مع كل هذا - تحافظ على نفسها محافظة نادرة ولا تسمح لواحد من محبيها أيا كانت منزلته أن ينال منها أربا ؛ أو يقضى منها لبانة ، فقد كانت تضن على أعز عزيز منهم بقبلة واحدة يطفىء بها أواره أو ينقع بها غلته

وكان من بين أصدقائها ومحبيها الجراح (فان مرتيب) وهو طبيب فاضل ومثال نادر من أمثلة النزاهة والجد ونموذج فذ من نماذج الاستقامة والشرف، يقيم على مقربة من بيتها بحيث يستطيع بأدنى نظر أن يرى كل ما يحدث فى منزلها فى أكثر الأيام من حفلات الاستقبال الشائقة ومغازلات العاشقين ورقصهم المزرى.

ولقد كان يحب فى تلك الفتاة الجميلة قدها الممشوق وحسنها الساحر ومحاسنها التى افتنت في اظهارها وأبدعت فى تنسيقها القوة الالهية ، ولكنه كان

إلى هذا - يكره منها ذلك الاسفاف الشائن ويمقت فيها ذلك الاستهتار المزرى الذى تنحط اليه ، وكثيرا ما أمضه وأقلق باله أنها لاتصون جمالها عن الدنس وأنها تسيء إلى حسنها فلا تنزهه عن تلك الأرجاس التى انغمست فيها ؛ فقد كان يرى أن مثل جمالها الرائع جدير أن يتخذ وسيلة لتهذيب النفوس والتحليق بها في أجواء الطهر والعفة ، لا أن يتخذ وسيلة لأحط الدرك وأدنأ الغايات !

كان إذن يقدس جمالها بمقدار ما يسخط على حقارة نفسها وتدليها فى هذه الهوة السحيقة ، كان يرى فيها صورة ملاك ونفس شيطان ! كان يرى أمامه جمالا علوياً ونفسا سفلية مغمورة في القذارات والأرجاس فيتحسر ويحزن ويتألم

* * *

كان الدكتور جراحا منصرفاً إلى عمله معنيا بشئون مرضاه ، وكان - إلى ذلك - يزور (سيرسيه) أحيانا وربما تأخر عن زيارتها بسبب ما تتطلبه مهنته من الاهتمام بمرضاه والانصراف الى شئونهم ؛ وكانت (سيرسيه) تشعر بانعطاف اليه ، وتخصه باحترام نادر - من بين عشاقها الكثيرين - فتلتهب قلوبهم حسداً له وغيرة منه ، وكثيرا ما رأوا فيه منافساً خطراً ، فنفسوا عليه ما له من الحظوة ورمقوه بأعين شزر . ولم لا وهى تميل اليه دون أن يتقرب اليها وتفضله على خلانها وفيهم من جن بعشقها جنونا ، وفيهم من غمرها بهداياه الثمينة ، ومنهم من يشتري لها أنفس الحلى وينتقى لها أغلى الجواهر رغبة فى بلوغ رضاها ، ولكن أحدا منهم - رغم هذه الجهود - لم يبلغ شأو هذا الطبيب ولا استطاع اللحاق به فى هذا المضمار ، على أن (سيرسيه) نفسها لم تكن تخلو من نقمة على هذا الطبيب ، فقد كان يؤلمها أيضا ماتراه فيه من قلة الاكتراث بها وعدم الاهتمام بأمرها مع ما تبذله من

الجهد فى سبيل التأثير عليه ، وكانت لا تنى تستهويه بجمالها غير تاركة فرصة تسنح دون أن تنتهزها لعلها تصل إلى قلبه وتحرك بواعث الحب الكامنة فى نفسه

وفى ذات ليلة جمعتهما المائدة فى إحدى حفلاتها — وكان كرسيها إلى جانب كرسيه — فأمسكت بطرف رغيف ثم سألته أن يجذبه من طرفه الآخر فكان من قسمته الجزء الاكبر منه ، فالتفتت اليه باسمة وقالت : « أرى أن الجانب الاكبر من الرغيف وقع فى قسمتك ومعنى هذا فى لغة العرافة والتنجيم أنك ستحتمل بسببى هماً كثيرا » فلم يجبها الطبيب بأكثر من ابتسامة الساخر الهازىء الذى لا يعتقد بأمثال هذه الخرافات

* * *

انتهى العشاء وقامت ترتص مع خلانها الذين تسابقوا متنافسين فى اظهار حبهم لها بما قدموه بين يديها من الهدايا الفاخرة والحلى الثمينة ، ولقد كادوا يصطدمون معا فى ألف عراك ، كلما نظرت إلى هذا أغضبت ذاك ، وكلما ابتسمت لأحد عشاقها التهب قلب منافسه غيظا واشتعل فؤاده حقدا على ماناله منافسه من فوز ، وهى لا تفتأ تلطف من حقدهم بمهارتها ورشاقة حركاتها ملائمة بين أهوائهم المصطدمة بقوة ودهاء ولطف حيلة ، كما يلائم الملاح الماهر بين قوى الريح المتنافرة ويتخذ منها جميعا وسيلة إلى تسيير مركبه بين الزعازع والعواصف الهوجاء . ثم لم تلبث أن التفتت اليهم باسمة وقالت : « من أحبنى منكم فليتبعنى » ولم تكد تتم هذه الجملة حتى اندفعت إلى بركة من الماء كانت على مقربة منها فتبعها المتنافسون مندفعين الى البركة جميعا — إلا الطبيب — غير آبهين لملابسهم ولاملوين على شىء فى سبيل ارضائها والرضوخ لاشارتها ، ووصل اليها عاشقان فى وقت واحد وحاولا تقبيلها معا فلكز أحدهما الآخر بقوة فألقاه فى الماء ، وكرت الفتاة منفلتة بمثل سرعة البرق فافلتت من عشاقها هاربة ، وحانت منها التفاتة فرأت الطبيب واقفا إلى جانب الباب منتحيا ، وعليه

سيما الجد وأمارات الوقار ، فحيته باشارة خفيفة من عينها وهو واقف وقفة المتأمل الهازىء ثم سألته : لم لا يشارك عاشقيها فى لهوهم ومرحهم ؟ فاجابها ساخراً إنه أرفع من أن يشركهم فى مثل هذه الحماقات وأسمى من أن يقترف معهم هذه الدنيات ، مؤكدا لها أنه يحتقر (سيرسيه) ويمقت ألعابها أشد المقت . وانما أراد بذلك أن يشير إلى (سيرسيه) الساحرة اليونانية من طرف خفى فلم تدع (سيرسيه) بطلة قصتنا الحديثة هذه الفرصة تمر دون أن تنتفع بها فاجابته قائلة : « ولكن حذار أن تنسى أن سطوة (سيرسيه) قد حولت رفقاء «عولس» « خنازير » ، فيجيبها شامخاً بأنفه ، « بيد أنها عجزت أخيرا عن «عولس» نفسه لما أظهره من الحزامة والحكمة النادرة »

وهنا يفترقان .

وتجلس (سيرسيه) في مخدعها مفكرة مهمومة مستعيدة خلاصة مامر بها من الحوار مع الطبيب الجراح ، ثم يعن لها أن تتجمل بملابس بسيطة تعتقد أنها تعجبه لميله إلى البعد عن التكلف ، ولكنها تبدأ بمحادثته فى المسرة (التليفون) بعد أن تطلب خادمها النمرة المطلوبة ، ولا تكاد تبدأ الكلام مع الطبيب حتى يشتد بينهما اللجاج ، وتلقي بالسماعة مغضبة حانقة ،

أما حوارهما فقد كان مقتضباً جافا غاية فى الايجاز :

— : أليس من عادة أهل طبقتكم الرفيعة أن يحيوا الحاضرين قبل مغادرتهم ؟ ثم لماذا هربت ياسيدي الطبيب بمثل تلك السرعة ؟ لعلك خفت الانهزام ؟

— ربما كان ذلك

— ولكن قل لى لم هذا التجانف والكبر ؟

— لأنى لا أستطيع فهم أمثالك من النساء !

هنا ألقت بالسماعة مغضبة ، وظل قلبها يخفق خفقانا شديداً متداركا وينبض نبضات قوية ، وظلت تردد قول الطبيب متأثرة قائلة : « أمثالى من النساء »

« لا يفهم أمثالى من النساء » « يالله وهل أنا بدع في هذا العالم ! »

وإنها لتستسلم لهذه الافكار العابسة إذ تأخذ نظرها مذكرة حياتها اليومية التى أهملت تدوين الحوادث فيها منذ زمن بعيد ، تتناولها بيد متثاقلة ، ولا يكاد يقع نظرها عليها حتى تستعيد ذكرى حياتها الأولى ، فتقرأ فيها قصيدة محزنة تدعو إلى العبرة والعظة ، ترى نفسها وهى فتاة واقفة أمام الدير معجبة برؤية الراهبات فرحة بمنظرهن البهيج — وهن سائرات إلى حديقة الدير — فلا ترى أمنية وقتذاك أشهى ولا طلبة أعذب من أن يمن الله عليها فتصبح فى عدادهن وتندمج فى سلكهن ، ولا تلبث أن تلتفت اليها إحدى الراهبات مبتسمة ابتسامة المشجع لها على تنفيذ ما يساور رأسها من الأمانى والأحلام ، ثم تتبع أخواتها إلى الدير ، وإن فتاتنا لغارقة فى تصوراتها أمام باب الدير إذ لمحها شقى من أشقياء الانس ـ فى بدء العقد الثالث أو نهاية العقد الثانى من سنيه ـ يحمل على رأسه سلة خبز ، وقد بهر لبه جمال ساقيها العاريين ، فوقف يتأمل محاسنها مليا ثم تلفت يمنة ويسرة فلم ير فى الطريق أحدا . فشجعه ذلك على الاسترسال فى فكرته الخبيثة التى سولتها له نفسه ، فتقدم نحوها بخطوات ثابتة حتى أدناها منه ، ثم أمسك بذراعها يحاول تقبيلها وهو يقول لها : « ليس هذا الدير لمثل جمالك ـ فهلمى أيتها الملاك فقبليني » فدفعته عنها بعنف وشدة ـ بسبب الذعر الذى تملكها ـ فهوت سلة الخبز من فوق رأسه إلى الأرض وولت الفتاة هاربة ، فأسرع إلى اللحاق بها ، ثم أمسك يديها بقوة شديدة وجذب الفتاة نحوه فانجذبت مرغمة ، ثم أمسك بصدغيها بين يديه واغتصب منها قبلة ـ لمع لها جبينه وقطب لها جبين الفتاة ـ وعاد أدراجه وهو يترنح من الفوز وعادت الفتاة متخاذلة متثاقلة إلى بيتها ، فارتمت فى أحضان أمها حزينة كئيبة تلمس موضع العار من شفتيها ، كأنما تحاول أن تزيل ما علق بفيها من آثار القبلة !

* * *

وتظل تقلب أوراق مذكراتها فترى فى ثنايا صفحاتها ضعفها الشديد عن

تحقيق أمانيها وتقرأ ماسجلته على نفسها من اخفاقها التام فى الاندماج فى سلك الراهبات

وتقرأ صحيفة أخرى فتتمثل نفسها وهى تعمل في حانوت قصاب وإنها لتحسب دخل المحل إذ حانت من صاحبه التفاتة - وهو منهمك فى عمله والعرق يتصبب على جبينه ويتساقط من كل أنحاء وجهه - فرأى جمال الكاتبة فوقف يتملى بحسنها برهة ، ثم عن له مثل ماعن لصبى الفران من قبل ، فذهب ناحيتها حتى داناها ثم أمسك بذراعها اليسرى باحدى يديه - بينما كانت مستغرقة فى عملها - وقدم لها دجاجة بيده الأخرى ، وحاول أن يقبلها اغتصابا فدفعته عنها مغضبة ، وثم تملكه الغضب فكشر لها عن أنيابه وانقلبت سحنة وجهه ودمدم غيظا وحنقا ؛ ثم تركها قائلا : « لك أن تغادرى العمل اذا كنت لا أروقك » فخرجت من حانوته تتعثر فى أذيال الخيبة - وقد ظهرت آثار أصابع القصاب المتسخة على ذراعها اليسرى واضحة جلية .

وثم تلقى مذكراتها من يدها آسفة على ماجرته عليها الحياة من ويلات لم يكن لها قبل بدفعها ، ثم لا تلبث أن يتسرب العزاء إلى نفسها فتقول : « إن الحياة خدعة وأهلوها أشرار والمرأة بينهم ضحية ، ولست جديرة أن أناضل الناس بغير سلاحهم أو أعاملهم بغير معاملتهم ! »

* * *

ونرى - فى منظر آخر - الطبيب الجراح بين مرضاه فى حديقة القصر الذى اتخذه مصيفا له - وهو يواسى هذا ويطمئن ذاك ويشرك صغارهم فى ألعابهم ليرفه عنهم كثيرا من آلامهم ، وربما زلت قدمه فعثر أو اصطدم ببعض الصبية فبذل كل مافى وسعه لترضيه وإزالة مالحقه بسببه من الألم ، ثم لا يدعه حتى يرى ثغره باسما ووجهه متهللا ، وإنه لكذلك إذ تدخل (سيرسيه) متنكرة باسم غير اسمها فتنبئه الخادم أن سيدة مريضة بالباب تريد لقاءه فيأمر

بادخالها حجرة الاستراحة ، ولا يكاد يدخل حتى يجد (سيرسيه) أمامه فيغضب أشد الغضب إذ يتبينها و يعرف أنها هى ، و يسألها مستفسرا :

« ماذا دعاك أيتها السيدة إلى الدخول عندى متنكرة ؟ ألم يكن الأجدر بك أن تكونى صريحة وأن لا تلجئى إلى مثل هذه المواربة الممقوتة ؟» فتجيبه : « ولكننى أراك تتهرب منى دائما ، و إنى لعلى يقين من أنك كنت ترفض مقابلتى ممتنعاً كل الامتناع عن لقائى لو صرحت للخادم باسمى الحقيقى ، ومع ذلك فأنا مريضة أيها الطبيب؛ نعم مريضة جديرة بعنايتك لعلى أشفى من علتى » فيجيبها : « لا بل أنت تتمارضين »

وهنا تلوح منها التفاتة فترى على طاولة الطبيب إطارا فيه صورة فتاة جميلة فيلهب قلبها غيرة وحقدا وتسأله : « أهذه هى معشوقتك أيها السيد » فيقول « نعم هى خطيبتى وقد كنا على وشك الاقتران يوم اختطفها الموت منى » فلا تسمع الشطر الأول من جوابه حتى تكاد تصعق لولم يتداركها الله برحمته و يسرى عن نفسها تتمة الجواب فيزول من على صدرها كابوس ثقيل ، إذ تعلم أن منافستها قد انتقلت إلى العالم الثانى .

و يبدأ الطبيب بفحصها ولا يكاد يلمس يدها وصدرها حتى تشعر (سيرسيه) كانما قد ألهبت كهرباء الحب جسمها إلهاباً فتنتهد تنهد العاشقة المولهة و تلمس هاتين الناحيتين من جسمها اللتين لمسهما الطبيب بيده فيلتفت اليها مغضبا و يقول : « ثقى أيتها المرأة المستهترة أن هذه الحياة البليدة ستودي بك بعد قليل من الزمن » فاذا رأت ضراعتها له غير مجدية وألفت آمالها غير محققة عاودها الاباء والشمم فأجابته شامخة بأنفها : « ألا تعرف بماذا أجابت (سيرسيه) حبيبها (عولس) حين رفض حبها واحتقر عشقها ، لقد قالت له : « وداعا »

تعود أدراجها صاخبة متأججة القلب حقدا وغيظا عاقدة العزم على نسيانه - كلفها ذلك ما كلفها - وثم نراها فى حفلتها الراقصة التي أعدتها في منزلها

ودعت إليها ، أصدقاءها وعاشقيها وافتنت فى استحضار جالبات السرور اليها فأصبحت ردهة البيت حانة نادرة المثال وبدأت تعزف الموسيقى وتدور الأقداح وتترنح الأعطاف ، ويستمر الرقص ، فاذا ثمل أحد عاشقيها حاول الدنو منها فأقصته عنها اتصاء - بعد أن لكزته بيدها لكزة حطمت بها كل آماله - ثم تلعب الخمرة بالرءوس ويحمى وطيس الرقص فتلهب النفوس حتى يخرج الحاضرون عن أطوارهم وينسوا أدنى واجبات الحشمة وأقل مستلزمات الوقار ، فتركب « سيرسيه » واحدا من عشاقها - بعد أن وضع على وجهه وجه وحش — أقرب إلى أن يكون وجه خنزير — ويظلون كذلك منهمكين في رقصهم غارقين فى لهوهم ، حتى إذا لفتت هذه الجلبة الطبيب القريب من بيتها فتح نافذة طنفه ، فأطل منها على هذا المنظر الغريب فرأى « سيرسيه » المستهترة ، فاذا لاحت منها التفاتة اليه زادت انهماكا وأسرفت إسرافا لاحد له فى لهوها ، وظلت ترقص رقصاً عنيفا متداركا وقد وضعت على رأسها قبعة من قبعات الرجال ، فلم يقابل الطبيب هذه الحركات الطائشة بأكثر من إغلاق باب الطنف ليضع حدا لرؤية هذه المساخر.

هنا تشتعل نار الألم فى نفسها وتصهر جسمها من اليأس والفشل ، فتمعن فى الرقص ويمعن معها عشاقها فى الرقص فتتلاشى ذواتهم فى غمر اللهو الجارف وتخور قواها فترتمى على شاب وضىء الوجه من عشاقها المدلهين فيحاول تقبيلها فتمنعه ، فاذا شفه الوجد وشكا اليها حبه وهيامه هزئت به ساخرة ، فاذا قال لها : « إنى أعبدك وأراك أملى الحلو في هذه الحياة فكونى لى » أجابته « مه فليس يروقنى هذا الهراء ولا يعجبنى منك هذا الفصل البارد الذى تقوم بتمثيله بين يدي الآن » فيصعق قلب العاشق ويهم بالانتحار فتلوح من سيرسيه التفاتة فترى عشاقها يلعبون القمار .

وتسمع أحدهم يقول : « أراهن على ألف ريال » فتسرع إلى مشاركتهم

في المقامرة وتطلب الى العم جون أن يعطيها «شيكا» لتقامر بها ، فيقول لها المحامى العاشق : بل أنا أثق بكلامه فلا حاجة إلى كتابة « الشيك »

تبدأ فى المقامرة فتكسب فى الدور الاول ثم يحدوها الطمع إلى الاستمرار فتخسر ما كسبته ، فتتحمس لاستعاضة الخسارة التى لحقتها فتضاعف همتها وتشتد خسارتها فيزيدها ذلك تحمساً فتقامر على خمسين ألف ريال فتخسرها صفقة واحدة فيجن جنونها فتضع أمامها كل حلاها مقامرة عليها فيأبى نحس نجمها إلا أن تخسرها جميعاً . فتقول للمحامى قولة اليائس الذى أخرجه اليأس عن رشاده فأنساه مايقول : « إنى أقامر بمنزلى فاذا نجحت استعرت منك كل ما فقدته وان أخفقت أضفت منزلى إلى ماخسرته »

ويأبى سوء الحظ إلا ملازمتها إلى النهاية فتخسر فى المقامرة بيتها بعد أن خسرت قبله كل شىء .

* * *

طاحت أحلام (سيرسيه) فى الثروة كما طاحت آمالها فى الحب ، لقد كانت تبحث عن وسيلة لنسيان مالحقها من الخسارة والاخفاق فى الحب وتستعيض بها عن يأسها الشنيع فى استمالة حبيبها ، فأبى لها الشقاء إلا أن تخسر — إلى ما خسرته — كل ما كانت تملك من مال وحلى وعقار . بيد أنها هزئت فى هذه المرة بضربات الدهر القاسية بعد أن توالت عليها ، ووصلت إلى الحال التى عناها المتنبى بقوله

تكاثرت النصال على حتى فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت - إذا أصابتنى سهام - تكسرت النصال على النصال

فلجأت إلى الصبر معتصمة برزانة اليائس فقد كل شىء فلم يعد يبكى على شىء . واستبدلت قطوبها - مخفية ما اصابها من الكمد - بابتسامة انفرجت عنها شفتاها ولكنها تنم عن بائس قاتل ، ثم التفتت إلى الرابح قائلة : « لقد أصبحت الآن مالك ثروتى كلها ولم يعد لى فيها شىء ، فهل تتفضل بدعوتنا إلى العشاء فى هذه الليلة

احتفاء بمانالته من فوز وابتهاجا بما أحرزته من نجاح » فأجابها المحامى ملبياً طلبها الذى لم يكن يرى أشهى إلى نفسه وأعذب إلى قلبه من تلبيته ، ثم نصبت المائدة وصفت الكؤوس وبدأ المحامى يقدم لها الكأس الأولى مبتسما لها ابتسامة تجمع معنى شتى أهمها الفوز على عشيقته من طريق الثروة بعد أن هزمته أمامها في طريق الحب . وفى ابتسامته معنى من معانى الشعور بالغبطة والرضى بما أوصله اليه جده السعيد فأصبح أقدر من ذى قبل على تقديم الهدايا الفاخرة اليها وهى فى هذه الظروف القاسية ، بل قد صار فى مكنته أن يكشف عنها ما أصابها من الضنك المالى بعد أن كانت فى بحبوحة الرخاء . تناولت « سيرسيه » الكأس التى قدمها اليها ، وردت على ابتسامته بابتسامة الكمد المتكلفة فأسرع يسارها بقوله : « ثقي أن ثروتك لم تضع بعد ، وأن فى متناول يدك أن تستردها اذا شئت بأيسر الأثمان ، بثمن زهيد جداً لا يكلفك شيئاً يذكر » ولكنها لا تجيبه بشىء ، بل ترفع الكأس إلى شفتيها فتحتسى منها قليلا ثم تضغط على زجاجها بعنف فتحطم الكأس فى يمينها تحطيما وتدخل شظاياها فى راحة يدها فيسيل منها الدم غزيراً ؛ وهنا يجتمع حولها العشاق واجمين مستفسرين عن جلية الخطب ، ويسرع العم (جون) باستدعاء الطبيب الجراح فيحضر على عجل فاذا رأى الطبيب جرحها سألها : « أليس فى البيت أحد من النساء ؟ » فتجيبه : « كلا ليس فى البيت إلا خنازير (عوليس) » فيقول لها : « إنما وجهت اليك هذا السؤال لأنى سأضطر إلى ايلامك فتحملى آلام العلاج بصبر وجلد » فتجيبه رابطة الجأش غير مبالية بشىء : « هون عليك يادكتور ولا تقولن ذلك فلقد طالما تألمت وما كانت حياتى الا سلسلة مفرغة الحلقات من الآلام والاحزان » فاذا شرع فى علاجها قدم لها أحد عشاقها سيجاراً تناولته منه باسمة محيية ، فيزيد ذلك فى امتعاض الطبيب ، فاذا انتهى من العلاج ضمد جراحها ثم ربطها برباط طويل الى عنقها ، ولا يكاد ينتهى من عمله حتى يجد على

أسارير وجهها ألف معنى من معانى المغازلة ويتبين ما ترمى اليه تلك النظرات الفاتنة فينظر اليها عابسا ـ وهو يقول ـ : « يجدر بك أن تقلعى عن هذه المساخر وأن تضعى حداً حاسما لسيرك المعوج » فلا يكون لها من جواب على هذا القول إلا أن تسرع إلى احتساء كأس مترعة من الخمر وهى تهيب بأصحابها : اسمعوا ياسادة ، ها إنى أشرب تلك الكأس تحت نصيحة طبيبى الثمينة » ويجذبها إلى ناحيته أحد عشاقها فتبدأ معه الرقص كأنما تريد بذلك أن تهتاج نفس الطبيب أو تحرك فيها شيئاً من لواعج الحب أو تثير منه مكمنا من مكامن الغيرة ، ويحاول عاشقها تقبيلها فلا تمانع فى ذلك ممانعة جدية لتزيد بذلك استثارة الطبيب. على أنها تهيج بذلك عاشقاً آخر من عشاقها المدلهين ، فيتصدى لصاحبه ، ويريد المحامى أن يطرد الجميع من البيت الذي أصبح فى حوزته بحكم القانون ، وفي هذه الأثناء تنطلق رصاصة طائشة من يد عاشق آخر فينسون الهرج والمرج ويتملك الذعر نفس سيرسيه فتأخذها رعدة ، ويلتفت الطبيب إلى الحاضرين فزعا ناقما منهم هذه الاعمال الوحشية التى تبرأ منها الانسانية . نادبا انحطاط الأخلاق وارتكاس الآداب . ولا يكاد يخرج من هذه الحفلة السافلة . حتى يلتقي بها فى الحديقة فينظر اليها محتقراً ثم يسألها مقرعاً - وهو يغذ السير إلى داره - : «ألا تشعرين بمسؤليتك الجسيمة أزاء ما تقترفينه من هذه الشنع ؟ » ولا ينتظر منها جوابا . بل يواصل سيره مسرعاً ، يجلس الطبيب فى غرفته مفكرا فيما مر به من الحوادث العجيبة فى تلك الليلة النكراء : وانه ليجيل فكره في ذلك غارقاً فى تأمله . إذ يفتح باب غرفته فجأة وتدخل منه سيرسيه ، ولا يكاد يرفع بصره اليها حتى تبتدره قائلة : « ماذا تنقم منى ياسيدي الطبيب ؟ ثق أنك واهم فى ظنونك ؟ فانى لست . واثم الحق . ملومة على ما آتيه ، بل ليست لى يد فى كل ماحدث بسببى . لقد كونتنى الظروف القاسية تكويناً لم يكن لى فيه أي خيار ، وألقت به فى هذا الخضم

المائج بلا عتاد ، فلم أر بدا من السباحة فى تياره حتى لا يغرقنى إلى قراره .
ولقد رأيت الناس لا يحبون إلا هذا النوع السمج من الحياة الفاسدة فلم أحجم عن مشاركتهم فيما يحبون ! » فيجيبها الطبيب قائلا : « بل أنت واهمة فى تبرير عملك مخطئة أشنع الخطأ فى كل ما تلتمسينه لنفسك من الأعذار التى تحاولين بها تبرير ماتقترفين من إثم ، وفى إقناع نفسك بأنك غير مسئولة عما تجنيه يداك من الجرائم الشنعاء ! ألا فلتعلمى أيتها السيدة أن أمثالك من النساء قوى هائلة فى هذا الوجود مدمرات كل مايحيط بهن بلا رحمة ولا شفقة . وها أنت ذي لا تفتئين دائبة على إيقاظ أسفل الغرائز الانسانية ، وأحقر النزعات البشرية فى نفوس خلطائك . ولو أن هذه القوى الهائلة قد وجهت إلى الخير لأتت بأحمد النتائج الباهرة .

فتجيبه سيرسيه ضارعة :

« آه يا سيدى الطبيب ، لشد ما أخطأت فهمى وأسرفت فى إساءة الظن بى ، وماذا يعنيك إن كنت قد أصبت أو أخطأت ؟ وليس هذا بضائرك . يالله ! ألم تفطن بعد إلى ما يجنه لك قلبى مما ذا ، آه من الحب ، نعم من الحب ، ثق أننى أحبك ، أحبك ، أحبك ! »

فاذا سمع منها الطبيب هذه المناجاة لم يعبأ بها - وكأنما كانت نجواها إلى سواه - فأشعل سيجارته والتفت اليها التفاتة الهادئ وأجابها ساخراً - وهو يتباطأ فى كلامه - : « أنت تحبيننى ؟ هذا هراء ، هذا مالا أعتقده ، فان مثلك لا يعرف الحب » فلا تدعه سرسيه يتمادى فى هذه النغمة المؤلمة من القول ، بل تسرع فجأة إلى يده الممدودة إلى جانبه فتختطفها اختطافا وتدنيها إلى فيها مختلسة منها قبلة حارة ، ثم تفر راجعة أدراجها بمثل سرعة البرق ، فيجرى وراءها يحاول اللحاق بها بلاجدوى ، حتى إذا يئس من إدراكها عاد إلى غرفته وقد بدأ يساوره الفكر والقلق على مصيرها وأحس أول نيران الحب تضطرم فى قلبه اضطراماً !

☆☆☆

تعود « سيرسيه » إلى بيتها منهوكة القوى مشغولة الفكر ، فيقابلها عشيقها المحامى باسما مظهراً لها استعداده التام للتنازل عن كل شىء - إذا شاءت - فلا تعبأ به ولا تلتفت إلى ما يقول فيمسك بيدها محاولا تقبيلها أو ضمها إلى صدره فتجذبها عابسة وتدفعه عنها مغضبة، فتشتعل فى قلبه نار الغيرة والحقد ويسألها : «مامعنى هذا التقطيب، وهو صاحب الثروة ومالك البيت والمتصرف فى كل ما تملك » فلا تجيب بشىء فاذا رآها لاتحير جواباً وأدرك من أساريرها أنها منهمكة غارقة في بحار أفكارها السوداء ، بادرها بقوله : « لعلك فى شغل شاغل عنى بحب ذلك الطبيب . . . » فتقاطعه صارخة : « صه أيها الخبيث فأنت غير جدير أن تنطق حتى باسمه : آه لبئس ماجنيته من صحبة أمثالك من خلطاء السوء ورفقاء الشر الذين أوصلتنى مصادقتهم إلى هذه العاقبة السوأى ، وأسلمتنى صحبتهم إلى فقدان كل أمل فى الحياة الفاضلة »

وهكذا يسدل الستار على هذا المنظر الرائع !

ونعود إلى الطبيب فنراه جالساً جلسة المضطجع على إحدى أرائكه، غارقا فى تأملاته ، مرسلا فكره فى جمال سيرسيه والتملى بحسنها ، وقد دفعه الفكر إلى تمثل كثير من الأحلام والأمانى اللذيذة عنها فقد بدأ يتمثلها أمامه الآن ملكا كريماً - لا بشرا سوياً - واستعاد فى ذاكرته تلك القبلة المختلسة التى اختطفتها من يده اختطافا فأحس كأن نار الحب يسرى ضرامها من مكان تلك القبلة إلى كل ناحية من أنحاء جسمه ، وطاف بذهنه كل مامر أمامه من حب سيرسيه وشدة تعلقها به ووجدها الذى أثبتت الحوادث صدقه ، وطفق يحلل كل ما أتته من الأعمال فيزيده ذلك بها شغفاً وهياما . وتنجلى له البواعث الحقيقية التى دفعت بها إلى كل مافعلته، ويتكشف له أخلاصها وحسن طواياها ونبل مقاصدها

لقد أدرك أخيرا أن سيرسيه محبة صادقة فى حبها . ولو أنها ممن يماذقه

الحب لما أبهت له ولا شغلت بالها به إلى مثل هذا الحد ولا نصرفت إلى عشاقها الكثيرين الذين لا يترددون لحظة واحدة فى تلبية إشارتها وانفاذ رغباتها ، وذكر أنه لم يقدم لها هدية ولا هو غنى فيطّبيها غناه وتستميلها ثروته ، وهكذا تضافر كل شىء وتكاتفت كل ظواهر الأمور وبواطنها على تفسير حبها إياه بمعناه الصحيح الذى كان جديرا أن يفهمه من قبل على حقيقته .

ولقد ظهرت له سيرسيه فى أحلامه ملكا هابطاً من السماء مرة ثم صاعدا اليها مرة أخرى ، وربما رأى هذا الملك السماوي جاثماً بين يديه أو طائرا فى أجواز الفضاء أو محلقاً معه فى اجواء السعادة والهناء ، وربما خيل اليه أن حبلا من حبال الأمل قد تدلى به من السماء وأنه متعلق به وحبيبته سيرسيه ، وقد بدأ يرتفع بهما وهما صاعدان حتى بلغا ذروة الرجاء وأشرفا على عالم بهيج تغنى فيه الطيور الجميلة وتسطع في سماواته شمس السعادة وتنمو فيه أزهار الحب ناضرة ، وربما أحس كأنما يدها البضة الناعمة تلمس كتفه برفق . فأفاق من سنته متهيئاً لعناقها فلم ير أمامه أحدا . فانثنى الى تأملاته مستأنفاً أحلامه السارة من جديد ، ولم تكن سيرسيه تبدو له فى ذلك الحين الا متحلية بأجمل ما يتحلى به الحبيب لحبيبه من حلل الحسن الضافية وحلل الطهر والعفة والأخلاص ، حتى لقد هم مرارا أن يذهب الى بيتها جرياً على قدميه ليظفر بثمر وجناتها وينعم بقربه منها . متملياً بمحاسنها المتجددة الباهرة ، على أنه لم يلبث أن تملكته هذه الفكرة بعد قليل وامتلأت بها نفسه فذهب الى بيت حبيبته سيرسيه .

* * *

ونعود الآن الى منزل سيرسيه فنرى العم جون واقفا يسأل الخادم السوداء عن سيدتها «سيرسيه» فتجيبه محزونة : «لقد غادرت المنزل منذ هنيهة تاركة لك هذه الرسالة» فيسرع العم جون الى فضها وقراءتها ، ولا يكاد يأتى على آخرها حتى يتملكه الأسى وينهنهه الوجد إذ يقرأ : « بع كل شىء وسدد ديونى ثم خذ ماتبقى لك ، أما أنا فلا

يعنيك أمرى ولا يقلق بالك مصيرى، ولتثق أنك لن تعثر على مكانى إذا بحثت عنه ، فلا تطلب المحال ولا تعلل نفسك بباطل الآمال والسلام عليك من الشاكرة لك على صنيعك المقدرة كل ما بذلته لها من معروف وقدمته من جميل»

✡ ✡ ✡

ظل العم (جون) برهة حائراً ، يعيد تلاوة الرسالة مثنى وثلاث ورباع وإنه لكذلك إذ حضر الطبيب، فاذا رأى العم (جون) حياه مستفسراً عن (سيرسيه) فلم يجبه بأكثر من إعطائه رسالتها التى تركتها مع الخادم منذ هنيهة، وثم يحس الطبيب كأن شراراً تطاير بين جنبيه، واسودت الدنيا في عينيه وقد أدرك أن (سيرسيه)قد فرت فرار اليائس بعد أن سد أمامها كل أبواب الرجاء، فأنحى على نفسه باللائمه وخجل مما أتاه من التصلب والعناد حين كان جديراً أن يسلك معها سبيل الرفق واللين والكياسة ، وبدأ يتمثل ما يستقبله من الآلام والأحزان المضنية، ويرى فى الأيام القابلة ظلمات كثيفة متراكمة لا تستطع فيها أضواء الحب ولا تنيرها شمسه، وكأنما أيقن أن نجم سعادته قد أفل فعاد أدراجه والهم يكاد يصمى فؤاده ؛ وطفق والعم جون يبحثان عن (سيرسيه) فى كل مكان -يظنانها تغشاه - زمنا طويلا دون أن يرجعا بطائل، حتى كاد يخامرهما اليأس

✡ ✡ ✡

أما (سيرسيه) فقد علمت أن الطبيب الذى تقدسه متفانية فى حبه قد أخطأ فهمها وأساء الظن بها، وعرفت معرفة اليقين أنه لم يحكم عليها إلا بظاهر أمرها دون أن يعنى نفسه باستكناه حقيقة حالها وطهارة نفسها ، علمت (سيرسيه) أن الطبيب-الذي ناطت به كل أمل فى إسعادها- يحتقرها احتقاراً، وأى شىء أدعى إلى الحسرة وأجلب للألم من رؤية من لا يعبأ الأنسان بأحد فى العالم إلا به ولا يهمه رضى سواه أو سخطه ، أى شىء أنكى من سخط هذا الحبيب الذى لا يهم الأنسان أحد سواه فى كل هذه الأرض الفسيحة :

فليتك تصفو - والحياة مريرة- وليتك ترضى- والأنام غضاب

إذا صح منك الود فالكل هين، وكل الذى فوق التراب تراب

* * *

ولكن ماذا تعمل «سيرسيه» وقد رأت أن كل من يستوى عندها حبهم وسخطهم يهيمون بها هياما ولا يترددون فى تلبية أية اشارة من اشاراتها في حين أن معبودها الذى ينير لها حبه طريق الحياة لا يفكر فيها ولا يهمه من أمرها شىء. لم تجد سيرسيه أمامها وسيلة تلجأ اليها فى الحياة - بعد أن كرهتها وكرهت كل ما فيها - إلا الرجوع إلى أمنيتها الأولى التى طالما عجزت عن تحقيقها، فذهبت ميممة ملجأ حداثتها ومطمح أحلامها من قبل - وهو الدير - فلما بلغته مرت بذكرها طائفة من الذكريات المختلفة ولم تكد تطأ قدماها بابه حتى أيقنت أنها تستقبل عهد الدعة والطمأنينة، ومرت الأيام تترى وهى ترتل صلواتها مبتهلة إلى الله، مازجة دعاءها وصلواتها بذكر حبيبها الذى يئست منه إلى الأبد، ومر أمامها مشهد الراهبات فى ساعة متأخرة من الليل ذاهبات إلى الصلاة. فذكرها ذلك بالمشهد السابق الذى رأته وهى طفلة، وتعاقبت الأيام وهى منصرفة إلى العبادة مازجة الصلاة بالحب، تجلس حولها فتيات صغيرات تعلمهن فى حديقة الدير وهن باسمات فرحات بما يتلقينه منها مؤتنسات بأحاديثها الجميلة.

وفى ذات يوم لمحت إحدى تلميذاتها تعدو نحوها مسرعة قائلة: «هاهى الآنسة (مارى) مقبلة» فأسرعت سيرسيه إلى لقائها، ولكنها لم تكد تجتاز باب الحديقة وتخرج من الدير إلى عرض الشارع حتى دهمتها سيارة مسرعة - فى منتصفه - فكسرت ساقيها وغابت سيرسيه عن الوجود فحملوها وهى فاقدة الرشد إلى مستشفى الدير حيث بدأوا يعالجونها.

* * *

نعود إلى الطبيب العاشق فنراه بعد أن بحث فأضناه البحث وفتش عن سيرسيه في حيثما عن له أن تكون فأعياه الأمر وانتابه اليأس من العثور عليها وأيقن أن كل مجهود يبذله فى هذا الصدد ضائع ومآله الفشل والخيبة. فكف عن البحث مستشعرا اليأس من لقائها قانعا بالتمتع بها فى عالم الخيال

والأحلام بعد أن عجز عن التمتع بها فى عالم اليقظة والحقيقة .

ولكن الدهر أبو العجب وأضيق الأمر - إن فكرت - أوسعه ، وكثيرا ما ينبلج صبح الأمل بعد أن يحلولك ليل اليأس ويشتد ظلامه

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فقد خرج الطبيب - ذات يوم وكلبه يرافقه - فلما بلغ مكانا مزدانا بالأزهار والخضرة جلس ، ولم يكد يستقر به الجلوس حتى بدأ يداعب كلبه ، ولأمر ما ألقى اليه عصاه على أبعد مسافة استطاعها فأسرع الكلب يعدو فى أثرها باحثاً ، ولكنه عاد بعد قليل وفى فيه شىء غير ها فلما داناه تبين الطبيب أنها مذكرات ، ولشد ما غمرته الدهشة حين رأى اسم سيرسيه مكتوبا عليها ، فأقبل على مطالعتها بلهفة المشوق وهو يكاد يلتهمها التهاما ، وزادته مذكراتها اقتناعا بطهارة نفسها ونبل مقاصدها ، على أنه لم يطل به البحث ، هو يقلب صفحاتها فقد رأى فى ثناياها عزمها على الذهاب إلى الدير المقدس (أورليان) وما كاد يقع بصره على هذه الجملة حتى طفح وجهه بشرا وامتلأت أرجاء نفسه بهذا الاكتشاف الباهر غبطة وأنسا ، حتى خيل اليه أن الكون بأسره باسم له وأن ليس فى هذا الوجود الا طلاقة وسرور شامل ، ولاح له فجر السعادة المنبلج تبدد أضواؤه ظلام اليأس وتقشع سحب الخيبة التى كانت غائمة فى نفسه ، فكر راجعاً إلى العم (جون) ليخبره بهذا الاكتشاف الرائع الذي هداه اليه حسن طالعه .

ونرى منظراً آخر فيه راهبات الدير يدعون دعوات حارة صادرة من أعماق قلوبهن مصليات ضارعات إلى الله أن يمن على (سيرسيه) بالشفاء العاجل من تلك الصدمة القاتلة ونرى طبيبين في حجرة (سيرسيه) المريضة يتهامسان فيها مقررين عجزهما عن شفائها ويأسهما من انهاضها من كبوتها ، ولكن أحدهما يقترح على زميله أن يسلكا معها سبيل الايحاء وأن ينميا فيها هذا الاعتقاد المتأصل فى نفسها ، وثم قال لصاحبه : « مادامت تتوهم أنها قادرة على المشى فماذا علينا إذا جاريناها فى اعتقادها وأدخلنا فى روعها أنها شفيت . وأنها تستطيع

السير الآن ، لعل ذلك يكون من أسباب شفائها ، وان كان الأمل فى نجاحنا ضعيفاً ، ولكن لتكن هذه هى التجربة النهائية » وثم يقولان لها « ها أنت ذي قادرة على المشى فانهضى أيتها الفتاة » وتحاول الفتاة تلبية هذا الطلب فتشرع فى النهوض - مع ماتكبدها تلك المحاولة المتعبة من الجهد - ، تنهض متثاقلة معتمدة ذراعى الطبيبين حتى لاتسقط إلى الأرض ، فاذا تركا ذراعيها الفياها لاتستمسك بيد أنها تعتصم بالجلد محاولة أن تغالب ضعفها ، وتأبى قدماها الخائرتان أن تحتملاها فتترنح ترنح من يوشك أن يهوى ساقطاً إلى الارض ، وإنها لكذلك إذ يدخل حبيبها الطبيب فلايكاد يقع بصره عليها حتى يناديها باسمها

« أهذه هى أنت ياسيرسيه »

أى صوت ملائكى تسمعه أذناها ، وأي حلم جميل تراه فى يقظتها فلاتكاد تصدق أنه حقيقة واقعة ! فتنظر إلى حبيبها مشدوهة ولهى مرهفة أذنيها مستجمعة حواسها الضعيفة وقواها الخائرة فتسمع صوته الساحر يناديها ثانية « هلمى إلى ياسيرسيه هلمى الى ! » فلا يتم هذه الجملة العذبة الخلابة حتى يتبدد كل شك فى نفسها وتوقن أنها يقظة غير حالمة ؛ وتنظر فتجده فاتحاً ذراعيه اليها فتمد يديها اليه ، وكأنما نسيت ضعفها ويأس الاطباء من شفائها وعجزها - منذ لحظة - عن الوقوف على قدميها فضلا عن السير ، وكأنما أنساها الظفر كل شىء إلا ما تحلم به من إدراك السعادة الوشيكة بقرب حبيبها الذي قطعت الأمل من لقائه . فتستمسك فى الحال وتتحرك قدماها نحو حبيبها تحركا وئيدا ، وتخطو اليه خطوتين فاذا رأت ذراعيه تستقبلانها ارتمت فى أحضانه ، وتنطبع على شفاههما قبلة فيها كل معانى البث والجوى ؛ وتمر بهما لحظة تتضاءل أمامها كل لذات الحياة ومسراتها ، وتريد ! « سيرسيه » أن تستيقن متثبتة من أنها فى عالم اليقظة فيشتد التصاقها به وتسأله :

« ألست حالمة ؟ أحقا أننى ظفرت بالسعادة بقربك »

« فيضمها حبيبها إلى صدره ضمة المولة المشغوف وهو يقول : « كلا لست حالمة بل أنت بين ذراعىّ وستكونين لى وحدى مدى الحياة » !

(١)

سنية

(١)

«سنية» آنسة لاتتجاوز سنها الرابعة عشرة ، تتلقى دروسها في مدرسة أهلية ، وتقبل على التعلم بجد و نشاط ، يلوح على سيماها النبل والشمم ويلمع الذكاء في جبينها الوضاء وينبعث من عينيها سحر وفتنة ، وهى ابنة رجل وضيع المركز حقير المهنة؛ عالى النفس تزينه الامانة والاستقامة ويحليه الصدق والاخلاص والنزاهة ، يشتغل حوذيا فى منزل الشيخ «ابراهيم» وقد مكث عنده أكثر من سبع سنوات ، لم تظهر عليه خلالها نقيصة ولابدا عليه إلا ما يشرف.

الشيخ ابراهيم رجل صالح تقى ورع اذا أخلد الى انسان بالثقة لم ينزعها منه أبدا ، وقد رأى من أمانة والد الفتاة واستقامته ما زاد ثقته به واكد له صدق ظنه فيه ، فوكل اليه كل امر اثناء غيابه ، وعهد اليه بكل ما يتطلب نشاطا وأمانة

وقد ظل والد الفتاة عنده المخلص الأمين، ولم يتركه الا بعد ان اضطربت حال سيده وارتبكت أموره المالية فأصبح غير قادر على دفع مرتب الخدم ونفقات العربة والخيل وتوابعها ، وثم اضطر الى الاستغناء عنه مرغما أسفا ، وانتهت بذلك تلك العشرة الطيبة التى لم يقطعها عليهما الا تقلبات الزمن وأفول نجم السعادة

* * *

«محمد» تلميذ صغير - وهو ابن الشيخ ابراهيم - يتعلم في مدرسة (ام عباس) الابتدائية ؛ لايعنى بدرسه ولا يهمه الا قراءة القصص والروايات فلا تكاد

---

(١) من كتاب قصص مصرية

تفوته قصة ولا رواية ، ولا ينتقل من سنة دراسية الى أخرى الا بعد ان يلبث فيها عامين ـ ارتكانا على غنى ابيه وثروته الطائلة ـ وقد رأى من خصب خيال (حوذيه) وسعة اطلاعه على القصص والحكايات ماحببه فيه وجعله لا يفترعن مصاحبته

كانت سنية فى ذلك الحين لاتتجاوز سنها الرابعة وكان محمد يتردد على منزل أبيها معه فيراها ويراه ، ويلعبان معاً ألعاب الطفولة البريئة ، وكانت سنية تكثر من التردد على منزل الشيخ ابراهيم الذى يعمل فيه أبوها فتلعب مع محمد فى بعض ايام الجمع والعطلات ، وقد يظلان معا الى مابعد وقت الاصيل .

انقضت تلك الايام الحلوة وخرج أبوها وانقطعت كل صلة بينهم جميعا ومرت بضع سنوات على ذلك العهد ، وفي ذات يوم التقى والد الفتاة بمحمد فسلم عليه باشتياق ودار بينهما حديث السلام وبث الاشواق الى الوالد والاخوة ، وجاء ذكر (سنية) فأخبره أبوها أنها فى المدرسة وأنها على وشك الانتهاء فى ذلك العام من الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية

كان محمد قدتغيرت أطواره وأخلاقه بعد أن بادت ثروة أبيه ! فاستعاض من العزوف عن الدرس انكبابا عليه ، ومن اللعب وقراءة القصص والروايات تفرغا للعلم وانهماكا فى استذكاره، حتى أدهش عارفيه وأقرانه ما شاهدوه عليه من التباين الهائل، فأنهى دراسته الابتدائية وأحرز شهادة الكفاءة وهاهو الآن قد انتقل إلى السنة الرابعة الثانوية بجده وجدارته

طلب « والد الفتاة » من محمد أن يخص ابنته بالتفاتة منه لتنجح فى الامتحان فلم يجد أشهى ولا أبهج عنده من قبول هذا الطلب الذي وافق هوى من نفسه واعاد اليه ذكرى أيام الطفولة البريئة ، فخصص لها يوم الخميس من كل أسبوع .

جاءت سنية إلى منزل الشيخ ابراهيم فى أول خميس وما كادت تلتقي

العينان حتى شعر كل منهما بميل إلى الآخر وما كاد يمر بضع أسابيع حتى انقلب الميل إلى هوى فحب فعشق فهيام !

فترت همة محمد عن تحصيل العلم ثانية وانقلب تفكيره فى درسه الى تفكير في حبيبته ، ووضع على مكتبه صورتها بين الكتب ، وأصبح يترقب يوم الخميس بلهف شديد ، ويرى فيه يوم عيده وأنسه .

وفى ذات خميس وإنه ليجلس إلى جانبها فى حجرة منتحية من منزله مغلقة عليهما وحدهما ، التقى النظران ، فلم يتمالك محمد نفسه أن قال لها بصوت تكاد تخنقه العبرات — : « إنى أحبك ياسنية » فاجابته بابتسامة خفيفة أعقبها صمت عميق .

فاتحها فى أمر الزواج فلم تظهر ترددا فى ذلك ، وكيف وهى ستتزوج من ابن سيد أبيها الذى كانت لا تزال ترى فيه معنى من معانى السيادة رغم ما انتابه من الضيق والعسر .

* * *

صمم محمد على مشافهة أهله وأهلها في هذا الأمر ، ولكن الحياء غلب عليه باديء الامر ثم لم يلبث أن أرغمه حبها على الافضاء إلى امه بما يخالجه ، فلم تر أمه بأسا من ذلك ، ولكنها لم تكد تفاتح أباه بالأمر حتى انقلبت سحنته وأخرجه الغضب عن طور الرزانة والحلم اللذين اتصف بهما ، فانهال عليها سخطا وتعنيفا ، ما علم محمد بذلك ، فأصر على رأيه ، وظل يهذى باسمها فى نومه وفى يقظته ، ولما كان محمد وحيد أبويه ، فقد خشى عليه أبوه أن يصيبه مس من الجنون فرغبه فى الزواج من فتيات عريقات الأنساب كريمات الاحساب ، فلم يزدد عنهن الا اعراضا ، لانه رأى في سنية كل ما يتطلبه من عفاف ورقة ونبل ، فتمدرآها تنزع إلى مثل تصوراته وأحلامه وتضرب معه بسهم في كل جولة فكرية يجولها ، وهى بعد ألاّ قة العينين مشرب وجهها بحمرة قليلة خلابة ؛ وفى صوتها رنة ساحرة .

وحديثها السحر الحلال، لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل، وإن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

رأى أبوه تصميمه فوعده بالزواج منها بعد زمن قليل

هرع محمد إلى منزل سنية فى تلك الليلة البهيجة ووجهه يطفح بشراً وحبوراً، فأخبر أمها بهذا النبأ السار فابتهجت أشد الابتهاج

* * *

ومضت بضع أسابيع لم تمر منها يوم أو ليلة واحدة من غير أن يقابلها فى منزلها أو تقابله في منزله أو يلتقيا فى الطريق المؤدية إلى المنزلين- هذه ذاهبة اليه وهذا ذاهب اليها ؛ فيعود أحدهما مع الآخر إلى اقرب المنزلين .

قرب موعد الخطبة ، فطلب الشيخ ابراهيم من ولده أن يذهب لزيارة أخته فى الأرياف وملاحظة بضع افدنة اشتروها حديثا ، ووعده بتزويجه من سنية بعد عودته من تلك المهمة

سافر محمد بعد أن ودع حبيبته وأهله ولما وصل إلى أخته فى الريف ومرت أيام ثلاثة ترقب فى خلالها رسالة تصله من حبيبته فلم ترد ، قلق باله وظل يسائل نفسه عن السبب ، ويتمنى لو استطاع الطيران إلى منزلها فى القاهرة ليقبلها ؛ ومر اليوم الرابع فزاد قلقه وارتباكه ، وكان يخرج كل يوم إلى الحقول فيظل فيها ساعات عديدة ينعم أثناءها بتصوراته واحلامه اللذيذة

وفى صباح اليوم الخامس رأي ساعى البريد مقبلا عليه فتهلل وجهه بشرا وأسرع اليه لأخذ الرسالة منه ، وما لبث أن تناولها حتى أسرع يعدو إلى الحقل القريب ليتلذذ بقراءتها إلى جانب صورة حبيبته الشمسية التى معه

فتح الرسالة - ويا لهول ما قرأ فيها - :

« أيها الخائن الغادر ! لقد خدعنى منك ذلك الاخلاص الظاهري الذى كنت تموهه على وعرفت حقيقة أمرك

ولكن ما ذا اضطرك إلى مفاتحتى فى أمر الزواج مادمت تعتقد أن أسرتك وأسرتى لا تلتقيان فى الرفعة والشرف

لقد أخبرنا أبوك بكل شىء

ولكن أعجب ما عجبنا له قوله : « انك ضيق الصدر من الحاحنا ، وانك سافرت الى الريف هربا من مضايقتنا ، فهل يصل الرياء والنفاق بانسان إلى مثل هذا الحد ؟ لقد تزوجت أمس من ابن عمى نكاية فيك ... »

***

لم يستطع محمد أن يواصل قراءة الرسالة بعد أن ظهرت له الحيلة التى ابتكرها أبوه لاقصائه عن حبيبته ، فصرخ ثم أغمى عليه ومكث على هذه الحال نحو ساعة أفاق بعدها متضعضع الجسم ، يكاد يفقد حواسه ؛ وسار إلى بيت أخته - وهو فى شبه غيبوبة - حتى بلغه ، فرآها نائمة الى جانب طفلها الرضيع فاضطجع هو الآخر فى الحجرة المجاورة ، واستعاد في ذاكرته هذه المأساة المفجعة فلم يتمالك نفسه من البكاء بصوت خافت لم يلبث أن ارتفع قليلا قليلا لشدة تأثره ، استيقظت أخته فرأته يبكى فصرخت متعجبة : « أخى يبكى ! »

ولم يكد يسمع محمد هذه الجملة من أخته حتى عرف أن أمره قد انفضح ، فاندفع يصرخ ويتأوه نادبا سوء حظه :

وقد كشف الغطاء . فما نبالى أصرحنا بذكرك أم كنينا

ثم أغمى عليه ، فبعثوا فى استحضار طبيب له من بلد ناء ، وبعد ساعة بدأ محمد يفيق من ذهوله فرأى نسوة كثيرات قد اجتمعن حوله ليواسين أخته ، تقول إحداهن لعل مرضه نشأ من شدة الاعياء ، وتعلله الأخرى بانه من لفحة الشمس وثالثة بانه ضعف ، ورابعة بانه من تغير الهواء الخ ، ولم تهتد واحدة منهن جميعا الى السبب الحقيقي

أفاق محمد فاسرع إلى وداع أخته الحزينة لمرضه ، وعاد الى القاهرة فى نفس

الليلة ، وأم منزل حبيبته حتى اذا داناه وقف أمامه يستعيد ذكرى حبه الاول ولا يستطيع الدخول الى المنزل

* * *

وظل ينتهز كل فرصة للمرور على منزلها ويحييه مترنما بقول المجنون .

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار ، وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

(٢)

... أصبح محمد لا يعرف كعبة يحج اليها الا منزل حبيبته التى حرمه الدهر منها أقرب ما كانت في متناول يده ، وفجعه فيها بعد أن كان على يقين من الاقتران بها ، اذهلت محمد هذه الصدمة العنيفة التى لم يكن يقدر لها حسابا ، ولقد كانت تدور بفكره الظنون المختلفة فيعنى بتحليلها والاحتياط لما عساه ينجم عنها ، وتلافي ما يمكن تلافيه من النتائج المتوقع حدوثها ، ولكن هذه الحيلة الأخيرة لم تدر بخلده لحظة واحدة

أصبح محمد مشرداً حزينا لا يفكر في غير خطيبته التى قسمت لغيره بعد أن كانت له :

يادرة غصت فى لج البحار لها أأنفض اليوم منها كف محروم!

* * *

نسى محمد دروسه فأصبح يتلقاها فى الاسبوع الأول بقلب غير واع وأذن غير سميعة ، وجاء الاسبوع التالى فزاد به الوجد وبرح به الهيام فهجر المدرسة هجراً ؛ وانصرف الى تأملاته الحزينة ؛ ويأسه المميت ، ولم يجد له عزاء عنها ، وكيف وهى المصباح الذي كان ينير له الحياة فانطفأ ، وكيف وهى الحبيبة التى بنى عليها كل أمل حلو في الحياة !

كان اذا جد فى درسه فذاك ليحرز وسام السبق على اخوانه فترضى حبيبته عنه، واذا طمح الى غاية رفيعة فذاك لانه يعتقد انه سيكبر فى عينها وان حبها واحترامها له سيزدادان

ويهتز للمعروف فى طلب العلا لتحمد يوما عند عزشمائله

والآن ، ماذا يفيده وسام شرف أودرجة رفعة ما دامت حبيبته قد قسمت لغيره ، لقد كان يفضى اليها فى ايامه الاخيرة بكل ما يحدث له يوميا من الامور جليلها وحقيرها ، والآن وقد انقضت بضع ايام وامتلأ صدره بأشياء كثيرة يريد أن ينفس عن صدره بالافضاء بها اليها ، ولكن اين هى الآن انها قد تزوجت من ابن عمها ، وكيف ذلك ، ايجد هذا الدهر ام يهزل ؛ انها خطيبتى انها روحى التى لا احيي بغيرها ، ان ابن عمها لايحن لها من الحب مثل ما أجنه لها ؛ ان ابن عمها ليرى فيها فتاة كأية فتاة من آلاف الفتيات المملوءبهن هذا العالم الزاخر بالناس

وهى قد لاترى فيه الا فردا عاديا كأى فرد آخر

اما انا فليس فى الدنيا كلها ما أستعيض به عن (سنية) ، هى حياتى ، هى رجائى، هى مؤجة عواطفي الملتهبة ومسكنتها، هى الأمل الحلو الذى لاقيمة للحياة بدونه، فكيف تنتزعها الاقدار القاسية من بين يدى انتزاعا ؟

وهذه اللحظات السماوية التى مطرنا الحب فى أثنائها أحلى افاويق السعادة فتمتعنا بها وانتشينا من خمرته اللذيذة وطافت بنا أبهج الاحلام وألذها واعذب المنى واشهاها ، كيف أحرم منها وبأى حق ؟ »

* * *

أصبحت هذه الافكار والتأملات وأشباهها تملأ خاطر « محمد » فى كل لحظة فيظل يمعن فيها حتى يشت عقله وتخونه قواه ، فيسلمه الذهول الى عالم آخر مرهوب ، زاخر بالأحلام المرعبة والآلام المبرحة .

وأخيراً ، لم يجد أمامه الا عالم الادب وعالم الطبيعة ، ففيهما وحدهما وجد الصدر الرفيق الذى يحنو عليه ، ويصيخ إلى بثه وشكواه .

أقبل على الشعر بكل جوارحه ، فلم يجد فى غير اشعار الحب مايرضى نفسه الثائرة ، حتى لقد وصلت به مغالاته الى حد أن اعتقد أن الشعر لا يمكن أن يكون الا غزلا ، فكان إذا ضمه مكان وجماعة من رفاقه الأدباء جاهر لهم بأن كل ماقيل من الشعر فى غير الغزل لايستحق أن يقام له وزن ، ولايجدر أن يلقى الانسان عليه نظرة واحدة !

ورأى فى ديوان العباس ابن الأحنف مايلائم هواه ، فأقبل على حفظه والتغني به فى كل لحظة و رأى فى لوعته ما حببه اليه وعطفه عليه .

لايعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وكان كلما وصل فى ديوانه إلى قوله :

«أيا فوز لو أبصرتنى ماعرفتنى لطول تخولى بعدكم و شحوبى
وأنت من الدنيا نصيبى، فان أمت فليتك -من حور الجنان- نصيبى

أخذ يردده بصوت المتألم الحزين حتى يقطع البكاء أنفاسه

ورأى فى المجنون وفى جميل وفى كثيّر وغيرهم من شعراء الصبابة والحب، خير رفيق ، فأقبل على شعرهم حتى لم يكد يفوته من كلامهم شىء .

وكم فتنه قول المجنون :

وأدنيتنى حتى إذا ما فتنتنى بقول يحل العصم سهل الأباطح
تنائيت عنى -حين لا لى حيلة- وغادرت ماغادرت بين الجوانح

***

والطبيعة ؛ تلك الأم الرؤوم ؛ لقد وجد فى جمالها المتجدد مايحيى فى نفسه ذكريات حبه الذى لايستطيع أن يحيا إلا به .

فكان يستيقظ مبكراً من نومه المتقطع ، فيرتدى ملابسه ويخرج متأبطاً

نخبة من دواوين شعراء الغزل إلى الجزيرة أو جبل المقطم حيث يقضى أغلب أوقاته بين قراءة الشعر والتغنى به والانصراف إلى تأملاته المحزنة ملقيا بنفسه فى أحضان الطبيعة ؛ ومرت به ستة أشهر وهو على تلك الحال

* * *

وفى ذات يوم علم من احدى قريباته أن (سنية) قد تم عقدها على ابن عمها منذ يومين !

- ياللهول ! ألم يتم العقد منذ ستة شهور إذن !

- لا ؛ ومن أخبرك بذلك

- إنها كتبت إلى بهذا !

- لعلها أوهمتك لتختبر مبلغ حبك وتعلقك بها

ياإلهى ، وهل أنت واثقة مما تقولين

- كل الثقة !

* * *

ذهل محمد من هذا النبأ وطار طائر حلمه ؛ وأحس كأن شرارة ألهبت قلبه وأشعلت جوانحه فصرخ صرخة اليائس المفرط ؛ الذى أدرك خطورة همالة وتفريطه ومقدار ماجناه عليه تهاونه

وظل أكثر من عشرة أيام محموماً يهذى بالحب وأحاديث الحب فى فترات صحوه من غيبوبة الحمى حتى كاد ييأس أهله من شفائه

* * *

وكنت إذا دخلت مخدعه وجدته مطروحا على فراشه - وعلى رأسه «قصة ذات الكاميليا» فاذا أفاق قليلا أكب على قراءة مذكراتها بصوت خافت حزين حتى إذا وصل إلى مذكرتها الاخيرة وقرأ قصة احتضارها أجهش للبكاء مستسلماً خائر القوى واهن العزيمة ، ثم يلح عليه السقم وتشتد عليه

الحمى فيظل يهذى حتى تفقده النطق ؛ وكان لا يفتر عن ذكر اسم (سنيه) في فترات صحوه ، يرتله كما يرتل العابد اسم معبوده !

وبدأ ينقه من الحمى قليلا قليلا ، حتى اذا تماثل للشفاء أعاد سيرته الأولى في الذهاب الى الجزيرة تارة والى جبل المقطم تارة أخرى ، وبدأ يغشى أماكن الغناء واللهو ليرفه عن نفسه بذلك قليلا ، فيضحك مع الناس ويلهو مع أصدقائه ؛ حتى اذا استسلم لنفسه عاودته الذكري وانتابته الآلام :

نهارى نهار الناس حتى إذا دجا لى الليل هزتنى اليك المضاجع

وكثيراً ما كان ينقبض فى اعذب ساعات اللهو بين أصدقائه المخلصين له وكثيراً ما ساورته فكرة الانتحار ؛ فأفضى بها الى بعض أخوانه الأوفياء فبغضوه فيها جهدهم ؛ ولم يتركوا وسيلة إلا انتهزوها لينسوه هذه الفكرة الممقوتة

* * *

وقضى يوماً من الايام مع أربعة من أصدقائه فى الجزيرة على خير ما يقضى به يوم ؛ فلما عزموا على العودة . تذكر يوم كان يسير مع حبيبته فى تلك الجهة فهاجته الذكرى ؛ فتأخر عنهم قليلا ؛ ولما وصلوا الى جسر قصر النيل ذكر فيه وقفة وقفها مع حبيبته ، وشاهد منظراً أشارت اليه بأصبعها وهى معه ذات صباح من أيام السعادة التى نعم بها معها ، فاعتراه شئ من الذهول وظل أصدقاؤه يسألونه عن سبب انقباضه ووحشته فلا يجيبهم بغير ابتسامة الكمد ونظرة الغارق فى لجج أفكاره .

وواصلوا السير حتى إذا بلغوا ميدان الاسماعيلية رأى ترماً ذاهبا الى الجيزة عن طريق مصر القديمة ، فتحين غفلة من أصدقائه وقفز فيه مسرعا فلم ينتبهوا اليه إلا بعد أن سار به الترام بعيداً عنهم ، فصاحوا به لينزل فلم يصخ اليهم ، وربما حسبوه بمزح معهم ، أو ينوى النزول في مكان قريب ليلقاهم فى المنعطف الآخر من الشارع

* * *

نزل محمد عند جسر «محمد علي» وكانت الليلة حالكة الظلام ؛ فسار قليلا على شاطىء النيل ثم وقف برهة يتأمل فى جماله وينصت إلى صوت الطبيعة الحنون.

* * *

« هذا هو النيل ما أجمله وقد أرخى الظلام سدوله الكثيفة على مياهه. فامتزجت روعته بروعة الظلام وسكون الليل » . وقف ساعة أحس فى أثنائها أن نفسه فى عالم آخر من عوالم الصمت والتأمل الرهيب.

وقف محمد يفكر فى نفسه مرة وفى النيل مرة أخرى وفى حبيبته مرة ثالثة ، وقد يفكر فيها جميعاً تفكيراً غامضاً مبهماً لا يعرف كنهه ولا يدري مغزاه.

رأي البحر ساجياً يستميل النفس اليه بجلاله وروعته ، فدارت بخاطره فكرة جريئة — هى فكرة الانتحار —

« ليس بينى وبين التخلص من آلامى المبرحة إلا خطوة واحدة أخطوها إلى الأمام تنقذنى من ضوضاء هذا العالم وجلبته ، خطوة واحدة تنيلنى السعادة ؛ وتريحنى من كل هم ! »

وهكذا ساعده انقباض نفسه الثائرة وروعة الليل وسكون البحر الذى سحره جلاله على الاقدام على فكرة الانتحار !

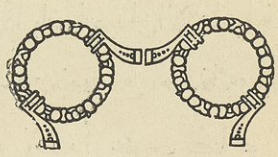

الخواتم الثلاثة (١)

أو الديانات الثلاثة

أحرز «صلاح الدين» شهرة عظيمة ، اكتسبها بما قام به من جلائل الأعمال فقد كان شهما يقظ الفؤاد فرفعته مواهبه ومزاياه النادرة ، الى ارفع مكانة - لا عند المصريين وأبناء الشرق وحدهم - بل عند سواهم من الأمم الغربية أيضاً

---

(١) « لاتكاد ترى كاتبا من كتاب الشرق وأدبائه قرأ أساطير ألف ليلة ولم يتأثر بها في فجر حياته كما أنك لاتكاد ترى كاتبا من كتاب الغرب ومفكريه قرأ قصص بوكاتشو ولم يستمد منها قبسا من خياله العالى ولم يتأثر بأسلوبه القصصى الرائع . وحسبك بشوسر وشكسبير ولافونتين وموليير وغيرهم من أساطين الكتاب والشعراء

فلا غرو إذا حاولنا أن نضع لقراء الشرق وأدبائه نفس الأساس الذى بنى عليه كثير من رجال الفكر فى أوروبا لعله يترك فى نفوسهم ماتركه من الأثر فى نفوس الغربيين »

لقد ذاعت فتوحاته و اشتهرت انتصاراته الباهرة التي أحرزها فى الشرق والغرب، فقدفاز على مسيحي أوروبا فوزاً مبيناً فى غزواته التى اشتبك فيهامعهم .

كان هذا الأمير دائب الغزو، كثير الحروب . لا يكاد يمر به وقت قصير دون أن يشتبك فى حرب طاحنة .

ولما كان - قبل كل شئ - كريماً بطبعه ؛ وكان ملجأ يؤمه القاصدون وذلك يضطره إلى الانفاق عن سعة ؛ نظر ذات يوم إلى خزائنه فرآها خالية ، وعن له من الأمور الفجائية الهامة ما يضطره إلى الحصول على مقدار وفير من المال : فاهتم لذلك كثيراً ، إذ لم يجد وسيلة تمكنه من الوصول إلى غرضه للتغلب على تلك الضرورة الفجائية

ولكنه علم أن فى مدينة الاسكندرية يهودياً مثرياً ؛ اسمه « ملكى صادق » وأنه يقرض الناس بالربا ، ففكر فى توريطه للحصول منه على اربته ، ولم يلبث أن انقلب تفكيره إلى عزم

وكان ذلك اليهودي أشد أهل زمانه بخلا وشرها إلى المال ، ولم يكن من السهل الحصول منه على ما يريد ، وصلاح الدين لا يريد أن يلجأ معه إلى طريق العنف والارغام للحصول منه على مأربه . لذلك ظل يبحث عن حيلة معقولة يبرر بها غرضه !

لقد ألجأته الضرورة إلى المال ؛ ولكنه على يقين من أن « ملكى صادق » لن يسمح باخراج المال الذي يريده طوعاً و بمحض اختياره، وثم قرر أن يحصل منه على ذلك بطريق يبررها الناس - ولو فى الظاهر - فأرسل فى استدعائه ، فلما مثل بين يديه ، تلقاه فى قصره هاشاً باشاً مرحباً به وأجلسه إلى جانبه ، ثم دار بينهما الحوار التالى :

« لقد بلغنى عنك يا « ملكى صادق » - من عدة أشخاص - أنك على أعظم جانب من الحكمة والعلم ؛ وأنك شديد التعمق فى الغيبيات والالهيات !

فخبرنى اذن عن رأيك فى اليهودية والاسلام والمسيحية ؛ وأي هذه الديانات الثلاث تفضل عن الأخرى وتعتقد أنها الحق ؟ »

* * *

كان اليهودى على جانب كبير من الذكاء والحزم ؛ فأدرك أن السلطان قد نصب له بهذا السؤال فخاً يحاول ايقاعه فيه ، وكان - بلا شك - واقعاً فى احبولته لو أنه تصدى لتفضيل إحدى هذه الديانات الثلاث على الأخريين .

ولكنه لحسن حظه لم يرتبك فى الأمر ؛ ولاح عليه طريق الخلاص من هذا المأزق فقد عنت له فكرة فذة ، فقال للأمير - حاضر الذهن ، لا يبدو عليه شيء من مظاهر الاضطراب - :

« مولاى :

إن السؤال الذي تفضلتم بتوجيهه إلى ، سؤال كريم ، وهو أيضا غاية فى الخطورة ، ولكنى أريد أن أتحرى الدقة التامة فى الاجابة عليه ، فهل تسمح لى أن أمهد لذلك بحكاية قصيرة :

أذكر أننى كثيرا ما سمعت ، أنه كان - لا أدرى فى أى بلد من البلدان - رجل غنى واسع النفوذ والجاه ، وكان من بين حلاه وجواهره الثمينة خاتم بديع الصنع لا يقوّم بثمن

أراد هذا الرجل أن يكافىء - بهذه التحفة النادرة - أجدر أولاده الذكور بها ، فأوصى ألا تعطى بعد موته إلا لمن يستحقها عن جدارة ، وأوصى أن من يعطى هذا الخاتم يصبح سيد الأسرة من بعده !

وترسم وريثه نهج أبيه ، فورث الخاتم أجدر أبنائه به ، وجاء من بعده فسلك طريقه .

وهكذا ظل الخاتم ينتقل من يد إلى يد ، حتى وقع أخيرا فى يد رجل له

أولادثلاثة ؛ كلهم مهذب كامل وكلهم مموق من أبيه ، لايخالفون له رأياً ولا يردون له قولا ، فكان لذلك يحن لهم أعظم الحب ، ولا يستطيع أن يفضل واحداً منهم على الآخرين

وكانوا على علم بما يتطلبه احراز الخاتم من المزايا الباهرة ؛ فتسابقوا جميعاً فى ارضاء أبيهم بكل وسيلة أثناء شيخوخته،ولم يألوا جهداً فى تلبية كل أوامره، وانجاز كل اشاراته وفق ما يشتهى ، وظل كل منهم متفانياً في ارضائه طمعاً فى احراز الخاتم بعد موته .

سر الوالد من أبنائه الثلاثة ووصل اعجابه وفرحه بهم إلى أقصى حد ، ولكنه حار فى تفضيل أحدهم على الآخرين ؛ وأعمل جهده فلم يصل الى نتيجة ما ؛ ثم أدته حيرته أخيرا ، إلى أن وعد أبنائه الثلاثة سرا - كلا بدوره على حدة ، - باعطائه الخاتم بعد أن أوصاه بأن يكتم ذلك الخبر عن أخويه، وإنما دفعه الى ذلك رغبته فى ارضائهم جميعاً

على أنه لم يلبث أن هداه حبه اياهم الى وسيلة تخرجه من هذا المأزق ! فأرسل سراً ، الى صائغ مشهود له بالحذق والتفوق ؛ فصنع له خاتمين متقنى الصنع على مثال خاتمه الاول بحيث لا يستطيع من يراهما أن يجد فيهما أي فرق ! حتى لقد بلغ من أحكامهما أن التاجر نفسه لم يعد يستطيع أن يميز خاتمه من بينهما، ثم أعطى كلا منهم خاتماً !

مات أبوهم ! فنشبت منازعة عنيفة بين ابنائه الثلاثة ، كل منهم يعتقد أنه صاحب الخاتم الحقيقى ، وانه - على ذلك - جدير ان يكون خليفة أبيه ، قمين أن يرثه في لقبه وشرفه ، كل منهم واثق الثقة كلها أنه انما يطالب بحق لايصح ان ينازعه فيه أحد ، وأنه - دون اخويه - وريث ابيه الشرعى ، وان دعوى اخويه زائفة جديرة بالرفض والازدراء !

حاول كل منهم أن يستعين بخاتمه ليتمكن من تأييد دعواه ، ولكنهم

وجدوا الخواتم الثلاثة محكمة الشبه ، لا سبيل الى تمييز الخاتم الحقيقى من بينها تحاكموا الى من يفصل بينهم في دعواهم ، ولكن القضية عويصة الحل، والفصل فيها مستحيل ، إذ لا سبيل الى التمييز بين تلك الخواتم المحكمة الصنع، وثم ظلت قضيتهم معلقة لا تحل ، واستمرت كذلك الى النهاية ؟

مولاي!

ذلك مثل الشرائع الثلاث التى انزلها الله على أهل تلك الاديان الثلاثة التى تفضلت فسألتنى عنها

كل فريق يحسب أنه وحده خليفة الله في أرضه، وكل منهم يعتقد أن قانونه هو الشرع الحق وأن صراطه هو وحده الصراط القويم !

تريد ان تعلم اى الأديان الثلاثة أفضل وأحق أن يتبع ، هذا مالا يزال الى الآن عقدة العقد ! وسيظل فيما بعد ، كما هو الآن - نقطة غامضة لا يهتدي الى حلها أحدفان كلا يحكم بظاهر ما يبدوله !»

* * *

رأى صلاح الدين ان اليهودي قد تخلص بهذا الجواب المملوء فطنة وحذقا ، من الاحبولة التى نصبها له ، وعرف أن من العبث الاحتيال على ايقاعه ما دام على هذا الجانب من الحكمة وسرعة الخاطر ، فلم يرَ بدا من الافضاء اليه بحقيقة الأمر ، واظهار حاجته الى المال ورغبته في الاستدانة منه - بعد أن كاشفه بما كان يضمره له لو أنه زل فى قوله أو أجاب بغير ما أجاب به -

وهنا تأثرت نفس اليهودى بهذه السماحة التى تجلت فى صلاح الدين ، فلم يتردد في اقراضه توا كل ما طلبه من المال ، وعرف له السلطان هذه الأريحية فلم ينسها له ،

ولم يكتف برد ماله اليه - فيما بعد - بل منحه هدايا وتحفا ، وقربه من مجلسه ، ورفع مكانته وأحسن معاملته مدة حياته

الملك النجار

أو

بطرس الاكبر

(قصة تمثيلية قصيرة ، ذات فصلين)

الفصل الاول

(منظر بطرس الأكبر ، منشىء روسيا الحديثة فى مصنع هولندة وهو بملابس النجارين)

بطرس - : لقد مر العام ؛ وتحتم على الآن مغادرة هذا المكان ! لشد ما أصبحت كلفا بهؤلاء القوم البسطاء ، لاسيما « ستانمتز » ذلك الرفيق الأمين.

ستانمتز (داخلا) - : مرحبا ! بطرس ! ألا تزال هنا ؟ . . ماذلك الذى سمعته منك و أنا أدانيك ؟

ب : خيرا يازميلى . . . إنى على أهبة الرحيل عن هذا المكان !

س : آه . . . ماذا ؟ أتترك سردام ؟ إلى أين ؟ . . .

ب : الى وطنى . . . وطننا معا - إن شئت ! فأنت تعرف أنى قدمت من روسيا كما قدمت أنت ؛ لأ تعلم صناعة بناء السفن

والآن . . . قد حان وقت العودة الى الوطن بعد أن تغربت عنه سنة كاملة.

س : أليس لك بد من الرحيل ؟ لشد مايحزن معلمنا أن لاتكون معنا ، فهو كثيراً مايصفك بأنك اكثر العمال مثابرة على عملك هنا ، وإنه ليتخذ منك نموذجاً صالحا لنا جميعاً .

ب : يسرنى أن أذكر أنى تارك بعدي ذكرى حسنة ، ولكن أليس يسركم جميعاً - معشر الزملاء - أن لا اكون معكم ؟

س - كلا يابطرس . . . فأنا - كواحد منهم - أجدنى سأحزن كثيراً حين أنظر فلا أراك معنا . . .

لقد كنا صديقين طول عشرتنا ، وإنى لأجن لك حباً خالصاً يابطرس . . .

ب - كذلك حالى معك . . . ولكن لماذا نفترق ؟ لماذا لا تعود معى إلى الوطن ؟ أليس لك فيه من أحد يسرك أن تراه ؟ . . .

س - بلى . . . هناك أمى العجوز المسكينة واجدة للقياى ، وهناك أيضاً تلك الفتاة الجميلة التى تفكر فى غيابى دائما ، والتى تخصنى بعناية اكثر مما استحق منها . . . ولكنى لا أزال اكرر عليك القول يا بطرس : « لماذا اعتزمت أن تفارقنا؟»

ب - لأن على واجبات تناديني بالعودة الى الوطن الآن ؟ وأنت تعلم أن الواجب أولا هو المهيمن على كل رجل - حقيق بهذا الاسم !

س - نعم هكذا يقول الواعظ

ب - بل هكذا يقول كل رجل شجاع ، وأنت فليس ثمة واجب محتم عليك اداؤه - فيما أظن ، فالى اللقاء

س - أناة يا بطرس - . . . قبل أن نفترق . لا أكتمك أن نفسى تحدثنى بالاقدام على أن أفضى اليك بسر . . .

ب - لا تحدثنى به ، إن كان فيه مايشينك

س - لا . . لا . . ليس فيه من شين ، ولكنه الشئ الذي يخيفنى من الذهاب إلى وطنى . . . لقد ولدت فى « موسكو » . . .

ب - حسناً . . . لاإثم عليك أن ولدت فى « موسكو » . . . وهب فى ذلك إثما ، فليس هذا خطأك

س - ليس هذا ما أعنيه . . . اسمع يابطرس . . . حدث أن جماعة من الجنـــد نزلوا قريباً من كوخ أمى فخانت من ضابطهم التفاتة ، فرآنى ،

وطلب منى أن أنتظم فى سلك الجندية وفقا لرغبات القيصر وارادته

و بالاختصار ، رأيتهم ثملين من الخمر . . . ولم أكد أتبينهم ، حتى رأيت الضابط قد وضع على كتفي بندقية ، و أمرنى بالسير معهم

ب - وموجز القول أنه قيد اسمك . . .

س - هذا ما أظنه ، ولكنى لم أدرك ذلك وقتئذ ! !

ب - إنك قيدت اسمك فى عداد جنود القيصر ، فكيف أتيح لك الوجود فى هذا المكان ؟

س - هذا هو السر . . . إنى أؤكد لك أن القيصر قد ارتكب خطأ كبيرا إذ رغب فى أن يتخذ منى جنديا من جنوده ، فانى - والحق يقال - لست بالرجل الذى يبرز فى هذا العمل . . . ولقد مارسته فلم أفلح فيه ، ولم يلائمنى بحال ما . . . وقد اضطرنى إلى مغادرة أمى المسكينة ، و « كاترين » الفتاة الجميلة ، وصبرت على احتمال الآلام الشديدة ، والضربات المؤلمة ، وسماع الكلمات المغضبة . . . وفى ذات ليلة من ليالى ديسمبر القرة ، دعيت للحراسة فى الساعة الثالثة ، على سد من الثاج ، فشرعت أسير لئلا يتجمد جسمى . . . فهل تصدق ، أننى وجدتنى أخيراً ، قد اجتزت خمسة فراسخ بعيدا عن مقدمة الجيش

ب - أتعنى أنك فار الجندية ؟

س - أيكون ذلك فرارا من الجندية . . لقد استثارت هذه الكلمة مخاوفي

ب - ألم تعرف أيها الرفيق المحبوب أنك تقتل - بلا شك - رميا بالرصاص اذا اهتدى أحد الى مقرك .

س - عاودتنى هذه الفكرة مرارا ، ولكنى رأيت من الحكمة أن أواصل السير بعيدا عن مقر الجيش فأسرعت خطاى حتى وصلت الى « ساردم » . . وها أنذا هنا . . . ، والآن - وقد أفضيت اليك بدخلتى - يخيل إلى أنى استطيع الوثوق بك ، فلقد يظهر لى انك أنت نفسك واقع فى مثل هذا المأزق . . .

ب - أنا ... هارب من الجندية ؟ سخافة عظيمة !

س - لا بأس ، ولكنى أشعر دائماً ، أن أسراراً غريبة تكتنفك ، ومهما يكن من أمر ، فانك - بلا شك - ستحتفظ بسري حين تعود إلى بلدك ، وإلا فلو علم أحد نواب الملك به ، لكان فى ذلك أشد الخطر على

ب - لن يعرف القيصر من قصتك أكثر مما يعرفه الآن ، اذا استطعت أن أمنعه ذلك ... ولكنهم يقولون إن للقيصر طريقة عجيبة فى معرفة كل شيء مهما خفي .... ياله من رجل شديد قاسى القلب ، إذ يسن قانوناً يقضى على رفيق مثلك ، بالقتل - رمياً بالرصاص ، لا لسبب سوى أنك غير حائز لمواهب الجندية

س - حذار أن تذم قيصرنا امامى ... فانه ليحلو لى ان اتطوع بمحاربة أى فرد يغتابه ، وإنى - وإن رغبت عن خدمته كجندي - فلطالما رجوت لو أتيح لى السبيل إلى خدمته من طريق اخرى ... ولا تنس ايها الرفيق القديم أنك أنت الشخص الوحيد الذي أفردته بالاطلاع على سرى .

ب - أخلد إلى بكل ثقتك ، فان أخونك قط ... من يدرى المستقبل فربما تمكنت يوماً ما ، من البرهنة على صدق ولائى لك ....

الفصل الثانى

« منظر كوخ فى مدينة « موسكو » فيه « ستانمتز » وأمه »

أم ستانمتز - : ثم ماذا يا ميخائيل ؟ ... أليس لك مندوحة عن مغادرتنا مرة أخرى بهذه السرعة ؟

س - بلى يا أمى .. فقد لبثت هنا أمداً طويلا .. لقد جئت لرؤيتك و « كاترين » مخاطراً فى ذلك بحياتى يا أمى .... على أننى سأحسن عملى فى

« سردام » اذا نجوت من ذلك الخطر المحدق بى هنا . . . و بذلك أفقد كل آمالى فى المستقبل ، فأنت تعلمين اننى اضطررت الى الاندماج فى سلك الجندية قسرا و انى امقت عيشتها مقتاً شديدا ، و ها قد نجوت منها ، و أصبحت - و الحمدلله - أحترف الآن مهنة النجارة حرا مستقلا ، و ليس ينقص سعادتى إلا ان ترافقينى و « كاترين » الى محل عملى ، و تضمنا لى تدبير مرتبى .

أم ستانمتز - آه يا ميخائيل ! لقد بلغ بى الكبر حداً لا أستطيع معه مغادرة وطنى ، اما « كاترين » فلا جرم انك لا تستطيع الآن ان تقوم بنفقاتها كزوج لك .

س - ذلك حق لا ريب فيه يا أمى . . . وهو ما يزيد حاجتى الى العودة لمزاولة حرفتى تواً ، على أننى - زيادة على ذلك - أشعر أنى فى خطر محقق هنا .

(يسمعان قرعا بالباب)

س - آه ، كم تخيفنى كل دقة على الباب . . . ! أناة يا أمى ، لا تفتحيه حتى أختبىء تماما . . .

(يدخل « بطرس » مسرعا)

ب - اخرج من مكمنك أيها الرفيق القديم ولا تخف نفسك ! ألم أرك من خلال النافذة ؟ انك لحقيق ألا تخشانى !

س - مرحباً يا بطرس ! . . . ماذا . . . أيمكن أن يكون ذلك حقيقة ؟ ألست حالما . . . لشد ما يبهجنى أن أراك ثانية يا بطرس ... ولكن ... لماذا أنت هنا فى « موسكو » و ليس فيها مصانع لبناء السفن ، إذهى بلد قارى . . .

ب - بلى . . . ولكن المصانع فى « بطرسبرج » (مدينة بطرس) و هى المدينة الجديدة التى يبنيها القيصر .

س - يقولون إن القيصر بموسكو الآن

ب - نعم و قد مر فى هذا الصباح من هذا الشارع الذى تقطن فيه .

س - هكذا سمعت ، ولكنى لم أره ، . . . ولكن ؛ كيف اهتديت الى مقرى يا بطرس ؟

ب - الأمر يسير ، حانت منى التفاتة إلى اسم أمك المكتوب على الباب فقرأته عرضا ، ثم عن لى بعد أن عدت الى القصر . . .

س - « القصر . . . ! »

ب - نعم ، فانى أدعو المكان الذي احل فيه بالقصر دائما ، وهى عادة اعتدتها

س - انك دائما رفيق مدهش . . . !

ب - لنعد الى حديثنا الأول . . . قلت لك إننى بعد أن عدت الى القصر ، عن لى أن السيدة « ستانمتز » ربما كانت أم رفيقي القديم « ستانمتز » أو عمته ، وعلى ذلك خرجت متنكرا فى هذا الزي

س - ها . . ها . . تنكرت فى زى الوجهاء ! قل لى كيف حصلت على هذه الحلل البديعة

ب - (محتدا) - لاتقاطعنى ياسيدى

س - ما أغرب هذه اللهجة التى تخاطب بها رفيقك القديم ! . . . ولكن ، لابأس فانى على يقين من حسن نيتك يابطرس وانى أشكر لك - على كل حال - رغبتك وعنايتك بتعرف أخباري.

ب - آه ياميخائيل . . . كم كنا سعداء ، إذ نشق الأخشاب معاً فى حوض السفن في « فان بلوك » أثناء نهار الصيف الطويل .

س - ذلك فى استطاعتنا يابطرس . . . لم لا تعود معى الى هناك

ب - كيف تجاسرت على الرجوع الى هنا ؟

س - دفعنى إلى ذلك أن أمى العجوز هذه ، كانت واجدة للقائى وأن « كاترين » كانت تنتظر إيابى طول هذه المدة بفروغ صبر . . . آه لو لم أكن فى هذه الحال التى انا عليها من الفقر المدقع ياعزيزتى « كاترين » . . . ! ولكنى آمل ان يساعدنى الحظ في منتهى العام المقبل ، فى مصنع « فان بلوك » لأتمكن من العودة اليك ، والتزوج منك . . . وحينذاك استطيع اقناع أمى بمرافقتنا الى هناك

ب- إن فى قدرتى الحصول الآن على مبلغ كبير، اذا أرشدت الحكومة الى هارب من الجندية !

س - بربك لاتمزح فى مثل هذه الاشياء يابطرس ! ... نعم انا اعلم انك لاتقصد الى شئ سوى الدعابة ؛ ولكن ذلك يخيف امى... دعنا من هذا يابطرس ولنعد الى كلامنا ... لا اكتمك انى سعيد بهذا اللقاء ياأخى ؛ ولكنى مضطر الى مغادرة هذا البلد ؛ فهل من رسالة تريد ان تحملنيها الى احد رفاقك القدم !

« يقرع الباب بشدة ، فيوصوص « ستانمتز » من خلال النافذة)

س - آه ! جنود ؛ وضابط معهم... ! مامعنى هذا؛ اسمح لى يابطرس ان اغادرك لاختبئ ؛ لقد تحتم على ذلك .

ب - البث مكانك ياصاح ... أؤكد لك انهم لايعنونك انهم رفقائى .

س - حسناً ... اذن استطيع البقاء معك ؛ ولكن الا تعلم ان واحدا من اولئك الرفاق يدهشنى منه انه قريب الشبه بضابطى القديم .

(يدخل الضابط)

- جئت برسالة هامة من « سان بطرسبرج » وهى تستدعى عناية جلالتكم .

س - « جلالتكم » ... ماذا يعنيه هذا الرجل يا بطرس .

الضابط - ركوعا يا هذا ، ركوعا يا هذا ... ألا تعلم من تخاطب ... ركوعا على قدميك إجلالا لبطرس الأكبر ؛ قيصر روسيا .

أم ستانمتز — تخر راكعة على قدميها — يا صاحب الجلالة ، انه وحيدي اعف عنه ؛ فانه لم يعرف ما يقول !

س - سخافة وهراء يا أمى ! انها إحدى أضاحيك بطرس ... هاهاها ... سجل هذه الفكاهة يا بطرس ... انها ظريفة جداً ...

الضابط - تنبه أيها الشرير الوقح ... دعنى أتبين ملامحك بدقة . أظننى رأيتك قبل هذه المرة ، اقبضوا عليه أيها الجند ، فانه فار من الجندية ...

س- (تعلوه أمارات اليأس) - يا إلهى لقد قضى الأمر فيَّ الآن ! آه . . بطرس ... بطرس ... الا تستطيع أن تنقذ رفيقك القديم ؟ كيف تستمر فى مواصلة قراءتك دون التفات الى ؟ ...

أم ستانمتز - « تلوح بيديها حزناً » - آه رحماك أيها الضابط الصالح ! أبق لى حياة ولدى .

الضابط - كلا .. كلا .. يجب أن يحاكم أمام المحكمة العسكرية ، ويجب أن يقتل رمياً بالرصاص.

ب - يحول عينيه عن قراءة الرسالة ملتفتاً فجأة اليهم - أطاق سراحه أيها الضابط ، فانى أرانى فى حاجة إلى سجينك هذا !

الضابط - إن ارادة جلالتكم لا مرد لها .

س - يتنحى جانباً - « جلالتكم مرة أخرى ؛ ما معنى كل هذه الاحاجى ؟ آه لقد بدأت تتجلى لى الحقيقة ...لقد كانت فى هولندة اشاعات كنت أسمعها - وقت أن غادرتها - فحواها أن قيصر روسيا كان يشتغل معنا فى أحد أحواض بناء السفن ، فهل يمكن أن يكون « بطرس » رفيقي القديم هو الامبراطور ؟

ب - لقد اهتديت إلى سرى الآن يا ستانمتز .

س - إذن فأنت ال ...

« يرتمى ستانمتز على أقدامه »

ب - انهض يا صديقى ... انهضى أيتها الأم العجوز ، لقد أصبح ابنك « البارون ستانمتز » آمنا

س - « البارون ستانمتز »

ب - نعم ، فانى في حاجة إلى خدماتك اترأس مصنع بناء السفن الذى

أنشباته فى « سان بطرسبرج » - لقد تحتم عليكم الآن أن تستعدوا للسفر إلى المدينة الجديدة توا ... وأنت يا ميخائيل ! فلتكن « كاترين » بارونة ؛ ولتحضرها معك فى الغد ... صه ! لا أريد شكرا ! ... ان لدى واجبات هامة تستدعى عنايتى ، ولهذا السبب وحده لا أستطيع حضور عرسكما ... هاك صرة من «الروبلات» وسيوافيك أمرى فى الصباح ... وداعا ...

س - آه ... بطرس ! بطرس ! عفوا ... أريد أن أقول « جلالتكم ! جلالتكم » آه ! ما أشد حيرتى ، لست أدري كيف أقول ؛ ولا بأى لسان أفصح عن شكري إياك! سامحنى ياصاحب الجلالة ! سامحني يا صديق بطرس. . . إنى حالم بلا شك !

ب - هاها ... إلى اللقاء يا رفيقي القديم ... سنلتقى ثانية بعد زمن قريب جدا ... بلغ « كاترين » تحياتى القلبية

(يخرج بطرس)

س - (مخاطباً الضابط) - بربك خبرنى أيها الضابط ! متى تنعقد المحكمة العسكرية ؟

الضابط - سامحنى يا سيدى البارون ، ولا تنس أن تقول في كلمة طيبة ، فى حضرة القيصر حين تسنح لك الفرصة .

س - أين أنت يا كاترين ! ... أى حلم لذيذ سأقصه عليك ... وافرحتاه

(عن الانجليزية)

جزيرة الرجاء (١)

فى احدى المستعمرات الانجليزية النائية يقيم الكولونيل «كنستابل» وصديقه المخلص الكابتن «روبرتس» وثالث هو اللورد «فانور» أما الكولونيل والكابتن فتلوح على محياهما سيما الجد والنزاهة وتربطهما أواصر الصداقة الطاهرة والميل المتحد، هذا يشعر بأن كل سعادة يصيبها صديقه انما هى سعادته، وذاك يود لو استطاع اسعاد صاحبه بكل وسيلة ممكنة.

أما اللورد «فانور» فشخص تلوح عليه أمارات الشرف وترتسم على محياه شارات البله والنذالة، يشعرك منظره أنه رجل ضعيف، لا هم له فى الحياة إلا قضاء لذة وقتية حقيرة - كلفه ذلك ما كلفه من خيانة أو عار - وكانت بينه وبين السيدة «كونستابل» علاقات غير شريفة، فانتهز فرصة سفر الكولونيل فى الليلة التالية، ليقابلها ويتعرف منها موعد المقابلة فى الليلة التى يسافر فيها زوجها، وقد حددت له الموعد فى الساعة العاشرة من تلك الليلة، فغادرها فرحا بما يستقبله من لذة وشيكة، وبينما هو سادر فى أحلامه الجميلة اذ رأى الكولونيل والكابتن جالسين معاً يلعبان الشطرنج، وحانت من الكابتن التفاتة فرأى اللورد، فلم يتمالك نفسه من الانفعال لأنه يعرف معنى ما يرتسم على أسارير وجهه من الخيانة والأثم، ولأنه يغار على عرض صديقه الكولونيل كما يغار على شرف نفسه، وبدا عليه الذهول فتوقف عن مواصلة اللعب فالتفت اليه صديقه مستفسرا عما أهمه، فلم يجبه، فحسبه عاشقا يفكر فى معشوقته، فسأله: «لعلك تفكر فى حبيب لك؟» فانتبه من ذهوله وابتسم له دون أن يفضى اليه بسر هذا الذهول حتى لا يعكر عليه صفوه، ولكنه سأله: «هل عزمت على السفر وحدك أم أنت مصطحب زوجك

(١) من كتاب «مختار قصص السينما»

معك ؟ » فقال له : - « بل عزمت على السفر وحدى » فسكت الكابتن ، وبعد لحظة قصيرة تركه الكولونيل يذهب الى حيث يودع زوجه وخرج فانتهز الكابتن هذه الفرصة وذهب الى اللورد الجالس على مقربة من مقعده ودار بينهما كلام جاف ، ثم غادره الكابتن ذاهباً الى سبيله .

عاد الكولونيل بعد أن قبل زوجه فتلقاه الكابتن بالبشر ، وبعد أن أعد كل شيء لسفره ودعه آسفاً . وانتهز اللورد هذه الفرصة السانحة للذهاب الى منزل حبيبته « السيدة كونستابل » ولما كان الكابتن على ثقة من نوايا اللورد الخبيثة ، كلف حارساً من اتباعه بمراقبة منزل الكولونيل وتعرف اخبار من يدخله فى تلك الليلة ، وبعد قليل جاء اللورد مع ملازمه «ميرجان» فكلفه بحراسة المكان وعاد خادم الكابتن الى سيده فأخبره بكل شيء

ولم تكد تمر برهة قصيرة حتى صدر أمر من الحاكم العام بالستدعاء الكولونيل « كونستابل » فأرسلوا خلفه سيارة للحاق به .

وخشى الكابتن « روبرتس » على صديقه أن يعود فيرى زوجه متلبسة بجريمة الخيانة فيختبل أو يصاب بأذى ، فبعث بحارسه اليها ليخبرها بعودة زوجها توا ، ولم يكد يصل الى القصر حتى لمحه « ميرجان » ملازم اللورد « فانور » فانقض عليه من خلفه ليقتله ، ودارت بينهما معركة عنيفة انتهت بقتل الرسول قبل أن يبلغ الرسالة الى الزوج الخائنة !

سمعت الزوج وعشيقها صياح الرسول المقتول ففزعا ، ولما عرف اللورد سر الأمر ، وبخ خادمه واحتثه على الهرب لينجو من حكم الاعدام المحقق

* * *

وهنا يأتى الزوج فتذهل الزوجة هذه المباغتة ، ويسرع العشيق هاربا قبل أن تقع عليه عيناه ، فاذا لمح الزوج شدة اضطراب زوجته سألها عن سبب ذلك فتخبره أنها سمعت صوتا أزعجها فى الحديقة ، ثم تسقط خائرة القوى . خرج الزوج الى الحديقة فرأى الرسول مقتولا فحار في أمره وضرب أخماساً

لأسداس دون أن يهتدى الى تعليل ذلك اللغز الخفي ، فاذا جاء اليوم التالى جاءه رسول يحمل اليه قبعة « فانور » التى تركها في مخدعه حين فر ليلة أمس ، فتزداد حيرته ازاء تلك الألغاز المحيرة !

يتقابل اللورد « فانور » مع السيدة « كونستابل » مصادفة في عيد الشفقة فى ذلك اليوم - فيهمس فى اذنها أنه نسى قبعته عندها فترتبك ، فيطلب اليها أن تثق به وتنفذ ما يشير به عليها لتخلص من ذلك المأزق ؛ ولا يكاد ينتهى من الافضاء اليها بخطته حتى يباغته الزوج فيسأله : « كيف تفسر وجود قبعتك فى مخدع زوجتي » فيقول له : - « أفضل أن تجيبك زوجتك على هذا السؤال؟ »

وتسرع الزوجة قائلة : - « آه يا زوجى العزيز ، لقد نسيت أن أنبهك الى أمر أعلم أنه يحزنك ! »

فيسألها : « وما هو هذا الأمر ؟ »

فتقول : — « إن روبرتس الذى يدعى صداقتك قد ازعجنى بالحاحه ليلة أمس محاولا اغرائى ، فاضطررت الى استصراخ اللورد ؛ وقد أراد رسول صديقك أن يتدخل فى الامر فقتل .

وهنا يدخل الكابتن فيجد الزوج متهيجا ، فاذا سأله عن جلية الأمر ، بادره الزوج باتهامه بمحاولة اغراء زوجه ، وأسرع اللورد الى توبيخه وقال له —

— ان الامر متعلق بشرف سيدة يا كبتن

ومن ثم يطير طائر حلم الكابتن المخلص ويفهم سر المؤامرة ، فيمسك بتلابيب اللورد ثم يلقي به الى الارض محاولا خنقه فلا ينقذه من يده الا تدخل الناس فى الامر !

يساق الكابتن الى المحكمة فتجرده من ألقاب الشرف وتنزع اوسمته بعد أن تسأله عن أوجه دفاعه فلا يجيبها بشىء مفضلا تدنيس شرفه على تدنيس شرف صديقه !

و بعد ستة أشهر ترى باخرة تقل الكثيرين ، من بينهم الآنسة « ماجى » ابنة المالى الكبير « السر ديان » وخطيبة اللورد « فانور » وتدور بينهما و بين بعض المسافرين محاورة فى أمر خطيبها اللورد الذى يترقبها بفارغ الصبر ، ثم تهب عاصفة عنيفة فتقطع عليهم هذا الحوار ، ويزداد هبوبها فيلتجئون الى أسفل السفينة ؛ ثم تزداد شدة وعنفا ، فيشمل الذعر كل من فى السفينة ؛ و يعلو صراخهم ودعواتهم للقدرة الألهية أن تنقذهم من ذلك الهول ؛ وتعصف الرياح الهوجاء بالسفينة فتصبح كالريشة في مهب الريح . ثم تشرف على الغرق فيسرع من فيها الى قارب النجاة وبعد لحظة قصيرة تغرق السفينة ثم يتبعها زورق النجاة هاويا براكبيه الى قاع البحر .

وترى فتاة مشرفة على الغرق ، هى الآنسة « ماجى » ينشلها ربان فتى قوي العضل مفتول الساعدين و يظل يجذبها اليه حتى تقذف بهما موجة قوية الى شاطئ جزيرة منعزلة فتلقي بهما اليها . يضنعها على الحشيش و يأخذ فى العناية بأمرها حتى تعود الى رشدها فتشكر له شهامته و نبله ، ثم يبحثان عن مأوى لهما بين الصخور و يشرعان فى تنظيمه فاذا أصبح اليوم التالى ربط الربان وسطه بحبل طويل أمسكت الفتاة بطرفه وقذف بنفسه فى اليم حتى وصل الى السفينة فأخرج منها ما يحتاج اليه من مؤونة وذخيرة ، قاذفا فى الماء بكثير من الصناديق الملأى بنادق و رصاصا ليدفعها الموج الى الساحل ؛ ثم يكر سابحاً مغالبا الامواج الثائرة والفتاة تجذبه اليها بالحبل ، حتى اذا بلغ الشاطئ ووضع عليه إحدى قدميه أمسكت بالأخرى إحدى حيوانات البحر الفتاكة فظل يغالبها حتى يغلبه الاعياء والضعف ، فيستسلم للقضاء

لم تفقد الآنسة « ماجى » رباطة جأشها أمام هذا المنظر المرعب ؛ بل أسرعت الى مسدسها المحشو رصاصا واطلقت بضع رصاصات أردت ذلك الحيوان المخيف قتيلا ، ونجا الربان بفضل تسديدها و رباطة جأشها

وكان اللورد « فانور » يترقب وصول السفينة بخطيبته بفارغ الصبر وكان أبوها يحدثه بأنها ستصل بعد احدى عشرة ساعة ويظهر له أسفه الشديد على عزوف ابنته عن الزواج منه

ولم يكد يتم قوله حتى دهمته لا سلكية بخبر العاصفة التى تهدد المركب بالغرق فارتاع ، وبعد لحظات قليلة جاء خبر غرق السفينة فجزع من هول الفاجعة وانشغل اللورد « فانور » عن زيارة السيدة « كونستابل » فأصبح لا يزورها الا لماما .

* * *

أما الربان فقد رأى فى الجزيرة آثار القرصان (لصوص البحر) فأعد للأمر عدته ، أحبته الفتاة لما رأته فيه من الشجاعة وجمال الخلق ، وتجاذبا معا أطراف الاحاديث المختلفة

فعرفت منها الآنسة أن هذا الفتى الشاب الذى يخاطبها هو الكابتن « روبرتس » الذي نزعوا عنه أو سمته وطردوه من الجيش : فسألته عن صحة القصة وهل كان حكم المجلس الذى أصدره عليه عادلا ؟ فقال : « انها على كل حال قد ادعت ذلك وصدقها المجلس ! »

وبعد أيام قلائل عثر الربان على عظام بشرية فارتاع ، ثم على قطعة نحاسية يستدل منها على حقيقة أمر هؤلاء الموتى ويعرف السر الذي جاء بهم إلى هذه الجزيرة ويهتدى إلى أن الذهب كان وحده سبب هلاكهم . ولا يلبث أن يعثر على السر الذي عجز عن الاهتداء اليه غيره، فيلتفت اليها قائلا :

- : لقد أصبحنا من أكبر الاغنياء يا آنسة ؛ لقد عثرنا على الذهب.

- : ولكنا إذا قضينا حياتنا هنا لم يجدنا ذلك

- : ربما نجونا من هذا الأمر فأصبحنا شريكين فيه .

- : حقق الله الآمال .

يخرج الكابتن « روبرتس » إلى الصيد كعادته فى اليوم التالى فيسترعى

انتباهه - بعد بضع ساعات - صوت طاق نارى ؛ فيسرع إلى الفتاة فيجد القرصان يحملونها إلى سفينتهم فيمطرهم وابلا من الرصاص فيقتل منهم عدداً وافراً ، يتركها القرصان قانعين بالهرب . فيعرف الكابتن أن رئيس القرصان سيعيد الكرة عليهم وأنه سيضاعف من رجاله ليثأر منهما ؛ فيتخير الكابتن موقعاً حصيناً مشرفا على البحر ، وتعينه « ماجى » على تحصينه . وفى اليوم التالى لمحا بالمنظار جماعة القرصان مقبلين فأخذا أهبتهما . وطفق القرصان يبحثون فى كل ناحية من نواحى الجزيرة عنهما فلم يهتدوا إلى مكانهما .

جن الليل فلم يعقهم ذلك عن مواصلة البحث ، ولما أصبح الصباح عرف الربان أن أمرهما كاد ينكشف ، فأمطرهم وابلا من الرصاص فقتل منهم عدداً كبيراً ، ثم فرغت الذخيرة فارتبك وحار في أمره - ورأى رئيس « القرصان » أن أمر القتال سيطول فذهب مع أحد أتباعه رافعاً راية السلام ؛ وقال له : « إن سيدى يقول انه سيبقيك حياً اذا أعطيته المرأة التى معك » .

- هذا محال !

- اسمع ألا تعرفنى ؟ أنا ميرجان الذى كنت ملازماً للورد فانور وقتلت خادمك يا كابتن « روبرتس » فهل أستطيع الآن أن أؤدى اليك خدمة ما ؟

- « نعم إذا شئت ! »

- « اذن تظاهر بشتمى وقل : « ما ذا تريد » بلهجة المهدد حتى لا يرتابوا فى نيتى نحوهم ! »

- « أريد أن تضع ماء فى الاناء الذى انزله لك عند منتصف الليل ! »

وبهذا تنتهى المحاورة ، ويعود رئيس القرصان صاخباً . أما الآنسة فتطلب إلى الكابتن أن يسلمها اليهم ما دام فى ذلك نجاته وسلامة حياته .

وهنا تلتقي النظرتان اللتان يحيط بهما الموت ؛ فتقترب الشفتان من

الشفتين وتكون القبلة الأولى التى زادت أواصر الحب بينهما تمكينا .

- أحبك يا ماجى من كل قلبى -

وأنا أقدسك وأجن فى هواك

- الآن لا أرهب الموت بعد أن ظفرت بهذا الفوز!

وعند منتصف الليل يذهب اليهما الملازم « ميرجان » بالماء ولما أخذاه منه حذرهما من الهجوم العنيف الذى أزمع القرصان أن يقوموا به وقت الفجر ، ولما أصبح الصباح صاح «ميرجان »وأنذرهما بالخطر الذي يتهددهما . يسرع « القرصان » فى هجومهم الشديد ، فلا يجدون مقاومة فيتقدمون نحو المعقل حذرين ، حتى إذا دانوه رفعوا بسلاليمهم ليصعدوا عليها ؛ فاذا اقترب الصاعدون من نهاية السلم دفعهم الكابتن بسلمهم فهووا جميعاً وهوى معهم السلم إلى سفح الجبل وغرق منهم فى البحر من غرق

تكاثر العدد ودب اليأس فى قلب الكابتن بعد أن أنهكه الاعياء فأمسك بمسدسه يحاول الانتحار ، وفى هذه اللحظة يصعد كثير من القرصان إلى أعلى السلم ويرفع الكابتن مسدسه ليخترق رصاصه رأسه فيمزقه ويريحه من الحياة ؛ ولا يكاد يرفع المسدس حتى تنطلق قذيفة هائلة من مدفع ضخم على القرصان فتردیهم بين قتلى وجرحى

فيعود الأمل الى نفسى الكابتن وحبيبته ويمتلىء قلباهما ثقة وفرحا ، وينتهز الكابتن هذه الفرصة فيجيل بصره الى أجواز الفضاء فيرى زعيم القرصان هاربا فيطلق عليه رصاصة فيرديه قتيلا

كان السر « ديان » والد الفتاة « ماجى » قوى العزيمة فلم ييأس من لقاء ابنته بالرغم من توكيد الانباء الواردة بغرقها مع من غرقت بهم السفينة ، وكأن وحياً خفياً كان يؤكد له أنها لم تمت بعد ، فأعد سفينة حربية وجهزها بعدد كبير من أتباعه ، ورجاه اللورد « فانور » أن يصحبه معه فلم ير بأساً من

ذلك ؛ وظلت السفينة أياماً حتى اقتربت من جزيرة الرجاء، كما سماها « روبرتس » و« ماجى» تفاؤلا بما كانا يتوقعانه فيها من النجاة

طافوا بسفينتهم حول الجزيرة باحثين بالمنظار فلم يهتدوا الى أحد فيها ، واصلوا الطواف بلا ملل حتى اذا اقتربوا من مكانهم رأوا معركة حامية الوطيس فأسرعوا الى مناظيرهم فتبينوا حقيقة الامر ورأوا اجسامة الخطر الذي يتهدد الفتاة وحاميها ، فاسرعوا الى أضخم مدفع فى سفينتهم فأحكموا تصويبه نحو القرصان فاردوا منهم عددا كبيرا وهرب القليل منهم متعثرا فى اذيال الخيبة، ونجا الكابتن والفتاة وتحقق رجاؤهم فى السلامة بفضل هذه النجدة.

أسرع والد الفتاة « السير ديان » الى لقاء ابنته وضمها الى صدره فرحا بسلامتها ، والتقى نظر الكابتن باللورد فى هذا المكان فكان مشهدا بارعا ابدع فيه الكابتن فى اظهار احتقاره والازدراء به .

قدمت الفتاة حبيبها « الكابتن » الى أبيها معددة له ما قام باسدائه اليها من الخدمات الجليلة وكيف أنقذها أكثر من مرة من هلاك محقق، فأسرع السير « ديان » الى مصافحته شاكرا له حسن صنيعه .

وتقدم الخادم « ميرجان » الى الكابتن وقص عليه قصته كلها وكيف قتل رسوله ثم فر هاربا خوفا من الاعدام ، فوعده الكابتن بأن يحمل اليه نبأ العفو عنه عقب وصوله سالماً الى المستعمرة .

ذاع خبر السلامة والنجاة ، ودخل الكولونيل « كونستابل » على زوجه يحمل اليها هذا النبأ السار قائلا لها :

- لقد عثر السير « ديان واللورد فانور على «ماجى» سالمة ، ووجدوا معها السير « روبرتس » أيضاً !

- ياله من جبان نذل !

- من هو؟

- اللورد فانور ؛ السافل الخادع ، الذى ذهب إلى « ماجى »

- ويلك أيتها الفاجرة ! ماذا تعنين بذلك ؟

* * *

وهكذا دفعها الغيظ والحنق على اللورد الذى مذقها الحب ، إلى الافضاء بحقيقة الأمر

فجن جنون الزوج وكاد يفترسها ، وجاء اللورد والسير والكابتن فى هذه اللحظة وما كادوا يبدأون حديث خيانة اللورد حتى وقف الكابتن فأمسك بتلابيبه مسكا عنيفاً حتى كاد يزهق روحه وهو يهدده بالموت إذا لم يقر بحقيقة الأمر ويعترف بما اقترفه من اثم وعار ؛ فيخبره الكولونيل أن زوجه الخائنة قد أخبرته بالقصة كلها .

يهدأ ثائرة الكابتن بعد أن وضحت براءته فينظر إلى اللورد « فانور » وعلى فيه ابتسامة الظافر :

« لقد أسديت إلى - عن غير قصد - أكبر خدمة ، فلولا نذالتك لما كنت اليوم أسعد رجل فى العالم »

وهنا يرغمونه على تقديم الاستقالة فلا يتردد فى ذلك ، ويقبل الكولونيل « كونستابل » على صديقه الحميم الكابتن « روبرتس » مقدراً له حسن صنيعه وعظيم تضحيته التى بذلها فى سبيل صون شرفه . ويعانقه بحماسة وحرارة . وتعاد للكابتن أوسمته وتهتف له الجنود محيية فرحة بانتصاره وظهور براءته وخذلان أعدائه

وتنتهى الرواية بزواجه من أحب انسانة لديه ، وتتم بذلك سعادته ويتحقق رجاؤه ومناه .

اوزفلورنسا

« هذى طباع الناس معروضة فخالطوا العالم أو فارقوا »

« ابو العلاء »

كان فى « فلورنسا » مدينتنا الجميلة ، مواطن غنى واسع الجاه مسموع الكلمة ، نشأ من أسرة غير وضيعة النسب ، اسمه « فيليب بولادوتشى » أحب زوجته - كما أحبته - الى درجة الهيام ، وعاشا معاً على أحسن مايعيش زوج وزوجة ، لا هم لأحدهما إلا إرضاء الآخر بكل وسيلة

ماتت الزوجة ، فكان موتها ايذانا بتفريق الشمل وقطع تلك الصلات المحبوبة التى تعد خير مثال للصلات الزوجية الطاهرة . ماتت وخلفت لزوجها طفلا تناهز سنه عامين ، فاشتدت وحشة الزوج ولم يجد ما يتعزى به عن فقد أعز انسان لديه فى هذا الوجود ؛ فضاق بالعالم ذرعاً ، وزهد فى لقاء الناس ، وكره الدنيا بأسرها ، فتصدق بجميع ماله ، وصمم على تكريس حياته وحياة ولده لعبادة الله .

لجأ الى جبل « ازينير » الذى تكتنفه الغابات ، وانزوى فى غار صغير ظل يقضى فيه طول وقته مصلياً متبتلا متقشفاً لا يقتات بغير ما يجمعه من صدقات الخيّرين . جاعلا نصب عينيه أن يربى ولده على الورع والجهل بكل ما فى هذا العالم من شئون حتى لا تشغله الدنيا وزينتها عن العالم الآخر . فكان لا يتحدث اليه بغير أحاديث التقى والزهد ولا يكلمه إلا عن الحياة الخالدة وجلال الخالق وسعادة الأبرار . ومرت الاعوام والولد لا يخرج ولا تقع عينه على شئ فى هذه الدنيا غير الطيور والحيوانات البرية

فاذا خرج الوالد مرة الى « فلورنسا » لم ينس أن يغلق على ولده باب الغار واستمر على ذلك حتى بلغت سنه الثامنة عشرة ، ومرت به هذه السنون كلها دون أن يعرف أن فى العالم امرأة أو فتاة !

أصبح الناسك- وقد بلغ سن الشيخوخة- فى ذات يوم أراد أن يذهب كعادته الى المدينة لجمع الصدقات التى اعتاد جمعها ، فسأله الفتى الى أين يقصد؟ فأجابه الشيخ بأنه ذاهب الى حيث يجمع النذور والصدقات المعتادة ، من مدينة اسمها « فلورنسا » قريبة من صومعتهما

فقال الفتى :

« يجدر بك يا أبى أن تصحبني معك الى هذه المدينة وأن تعقد صلات التعارف بينى وبين أولئك الخيرين الذين يمدوننا بمعونتهم فانك قد جاوزت سن الشيخوخة وأوشك الضعف أن يقعدك عن السعى، وأنا شاب فى مقتبل

أيامى ، قادر على الرواح والغدو بلا كلفة ، وقد آن لك أن تستريح

« ثم انك يا أبتى فى آخر ايامك من الحياة فاذا خلفتنى هكذا ؛ فكيف أفعل ، وأى طريق أسلك وأنا لا أعرف أحداً ولا يعرفنى أحد فى هذا العالم ! »

* * *

اقتنع الشيخ بصحة هذا الرأى - لوجاهته وقوة تدليله - وظن ان ولده قد اكتسب مناعة خلقية طوال هذا الزمن وأن نفسه الطاهرة قد أصبحت بمأمن من الغواية والافتتان ببهرج الحياة وزخرفها . فلم يتردد فى تلبية طلبه واصطحبه معه الى « فلورنسا » .

* * *

وكأنما هبط الفتى من السحاب ، فقد استرعى بصره كل شىء رآه فى طريقه ، فدهش لرؤية المغانى والقصور والكنائس ، وطفق يسأل أباه عن كل مايراه ويستفسر منه عن اسمه ، فاذا أجابه ارتسمت على محياه دلائل الغبطة والابتهاج بما وصل اليه من علم ومعرفة ، واستمر الولد يسأل والوالد يجيبه على كل سؤال فينعم الفتى ويتملى برؤية محاسن لم يقع بصره عليها من قبل ولا سمعت بها أذنه طول حياته . وإنه لكذلك إذ لمح سربا من الفتيات لابسات أفخر حللهن ، وقادمات من حفلة عرس . فحدق الفتى اليهن تحديق فاحص منتبه ، وسأل أباه الشيخ : « من هؤلاء ؟ »

فأجابه أبوه — : « دعك من هذا ياولدى ، إنه شىء خطر ! »

فقال الفتى — : « ولكن ما اسم هذا الشىء يا أبت ؟ »

لقد أراد الناسك أن يتحاشى كل فكرة غير روحية تتعلق بأمر الجسد ، وخشى أن يتمادى الفتى فى القاء هذه الاسئلة التى ربما حركت فى نفسه دواعى الهوى الكامنة ، فلم يشأ أن يفضى اليه باسم هذا الشىء الجديد على حقيقته ،

فقال له : « ليس هذا إلا إوزاً »

ياللعجب العاجب !

ان ذلك الفتى الذى لم ير ولم يسمع مرة واحدة فى حياته بهذا الاوز قد شعر بارتباك غريزى قوى لدى رؤيته ، و لم يبهره جمال القصور ولا رشاقة الجياد ولا ضخامة العجول ، لم يبهره شىء من كل ماصادفه كما بهره هذا الاوز ، فصاح قائلا :

« أبى ! بربك أحضر لى أوزة من هذا الاوز ! »

ولكن أباه صرخ مدهوشا - :

« يا لله ! لاتفكر في ذلك ياولدى ، إنه شيء قبيح ! »

— : « ماذا يا أبتى ؟ أكذلك يكون مثل القبح ، أعلى مثل هذ الصورة يطلق هذا الاسم ؟»

— : « نعم ياولدى ! »

— : « لست افهم ما تعنيه ، ولا أدرى لم تسمى هذه الاشياء قبيحة ، وليس فى كل مارأيته أجمل ولا أبهج للنفس من هذا الذى تنعته بالقبح ! إنه ليخيل إلى أن صور الملائكة التى اريتنيها لم ترسم إلا محاكاة لهذا الاوز ، بربك يا أبى اليس فى قدرتنا ان نعود بواحدة من هذا الى صومعتنا ؛ لاتشغل بالك بأمره يا أبى فسأقوم نفسى برعايته والعناية بأمره ! »

فقال الناسك - : « لايا ولدى ، هذا مالا يكون ، انك لاتعرف كيف يقومون برعايته ! »

* * *

هنا أدرك الشيخ أن قوى الطبيعة لاتغلب ، وأن للغريزة سلطاناً يتضاءل أمامه سلطان الوعظ والتهذيب ؛ وندم على سماحه لابنه بمرافقته الى فلورنسا.

النزهة (١)

حسن افندي ضابط من ضباط الجيش المصرى دمث الأخلاق لين العريكة شديد الميل الى اصطناع المعروف ، عظيم الرغبة فى عمل الخير ، لم يسىء الى واحد من أصدقائه ، وربما نفع كثيراً من أعدائه وأنقذهم من مآزق محرجة متغاضياً عن اساءتهم ، وهو ميال الى العزلة قليل الاختلاط بالناس ، وربما رفه عن نفسه أحياناً لاهياً ممتعا النفس بلذات الحياة ، ولكنه - على كل حال - لم ينغمس فيها ولا تهالك عليها كما يفعل الكثيرون من أضرابه وأصدقائه من الشبان .

ولعل أظهر صفاته خلق الحياء الذى امتاز به بين أصدقائه وعشيرته ، وكثيراً ما ورطه فرط حيائه فزج به في مآزق مالية - ما كان أغناه عن ولوجها ، لولا إغضاؤه وتسامحه.

* * *

سافر يوماً الى « بور سعيد » ليمضى اجازته السنوية ، التى اعتاد تمضيتها كل عام ، في الاسكندرية تارة والسويس تارة أخرى ودمياط مرة ثالثة

اختار فى هذه السنة أن يقضى إجازته فى « بور سعيد » وكان أول عهده بزيارتها ، فرأى من جمال المدينة ما أدخل فى نفسه السرور والغبطة ، فجال فى أنحائها متنزها ، حتى اذا حان وقت الغروب ، جلس فى احدى قهوات المدينة ، مفكراً فى برنامج اجازته الطويلة ، مغتبطاً بما يستقبله من أيام الفراغ وراحة البال التى سيمضيها مسروراً فى ذلك البلد الجميل

لم يكد يستقر به الجلوس ، حتى وافاه الغلام يسأله عما يشربه ، فطلب اليه فنجاناً من القهوة ؛ ولم يكد يشربه ؛ حتى وافاه شاب ممتلىء الجسم

---

(١) من كتاب «قصص مصرية»

قوى العضل تلوح عليه دلائل الاضطراب والذعر

بدأه الشاب بالتحية ـ على غير معرفة سابقة ـ فرد عليه تحيته ؛ وجلس الشاب على الكرسى المجاور لكرسيه ؛ فمنعه حياؤه أن يظهر له شيئا من الفتور ؛ بل تلقاه ببشاشته الطبيعية ـ غير المتكلفة ـ التى اتسم بها ؛ ثم سأله عما يستطيع ان يقدمه له من المشروب ؛ فطلب قهوة ؛ فصفق للغلام فأحضرها

التفت الشاب اليه ضارعاً أن يصيخ الى نبئه ؛ وأن يكون عوناً له على مدلهمات الخطوب التى نزلت به ؛ و بدأ حكايته بصوت متهدج مضطرب تكاد تخنقه العبرات :

« سيدى ! ليس بينى و بينك صلة ؛ ولم يكن لى الشرف بلقياك قبل هذه المرة ؛ ولكنى أحمد هذه المصادفة التى أتيحت لى ؛ وأشكر العناية الالهية التى قادتنى اليك وجرأتنى على مخاطبتك ، فقد شجعنى ما يبدو على محياك من الادب الجم ودماثة الخلق ؛ وما قابلتنى به من الترحيب ـ رغم جهلك بى ـ على الركون اليك ؛ والوثوق بك فى أمر ، لم يكن يدور بخلدى قط أن يتدخل فيه غريب .

لا تعجب من أمرى فان المضطر يركب الصعب من الامور ، ولقد يلوح لى أنك غريب في هذا البلد مثلى ! »

ـ « نعم »

ـ : « هذا ما يزيدنى ثقة فى مساعدتك إياى »

ـ : « فى أى شىء »

: ـ « في مسألة تتعلق بأسرتى ؛ بامرأتى ! ، لقد جئت هذا البلد مع زوجى منذ شهرين ؛ ومكثنا على صفاء طول هذه المدة ولكن عجوزاً من نساء هذه المدينة تعرفت بها منذ اسبوع تقريباً ؛ قد أفسدت على أخلاقها ؛ فظلت معى فى لجاج ومخاصمة انتهت بشجار كلامى عنيف فى هذا اليوم وقد صممت على مغادرتى والتخلص منى نهائياً ، وهددتنى بالترك والهرب إذا لم أطلقها . فرأيت

من الحزم ان اغلق عليها الباب محكما إرتاجه . ثم ابحث عن وسيلة لاقناعها بالعدول عن فكرتها الضارة ! انها زوجي التي لا يطيب لي العيش بدونها، انى احبها الى درجة التقديس . وليس لنا من قريب ولا صديق في هذا البلد النازح نلجأ اليه في حسم هذا النزاع ، وقد خرجت من منزلي هائماً مضطرباً ، يائساً من الاهتداء الى حل هذه المعضلة فلم يكد يقع ناظري عليك حتى شعرت بجاذبية عجيبة اليك ، وكأن هاتفا خفيا يهتف بي أن خلاص كربتي على يديك ! »

— «ولكن أية صفة تخول لي الدخول بين رجل وزوجة لم يسبق لي شرف التعرف بهما؟ لم لا تطلب الى أهلها أن يتوسطوا في اصلاح ذات بينكما؟»

— « ان أهلها هم مصدر من مصادر الشقاء ، وهم مقيمون في القاهرة ، وليس منهم أحد هنا ، وقد فررت بزوجي هربا من كيدهم ودسائسهم ! »

* * *

سار حسن افندي معه ، مدفوعا بحيائه وعطفه على ذلك الشاب المسكين ، بعد أن دفع للغلام ما يستحقه من النقود ، وكان في هذه المرة مرتديا لباسا ملكيا ، فلما وصل الى المنزل أحس انقباضا لم يعرف مصدره ، فغالبه ، وصعد معه السلم حتى بلغا الدور الثالث ، فتح الشاب الباب ، وأدخله في حجرة منتحية من الشقة ، ثم طلب إليه ان يتريث بضع دقائق ريثما يحضر له زوجه ، ليصلح بينهما.

سمع حسن افندي صوت فتح الباب الخارجي ثم إغلاقه ثانية ، وشعر بصرير المفتاح ، فداخلته الريبة ، انتظر بضع دقائق فلم يحضر أحد ، قوى عنده الشك ، ولكنه لم يلبث — بعد أن قلب الفكرة على جميع وجوهها وقتلها بحثا من جميع نواحيها — أن عاودته الطمأنينة ، وزال عنه القلق .

«ماذا يعنى هذا الرجل الغريب الاطوار بتلك المناورة ؛ لعله قواد يريد ان يعرفني بزوجه من طريق الحيلة ؛ فهو يسلك هذه الطريق في جلب الأخلاء اليها

وإذن فلا موضع للقلق . فسأرى امرأة جديدة وأشاهد رواية مشوقة !

أو لعله سارق ؛ ولكن بم يظفر منى هذا الغر ؛ وليس معى الا ساعتى الذهبية وقليل من النقود ؛ لا يضيرنى فقدانها ؛ أو لعله مدفوع الى الاضرار بى ، ولكن الى أى مدى يصل به ذلك ؟ إلى قتلى ؛ ها هى النافذة مطلة على شارع آهل بالسكان والناس بين غاد ورائح ، وأنا أستطيع باستغاثة واحدة أن أملأ البيت رجالا يقتحمون أبوابه و ينقذونى من كل ضير ، وها هو المسدس ممتلئا بالرصاص كفيلا بحمايتى من أى عدو مفاجىء

« وليس يعدو الامر أحد هذه الفروض »

وهكذا طمأن نفسه ؛ ولكن :

حسبتم يا بنى حواء أمرا فجاءكم الذى لم تحسبوه

*

* *

جلس يقظاً منتبه الخاطر ، يترقب الحوادث مستعدا لها ، ولكن خوفا وانقباضا ـ لم يدر سرهما ـ امتلأت بهما نفسه وأفعم بهما خاطره !

أحس وحشة فى المنزل الذي لم يسمع نأمة فيه . فتح باب الحجرة فانفتح ، خرج الى البهو فرأى باب الشقة ، أراد أن يفتحه فوجده مغلقا محكم الارتاج

دار في غرف الشقة فلم ير فيها أحدا ، رأى غرفة النوم مظلمة فأدار زر الكهرباء فأنارت ، وجد سريرا من أفخم الأسرة ، فدنا منه ، ورفع اللحاف قليلا فرأى وجها رائع الحسن

بسم ، وظن أن الرجل قد تركه فى الشقة ليصل به الى هذه النتيجة ، وحسب الفتاة تتصنع النوم

لمس كفها فوجدها باردة ، وتحقق من وجهها فرأى سمات الموت بادية عليه قليلا . . .

رفع الغطاء كله ، فماذا رأى

يا للهول — أمعاؤها خارجة ، ولا تزال المدية التي بقرت بطنها في صدرها غارقة في دماء الفتاة !

لقد حسب لكل شيء حسابه ، ولكن ما حدث فاق كل حسبان :

بينما امرؤ يتوقى الذئب عن عرض أتاه ليث - على العلات - يفترس

* * *

كيف يفر ؛ هذه هي العقدة الحقيقية ! لقد ترك النافذة مفتوحة لينادي الناس في ساعة الخطر ؛ أفي مقدوره الآن أن يستغيث بأحد؟

لقد صمم على ابلاغ البوليس - اذا سرق منه شيء ، ولكن شيئاً لم يسرق منه ، وأصبحت مشكلته الحقيقة هي الهرب من وجه البوليس قبل أن يفاجئه!

لقد استعد لمشاهدة رواية الفتاة التي حسبهم يعدونها له ليتمتع بها ، ويضحك من تمثيلها ، ولكنه وجدها مأساة مفجعة حقيقية ، ورأى نفسه بطل تلك المأساة القائم بأفجع أدوارها المروّعة !

أيستطيع أن يقفز من الدور الثالث الى الأرض ؟

أفي قدرته كسر الباب المحكم الرتاج ؟

ماذا يصنع ، كيف دبر له القدر هذه المفاجأة المروّعة في أول أيام اجازته التي أزمع تقضيتها وادعاً طروباً

ولم يوقظه من ذهوله ودهشته الا صرير المفتاح ، ودخول رجال التحقيق مسرعين الى ناحيته . . .

نظروا الفتاة غارقة في دمائها ورأوا « حسن افندي » واقفاً مرتبكا ذاهلا أمامها ، تلوح على وجهه دلائل الجريمة كلها ، من رعشة وذعر وارتباك ، وتؤيد الوقائع والظروف اتهامه . فانهالوا عليه صفعاً بالأكف وركلا بالأرجل

- لست القاتل

- صه ياوحش

- أقسم لسته

- اخرس ، اخرس يابن الكلب

أمسكوا بتلابيبه ، وقيدوه بالأغلال ؛ ثم ساقوه الى التحقيق

رأى « حسن افندي » ان انكاره لا يصادف أذناً سميعة

- كيف قتلت هذه الفتاة ولمه ؟

- لم أقتلها ، ولا فكرت في ذلك

- اخرس ياوقح

- أؤكد لكم انى غريب عن هذا البلد ، وأنى أجهل حتى اسمها

- اعترف بجرمك فلا فائدة من الانكار

- لم ارتكب جرماً قط

هذه محاولة غير مجدية ، قل لنا بم استحقت منك عقاب القتل ؟

- من هيه ، أنا لا أعرفها

- أتقتل من لا تعرفه

- أبداً أبداً لم أقتلها

- يا للوقاحة والاصرار !

* * *

أذهلته فداحة التهمة وفظاعتها وروعة الموقف وخطورته فتبلبل خاطره وتلعثم لسانه وتخبط فى بيانه فاندفع فى الهذيان كالمعتوه ؛ يقول كلاماً لا يفقهه ولا يدرى مغزاه أحد

ولما أصبح الصباح دعوه مرة ثانية يستفسرونه عن جريمته ولكنه أفاق من ذهوله وعاد اليه عقله فالتفت الى المحقق رابط الجأش وسأله أن ينصت لما يقول ثم أعاد عليه قصته من أولها الى آخرها فبعثوا الى غلام القهوة يستفسرونه فقرر

لهم ما يعزز صحة كلامه، وأثبت الكشف الطبي أن الجريمة ارتكبت قبل الزمن الذى ضبطت فيه باكثر من ست ساعات

قبض على الزوج المجرم فاعترف لهم بالحقيقة - بعد أن انكشف أمره ولم يجد فائدة من الانكار.

***

«كان الزوج من أسرة عريقة في الغنى. ورث عن أبيه أموالا طائلة فبددها فى لهوه ولذاته حتى اذا أفلس تزوج من تلك الفتاة طمعا فى حليها الثمين وتزوجت منه طمعا فى ثروته التى حسبته لم يبددها بعد، وكانت الزوج سيئة السلوك، فأغمض الزوج عينه عن ذلك طمعا فى المال؛ ولكنه وجدها أحرص من أن تفرط فى شىء مما تملكه، فاستحكم بينهما الشقاق الذي انتهى بقتلها، ولما عرف الزوج خطورة جريمته خرج هائماً - بعد أن خبأ حليها وملابسه - التى لوثها ارتكاب الجريمة بالدم - فى حجرة مظلمة مهجورة فى المنزل، ثم خرج هائماً يبحث عن فريسة ثانية يفتدى بها نفسه فلم يجد أمامه سوي «حسن افندي» الذى ساعده حياؤه وطيبة قلبه على تورطه فى تلك التهمة الشنعاء.

***

أطلق سراح «حسن افندى» بعد أن ظهرت براءته من ذلك الجرم الفظيع، وعوقب الزوج بالشنق جزاء ما اقترفته يداه من الاثم والعدوان!.

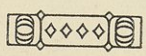

العجوز وتقويم السنوى (١)

كانت فى مدينة « بيزا » قاض مشهود له بالذكاء والكفاية ولكنه - رغم ذلك - على جانب عظيم من الضعف وخور العزيمة وكان بالغاً من الغنى أقصى حد، واسمه « ريشارد دى كوينتسيكا » Rechard de Quinzica وكان يظن أن سعادته لاينقصها سوى الزواج ، حاسباً أن طبيعة جسمه لاتزال قادرة على أداء ما يتطلبه من فروض ؛ كما يؤدى عمل القضاء الذى يزاوله بحذق وكفاية ، فجد فى طلب الزواج باحثاً عن زوج حائزة مزيتي الجمال والشباب ، وقد كان - على العكس من ذلك - جديراً أن يبتعد جهده عن هاتين المزيتين لو عقل (٢) !

اهتدى إلى طلبته ووجد الفتاة التى كان يتخيلها وهى « بارتلومى » ابنة السيد « لوتوجالندى » وكانت على الحقيقة من أجمل نساء « بيزا » وكان وجهها — لقسامته وصباحته - أجمل وجه فى عالم الحسن . تمت حفلة العرس ، ودخل القاضى العجوز على الآنسة الشابة

---

(١) من قصص بوكاتشو

(٢) ماأجمل قول المعرى فى هذا المعنى :

إذا كانت لك امرأة عجوز فلا تأخذ بها أبداً كعابا

فان كانت أقل بهاء وجه فأجدر أن تكون أقل عابا

وبدأ معها « التمرين المحبوب » ولم يكد ينتهى منه حتى خارت قواه وبلغ ضعفه أقصاه !

أجهده وأنهك جسمه تمرين واحد ، فما العمل اذن ؟ حاول فى الغد أن يعوض ما فقد من قواه المنهوكة فتهافت على شرب النبيذ وغيره من الأشربة التى تقوى الجسم فلم يجده شيء من ذلك

وثمة بدت له حقيقة أمره وعرف مدى ضعفه وعجزه عن الوفاء بحق زوجه الفتاة ، فطفق يلتمس الحل للخروج من هذا المأزق الحرج ويعمل فكره وذكاءه للوصول إلى طريقة يستر بها ضعفه وعجزه عن زوجه . فاهتدى إلى طريقة فذة، هى أن يدخل فى روعها أن في السنة أياماً خاصة لا يجوز

للزوجين فيها أن ينعما بلذات الزواج . وعثر على « تقويم » قديم من تلك التقاويم المطبوعة لتدريب الأطفال على القراءة ، وزاد على تلك الأيام أياما حتى كاد يجعل العام كله أعياداً ومواسم لا يجوز فيها للزوج أن يدنو من زوجه ، حتى لا يقعا فى إثم أو يرتكبا خطيئة . فقد أضاف اليها أيام الذكرى وأيام الصيام وأصوام الفصول الأربعة وأيام الآحاد الخ الخ.

حرمت زوجه لذات الزواج فضاق صدرها وضوعف سخطها ونقمتها، ولم ينس الزوج أن يرفه عنها بوسائل مختلفة، فكان - بين حين وآخر - يخرج معها إلى حقوله « فى الجبل الأسود » ويتنزهان معاً على شاطىء البحر

وفى ذات يوم ابتكر نزهة لطيفة تملأ قلبها سروراً وفرحاً. فاصطحبها معه الى البحر لصيد السمك - بعد أن أعد لهذا الأمر عدته - وأحضر سفينتين كبيرتين احداهما له ولأصدقائه الأعزاء، والأخرى لزوجه وصواحبها، وشرعوا فى الصيد وطاب الهواء وأبحرت السفينتان مسافة بعيدة وصفا الوقت وعم الحبور فلم يشعروا أنهم أوغلوا في البحر وبعدوا على الشاطىء كثيرا، وإنهم لكذلك إذ دهمهم قرصان معروف فى ذلك الزمن بسطوته وشدة بطشه اسمه « باجامين دى مونتيجوي » فقطع عليهم هذا السرور.

قصد القرصان إلى سفينة النساء وأجال بصره فيهن فلم يجد أجمل ولا أبدع من زوج القاضى. فأسرع اليها واختطفها - على مرأى من الجميع - ثم عاد أدراجه فرحاً بظفره دون أن يتصدى له أحد.

صرخ النساء وولول الشيخ القاضى وبلغ به الأسى والغم من هذه الكارثة مبلغاً لا يوصف، حاول بعد ذلك أن يهتدى إلى مقر زوجه المخطوفة فلم يفلح.

* * *

أما « باجامين » فقد بهره جمال الفتاة وسلب لبه فحمد الله على ظفره بهذا الكنز النادر المثال، وسهر عليها يرعاها ويطمئن قلبها ويستعطفها عليه ويبثها وجده وهيامه بها ويعزيها عن زوجها الشيخ حتى أقبلت عليه.

ولم يكد يجن الليل حتى قلب عليها جميع لذات الزواج - على اختلافها - ومرت الأيام فلم تر منه اهتماماً بسبت ولا أحد ولا جمعة ولا عيد، رأت كل الأيام والشهور عنده سواء لأنها كلها صالحة لأداء التمارين المحبوبة

قصد القرصان الى سفينة النساء

فهو لا يعرف تقويم زوجها السنوى ولا يدين بمثل تلك الترهات !

زاد حبها حين علمت أنها ارتاحت الى الأبد من ذلك الكابوس الثقيل الذى طالما لجأ اليه زوجها ليتخلص به منها، وزاد هيامها بالقرصان حتى نسيت كل شىء سواه فأصبحت لا تذكر « الشيخ » اذا مر بخاطرها إلا مزدرية ناقمة.

* * *

أما القاضى الشيخ فقد واصل البحث عنها دائباً غير وان ولا يائس من العثور عليها حتى اهتدى إلى مقرها -بعد جهد- ولم يصل اليه إلا فى المساء ورأته الفتاة - مصادفة- وهى مع عشيقها فأخبرته بمجىء زوجها ورسمت له الخطة التى يتبعها معه وزادهما ذلك شغفاً واقبالا فقضيا ليلة بهيجة ناعمين بالضم والعناق والتقبيل الى الصباح

فلما جاء زوجها إلى منزل القرصان - فى اليوم التالى - قابله القرصان هاشا باشا وسأله عما يريد فأخبره بقصته كلها وختمها متوسلا ضارعاً اليه أن يرد إليه زوجه المحبوبة التى لا يستطيع السلو عنها، ووعده باعطائه فوراً كل ما يريد من مال لافتدائها بالغة ما بلغت تلك الفدية

فالتفت إليه القرصان ضاحكا وقال -:

« إنى أرحب بك يا سيدى ولا أكتمك أن عندى امرأة شابة ولكنى أجهل أنها زوجك فلم يسبق لى شرف التعرف بك ولا بها مذ جاءت الى، وبما أنى أرى من ملامحك وسيماك دلائل الشرف والنبل فانى أقدم لك ما أستطيعه من صنيع فأسمح لك برؤيتها ولا شك أنها ستعرفك من النظرة الأولى إن كنت زوجها حقاً، ومتى اعترفت بذلك ورضيت بالعودة معك سمحت لك بها عن طيبة خاطر تاركا لك حينئذ تقدير الفدية التى تسمح بها.

وإنما يدفعنى إلى ذلك ما ألمحه على وجهك من دلائل الشرف

ولكنها إذا لم تعترف بأنك زوجها، أو اعترفت بذلك ثم رفضت الذهاب

معك فانك حينئذ تر تكب أشنع الخطأ إذا أصررت على أخذها قسراً .

على أننى لن أسمح لك بذلك فهى شابة و جميلة و للشباب و الجمال حكمهما النافذ، و ليس فى قدرتى أن أفرط فيها أو أرغمها على شىء لا يرضيها ! »

فقاطعه « ريشارد » قائلا — :

« كن على يقين أنها زوجى، ومتى جمعتنى بها ، ظهرت لك حقيقة ما أقول واضحة ، وسترى كيف ترتمى علىّ معانقة مقبلة متشبثة بعنقى وذراعى . إنى على ثقة من ذلك و لهذا ترانى لا أتردد لحظة فى قبول هذا الشرط »

فقال القرصان :

« هذا حسن ، فاتبعنى لتراها إذن ! »

* * *

و ثمة أدخله القرصان حجرة ثانية و نادى السيدة فحضرت كالكوكب المؤتلق من الحجرة المجاورة ؛ وأشرق جمالها فملأ الغرفة نوراً و بهجة . ثم حيت زوجها تحية فاترة كأنها لم تعرفه و لا رأته من قبل وكأنه لا يستحق أن تخاطبه بكلمة واحدة !

و لا تسل عما أصاب زوجها القاضى من الدهشة و الحيرة من هذا البرود العجيب الذى قابلته به، و ما كان يدور بخلده لحظة واحدة أن يصدر مثله من مثلها على انه لم يلبث أن تلمس لنفسه بعض العزاء فقال — : « لعل الآلام و الاحزان التى لا زمتنى منذ اختطفت منى إلى اليوم قد غيرت شكلى تغييراً تاماً ؛ فلم تعد تعرفنى »؛ و بعد أن مر بخاطره هذا الهاجس — التفت اليها قائلا — :

« آه يا صاحبتى العزيزة !

كم كلفتنى تلك النزهة التى أعددتها لك لادخل بها السرور على قلبك وأمتعك بالصيد فى البحر !

كم كلفتنى تلك النزهة من ثمن فادح من الحزن والألم منذ تلك اللحظة المروعة

التى فقدتك فيها . آه ! كم كنت قاسية ممعنة في القسوة ، إذ ثريتنى بعدهذا الغياب الطويل فتصمتين ولا تنبسين بحرف واحد ، كأنك ماعرفتنى فى حياتك قط؟ ، ألا ترحبين بزوجك « ريشارد » الذي جاء اليك ليرجعك معه إلى « بيرو » بعد أن يدفع عنك الفدية إلى ذلك الرجل الأمين ، الذى أبت عليه طيبة نفسه إلا أن يترك تقديرها كما أشاء ! »

* * *

نظرت اليه « بارتلومى » وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة ، ثم قالت له — :

« أيعنينى حضرة السيد المحترم بهذا الكلام ؟ أنعم النظر فى جيداً ، فلا شك أنك واهم فى حسبانك ، ولعلك قد خلطت بينى وبين زوجك ، فانى لا أذكر أنى رأيتك مرة واحدة قبل الآن !

فكر مليا ياعزيزى فيما تقول ، تثبت من رؤيتى جيدا ، فانك - إن فعلت تحققت أنى لست صاحبتك التى تعنيها !

معذرة يا سيدى إذا لم أنعم النظر فيك حين دخولى ، فقد كانت النظرة الأولى كافية للتثبت من أنك لست زوجى ! »

* * *

حار القاضى المسكين أمام هذا الانكار الجرىء ، وأطرق اطراقة قصيرة ، ثم عن له أنها لا تتكلم هذا الكلام إلا لأنها في حضرة « باجامين » القرصان ، اتقاء شره ، فطلب اليه راجياً أن يسمح له بالبقاء معها فى حجرة خاصة ، لينالا من الحرية فى القول قسطا أوفر .

وما كادا يدخلان الغرفة التالية حتى جلسا ؛ وبدأ الشيخ الطيب القلب يخاطب زوجه - وعيناه شاخصتان إلى وجهها ؛ وهى دائمة النظر إلى الأرض - :

« هيه يا مالكة قلبى ؛ ياحبيبتى ؛ ياز وجى المخلصة ، يا أملى الحلو ، ألا تزالين جاهلة صاحبك « ريشارد » الذي يفديك بنفسه . خبرينى كيف نسيتنى بهذه

السرعة ؟ هل وصل بى تغير الملاح إلى حد أن تجهلينى ؟

تثبتى من رؤيتى مستثيبة فإنى على ثقة من أنك تعرفيننى بأدنى نظر»

* * *

لم تكد السيدة تسمع قوله حتى أغرقت فى الضحك ولم تدع له فرصة لمواصلة حديثه بل قاطعته قائلة :

« إنك لتكون بالغا من السذاجة أقصى حدودها إذا حسبت أن ذاكرتى قد وصل بها الضعف إلى حد أن انساك فلا أعرف - لأول وهلة - أنك زوجى « ريشارد دى كوينتسيكا »

« على أنني إذا أغضيت عنك وتجاهلتك فلست حقيقاً أن تشكو مني ذلك وأنت الذي تجاهلنى طوال تلك المدة التي قضيتها معك !

ولو أنك تحبنى حقا - كما تحاول أن تقنعنى بذلك - أولو أنك تؤثرنى كما تزعم ، إذن لعاملتنى المعاملة الجديرة بزوج يحب زوجه - وهى فتاة فى ميعة الشباب ونضرته ، تحب أن تنال حظها من متاع الحياة ولذاتها.

أفكنت تجهل إذن أن فتاتك فى حاجة الى أمر بمنعها أن تطلبه منك حياؤها الطبيعى المركب فى بنات جنسها جميعا ؟

أنسيت تلك الطريقة المضحكة التى طالما لجأت إليها لتتخلص بها دائما من حاجاتى التى لم تقضها ؟ فاذا كنت تفضل تعاليم القانون ونصوصه على المرأة فقد كنت خليقا أن لاتقدم على الزواج !

ولكن كيف أقول ؟

انى ما اعتبرتك قاضيا قط ، بل « خالق احتفالات ومواسم وأعياد » فقد ظهرت لى براعتك وخبرتك الواسعة بأيام الصوم ومواقيت العبادة !

ألا فلتعلم ياسيدي أن دساكرك وعمالك لو ظفروا منك بمقدار ماتجود به على من أيام الراحة ؛ أولو أنك هجرت دسكرتك كما هجرت حديقتى الصغيرة

دون أن تتعهدها بالزرع لما استطعت أن تظفر فى نهايه العام بحبة واحدة من القمح !

ولكن الله أكرم من أن يترك أرضى بلا حرث ؛ لهذا شاءت ارادته - سبحانه - أن يتيح لى فرصة الوقوع بين يدي السيد « باجامين » الذي لا يعرف شيئا مما تعرفه من الأعياد والمواسم ولا يعنيه من أمرها شئ . أما أنت فقد رأيتك تواظب على الاحتفاء بها والبطالة لاجلها بحماسة وغيرة لم أجدهما فى أتقى الاتقياء والزهاد ، و تأبى إلا أن تتنسك فيها مفضلا حقوقها على حقوقى.

أما هذا فليس يعرف جمعة ولا سبتا ولا عشية عيد ولا شيئا من أصوام الفصول الأربعة ولا أي عيد من أعيادك التى لا تنتهى ، بل هو دائب ليل نهار يحرث أرضى بلا ملل غير مقصر ولا وان ، وقد قضينا في هذه الليلة قسطنا من الثمرين المحبوب . اذن فلا تنقم منى ان ترانى راغبة فى الاقامة طول حياتى مع هذا العامل المجد ! فان لى ذوقا فى الحياة ، وقد صممت على أن أكون عاملة مجدة مادمت شابة ، مرجئة أمر الأعياد والمواسم الى زمن الشيخوخة . ألا إن خير ماتفعله الآن هو أن تعود ياسيدي أدراجك على جناح السرعه !

فلترحل بلاوناء ، و لتصحبك سلامة الله فى عودتك فانك لن تحتاجنى في في الاحتفال بأعيادك ومواسمك التى تبتهج بها ؛ كما أننى لن أحتاجك فى أيام العمل التى انعم بها كذلك ! »

* * *

صعقت هذه الصراحة الجريئة قلب « ريشارد » المسكين ، و لقد حدثته نفسه - مائة مرة - أن يقاطع كلامها فمنعه من ذلك أنه فى منزل أجنبي ؛ فى منزل قرصان .

فرأى من الحتم عليه أن يعتصم بالصبر ، ولما انتهت من خطبتها قال لها بلهجة المحب العاني - :

« ماذا تقولين يازوجى المحبوبة ، وكيف تحكمين ؟

خبرينى كيف نطقت بهذا الكلام الجرىء ؟

هل نسيت شرفك وشرف أسرتك ؟

أفى حدود الامكان أنك تفضلين الاقامة مع هذا الرجل وتكونين له خليلة ؟ أتعيشين طول عمرك في أرجاس الخطيئة ، مؤثرة ذلك على أن تعودي الى « بيز » حيث تعيشين مع زوجك امرأة شريفة ؟

فكري أنت أن « باجامين » -اذا زهد فيك- لم يتردد فى طردك من بيته، أما أنا فسأظل وفيا معك لا أتحول عن حبك ما حييت ، إذا رجعت معى إلى « بيز ! »

فاذا حان موتى فستظلين ربة البيت وسيدة من فيه ! أفيجدر بك أن تنسيك اذن رغبة جامحة ولذة شائنة مجرمة، شرفك وزوجك الذى يحبك أشد الحب ؟

كلا ياحبيبة قلبى ، يجب أن تكفى عن ذلك العزم الشائن وأن لاتترددي ـ لحظة واحدة ـ فى العودة معى؛ وأنى لأعدك - بعد أن عرفت رأيك الآن - أن أعمل على اشباع نهمتك وفق ماتشتهين . سأهجر « تقويمى السنوي » الى الأبد ما دام في هجره مرضاتك، فهل تقبلين ضراعتى اليك ياربة الحسن ؟ وهل تقلعين عن عزمك وتذهبين مع زوجك الذي لم ينسك منذ اللحظة التى اختطفوك فيها منه حتى أصبح نهب الاحزان والآلام والضجر ! »

فأجابته الزوج - :

« آلآن - وبعد فوات الوقت - جئت تحدثنى عن الشرف ، وقد كان على أبوىّ أن يعنيا بأمره من قبل . حينما شرعا فى تزويجى منك دون أن يستشيرانى فى ذلك ؟ فاذا كانا لم يعنيا بأمرى حينذاك فلست أعنى بأمرهما الآن !

أما أنت فهدىء روعك ولا تشغل بالك بأمرى ولا بأمر أهلى .

على أنني مضطرة الى مصارحتك بالحقيقة كاملة :

اعلم أننى أشعر الآن كأننى زوج القرصان الشرعية ، وقد كنت أشعر وأنا معك فى « بيز » شعورا صادقا أننى لست لك إلا « خليلة » أو أننى امرأة لم تضعها فى بيتك الا للزينة ،كما كنت أشعر أنك تحتقرنى وتفعم قلبى بالآلام بلا شفقة باعراضك عنى .

أما « باجامين » فهو رجل آخر ، هو لى الزوج الحق ، إنه ليضمنى طول الليل بين ذراعيه ضما شديدا و يداعبنى بألف طريقة ، فاحكم بنفسك أيمكن أن أندم بعد ذلك على فراق مثلك؟ وتقول ـ: « إنك ستبذل جهدك في تلبية رغباتى » فما اكثر شوقي الى تعرف ذلك السر الذى اهتديت اليه فأصبحت قادرا على الوفاء بهذا الوعد ؟ هل أحالتك المصادفات الخارقة ـ بعد أن غبت عن عينك ـ من شيخ فان الى جبار فتى ؟

اذهب لطيتك واعمل بما أقول لك ، ولا تفكر إلا فى الأيام القليلة الباقية لك فى هذا العالم ، حتى يواريك القبر فيريحك من ضعفك واصفرارك وهزالك !

بقي لى أن أقول لك ـ مطمئنة الى تقرير ما أقول ـ : إن « باجامين » إذا طردنى فلن يكون بيتك مأوای الذى اتطلع للعودة إليه ، فان من العبث أن يجد فيك الفاحص ـ بعد أن تعصر ـ قطرة واحدة من ماء الحياة تجرى فى جسمك كله ـ كما أثبتت لى التجربة التى اتاح لى فرصة ممارستها شقاوتى وتعسى ، إذن ، فاطرد من ذهنك كل فكرة من هذا النوع ، وأيقن أننى سأبحث عن ضالتى فى كل مكان إلا مكانك ، على أننى لا أخشى أن ينصرف عنى قلب « باجامين » فانى عارفة بعواطفه وحقيقة شعوره نحوى . وأنى لأكرر لك القول مرة أخرى أن فراقي قد بت في أمره ؛ وأنى جديرة أن أعيش هنا حيث لا نعرف للأعياد والمواسم وأيام الصوم معنى.

فارحل إذن ولا تضع من وقتك اكثر مما أضعت ، وإلا خرجت مستعدية عليك القرصان ؛ قائلة له إنك تريد أن تقسرنى على الذهاب معك !!!»

* * *

ولما رأى السيد « ريشارد » مالحقه من إساءة « بارتلومى » أدرك خطأه الذى وقع فيه، إذ تزوج من فتاة صغيرة لا يتناسب سنها مطلقا مع سنه ، وتفرق بينهما هاوية سحيقة هائلة

* * *

خرج من الحجرة خجلا مستخزيا ، يفعم اليأس قلبه

ولما شيعه « باجامين » التفت اليه صاحبنا متمتما كلمات تدل على أنه قد وعى هذا الدرس القاسى وأدرك شناعة الخطأ الذى وقع فيه .

* * *

وهكذا خرج « ريشارد » الطيب القلب ، بعد أن رأى فشل خطته وانهزامه فى التأثير على نفس زوجه ؛ وكم كان يود أنه لم يضع فى هذا البيت قدما .

* * *

قصد الى « بيز » مسرعا بلا وناء ، وقلبه مملوء باليأس والحسرة لما منى به من الفشل في سفرته ، ولم يلبث أن أنهك جسمه الحزن الألم اللذان سببتهما له خيانة زوجه !!!

* * *

أما مواطنوه فقد كانوا أبعد الناس عن الرثاء لما أصابه فاتخذوا من السخرية وسيلة الى العبث به والضحك عليه ؛ فكانوا يشيعونه - فى حيثما ذهب - بقولهم - :

« الغر الخبيث » « السيد القاضى لا يريد الآن أعيادا »

وقد زادته هذه السخرية آلاما على آلامه فلم يعش إلا أياماً قلائل انتهت بموته !

* * *

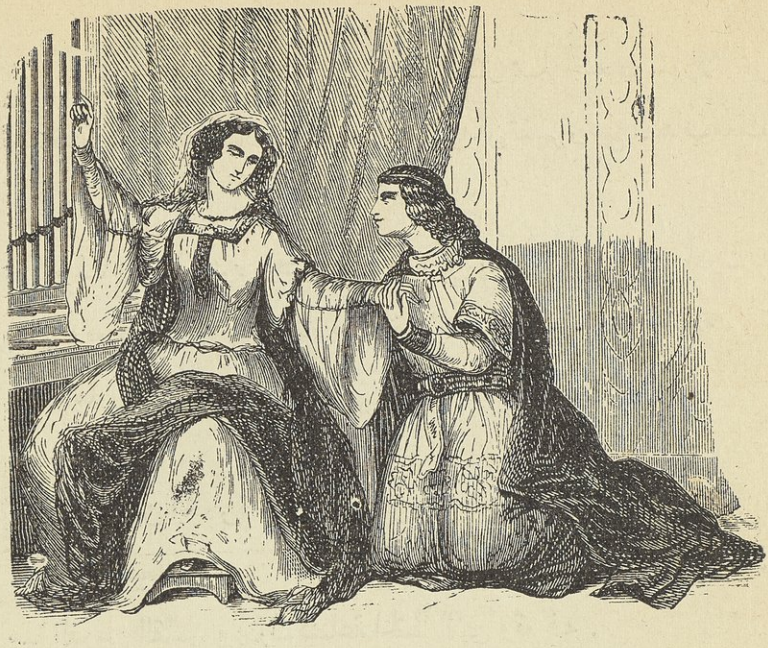

ولم يعلم صاحبنا « باجامين » بموت القاضى ، حتى تزوج من تلك السيدة التى كان يقدر لها عطفها و إخلاصها ؛ ولم يغير عقد الزواج الشرعى من طريقة عيشهما شيئاً . فقد واصلا العمل فى تعهد الحديقة الصغيرة وحرث أرضها بكل ما أوتيا من قوة ، وظلا عائشين مغا طول عمرهما ؛ لا يعرفان شيئاً من أيام الصيام والأعياد ولياليها !!!

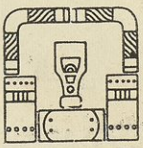

الفاجر (١)

كيف أصبح قديساً

* * *

«فرانسوا موشا» تاجر غنى أكسبه غناه حظوة فى البلاط الفرنسى، فأصبح من كبار الحاشية، ففي ذات مرة تلقى أمراً بالذهاب مع «شارل سان تر» أخى ملك فرانسا، إلى «توسكانى» تلبية لدعوة البابا «بونيفاتشى»، وكان «فرانسوا» هذا مضطراً إلى الأنفاق عن سعة، استعدادا لتلك الرحلة فاضطربت لذلك ماليته

---

(١) مهدت مجلة الحديث الغراء التى تصدر فى حلب لهذه القصة بما يلى :

«اشرق فى فجر النهضة الأوروبية ثلاثة من أئمة الكتاب كانوا حقاً من أكبر مجددى عصر الآداب وهم : «دانتى» خالق اللغة الايطالية، «وبترارك» نابغة الشعر، و«بوكاتشو» إمام القصص. وقداشتهر «دانتى» برسالته العالمية «La Comédie Divine» التي سلك فيها نهج المعرى فى «رسالة الغفران»، واشتهر بترارك بشعره ونثره الذائعين، وهما عند الايطاليين فى أعلا طبقات البلاغة.

أما بوكاتشو فقد اذاع صيته وخلد ذكره كتابه الفذ «دى كمرون» وهو مجموعة قصص خالدة، جمعت — إلى رشاقة الأسلوب — افتنان الروائى القادر، وبراعة المنشىء الساحر، وهى مع ذلك نقد صريح ودعوة جريئة «إلى حرية الفكر» وهدم التقاليد والخرافات التى كانت تذاع فى عصره.

«ويسرنا أن نبشر قراء «الحديث» بأن صديقنا الأستاذ المجدد كامل افندى كيلانى قد تناول طائفة صالحة من هذه القصص بالنقد والتحليل، وخص «الحديث» بواحدة منها ترى فيها صورة الرجل الفاجر الذى استطاع أن يهزأ بما فى العالم من تشريع وعرف، ثم مات وهو يلقى على «العالم» درساً قاسياً يصيح فيه بان على كثير من المظاهر التي يقدسها الناس ثوباً موهوماً من الكذب والملق والرياء».

ودب الخلل فى أعماله التجارية ، ورأى من المحال عليه أن يتعهد بنفسه اصلاح مافسد من أمره قبل رحيله ، ففكر فى اسناد أمرها إلى فئة من الناس ، ولكن أمراً واحدا حيره ووقف عقبة فى سبيله ، ذلك هو البحث عن رجل على جانب من الذكاء والخبرة ليتمكن من الحصول على ديونه الكثيرة المستحقة له على عملائه « البرجونيين » الذين عرف منهم المماطلة وسوء الخلق ، وهم قوم أنذال اخساء نمامون لاذمة لهم ولا شرف ، ولا أمل في اقناع هؤلاء بغير رجل مثلهم وعلى شاكلتهم ، وبعد أن أطال التفكير فى ذلك الأمر ، اهتدى إلى رجل اسمه « شابليت ديبرا » ذكر أنه طالما رآه فى منزله بباريس ، وقد كان يدعى أولا « شابل » ولكن الفرنسيين صغروا اسمه لما رأوه فيه من القماءة وضآلة الجسم ، فذاع اسمه مصغرا بين جميع الناس وأصبح لايعرف بغيره.

كان « شابليت » هذا مستهترا فاجرا ، اشتغل - أول أمره - بكتابة العقود فلم يفلح ، وكسدت سوقه بسبب ماعرف به بين الناس من فساد الذمة إلى حد جعلهم يرتابون فى كل عمل يقوم به ؛ ويرمونه بالتزوير ؛ وقد أحنقه ذلك عليهم ؛ فكان يتطوع لنصرة الباطل بلاأجر ، مفضلا ذلك على تقرير الحق مهما نقدوه عليه من ثمن ؛ فلا يحتاج أحد شاهد زور حتى يجد صاحبنا هذا على أتم استعداد ؛ وربما قدم نفسه متطوعا لأداء تلك الشهادة دون أن يدعوه إلى أدائها أحد .

ولقد كان الناس - على عهده - فى فرانسا شديدى التمسك بدينهم وكانوا لذلك يتأثمون من الحلف ، فرأى هذا الرجل فى ذلك فرصة صالحة لكسب القضايا ، مادام لايجد فى نفسه حرجا فى أن يقسم بمحرجات الايمان أمام القضاة الذين يضطرون إلى تصديقه . ولم يكن أبهج إلى نفسه من أن يلقي بذور الشقاق والتفرقة بين الأسر ، ولا أدعى لغبطته وأهنأ لباله من أن يرى جاره يقاسى الوان العذاب ، وان يكون هو مصدر هذه المحن . كان لايفكر فيه أحد إلا

ليستعين به على انجاز شر أو الحاق اذى ، وهو لايرفض شيئاً من ذلك ، ولا يتعفف عن اقتراف جريمة بالغة مابلغت من الشناعة . كان ضيق الحظيرة عصبي المزاج لايكاد يعترض عليه أحد حتى يندفع فى سب الله والقديسين ، كان يسخر من الآيات السماوية ويحتقر كل ماتواضع الناس على تقديسه ، لايعرف للكنيسة بابا ولا تطأ قدماه غير أماكن الدعارة والفجور ، لايشعر بميل إلى النساء . بل إنه ليكرههن ، منصرفا عنهن إلى لذات أخرى - يشقى بها المجتمع ويأباها الذوق وتنافى الفطرة الانسانية - وكان يسرق - خفية وعلانية - أهدأ مايكون نفسا ، بل لقد كان يقترف هذه الفعلة بنفس مطمئنة راضية مرتاحة إلى ماتأتيه ارتياح القديس إلى الخير والاحسان ، كان شرها مدمنا على الخمر والقمار لا يخلو جيبه من أدوات الغش لمخادعة لاعبي القمار والتدليس عليهم

وجماع القول أنه كان شر مخلوق عرفه هذا العالم ، وقد تساوى فى الشكوى منه الصغار والكبار وتحاموه اكراماً لصلته «بموشا» ذي الحظوة فى البلاط الملكى!

قلنا ان « موشا » ذكر السيد « شابليت » الذي يعرفه معرفة خبير فرآه خير من يقوم بتحقيق آرابه ، وثم أرسل فى طلبه ، فلما حضر ، قال له :

« أنت تعلم أننى على أهبة السفر من هذا البلد و أن لى على « البورجونيين » ديونا كثيرة وهم - كما تعلم - مخادعون لاذمة لهم ولا عهد، ولست أعرف أحداً أقدر منك على مطالبتهم بديونى ، وليس لديك من الأعمال الآن مايشغلك عن القيام بهذه المهمة فاذا شئت الاضطلاع بها أتيتك برسائل التوصية من البلاط و تنازلت لك عن مبلغ كبير مما تأتى به من المال

رأى « شابليت » أمامه بابا من أبواب الرزق - وهو فى حاجة دائمة إلى المال - ورأى أن (موشا) ملجأه الوحيد سيسافر من فرنسا، فقبل هذا الاقتراح طائعاً مختاراً ، وتم الاتفاق بينهما على ذلك وزوده (موشا) بما يحتاجه من المعدات و رسائل التوصية التى وعده بها من الملك ، ولم يكد يرحل السيد (موشا) إلى إيطاليا، حتى سافر صاحبنا الشقى إلى (ديجون) حيث لا يعرفه أحد ؛ وقد بدأ عمله بسلوك حميد مع مدينى سيده - على خلاف طبعه - مظهراً لهم ميله إلى النزاهة و تمسكه بالشرف، وكأنما أراد أن يبدأهم بالخداع حتى إذا ظفر بتضليلهم ظهر لهم آخر الأمر بثوبه الحقيقي ، وكان قد نزل ضيفاً عند شخصين من أهالى (فلورنسا) هما أخوان مرابيان رضيا بايوائه - بعد أن ضمن لهما حسن سلوكه واعتزامه انتهاج خطة الشرف والاستقامة - ولم يكد يمضى على وصوله زمن قليل حتى انتابه المرض فاسرع الاخوان إلى استدعاء الاطباء له ووكلا به من يعنى بأمره ولم يدخرا وسعا فى سبيل شفائه وانقاذه من المرض، ولكن عبثاً حاولا ، فقد ألح عليه السقم وتعاون عليه الكبر والضعف الذى سببته له حياته الأولى المملوءة بالفجور والأسراف، فسار من سىء إلى اسوأ حتى يئس منه الاطباء ، وأعلنوا عجزهم عن شفائه .

ولما رأى الاخوان ماوصل إليه من الضعف قلقا لذلك أشد القلق واعتراهما غم شديد ، فانتحيا مكاناً قريباً فى حجرة مجاورة له ، وأخذا يتشاوران فيما هما فاعلان ، فقال أحدهما : « ماذا يقول الناس فينا حين تنكشف لهم حقيقة

هذا الرجل الذي نؤويه عندنا وننزله منا منزلة الصديق الحميم ، لاجرم سينعتوننا بأقبح الأوصاف ويلصقون بنا أشنع التهم حين يقر للقسيس بآثامه وشروره، وأى قسيس يسمع منه اعترافه بما اقترف من شُنعه ، ثم يمنحه المغفرة أو يسمح بدفنه ، لاجرم سيلقى بجسد هذا الرجل كما يلقى الكلب ، وتحق علينا اللعنة ويحسبنا الناس شركاءه ، وثم تبور تجارتنا ونطرد من البلد ويحيق بنا الدمار ، على أننا ان كتمنا أمره ومات ـ دون أن يعترف للقسيس ـ لم نستطع دفنه ولم نخلص من لوم الناس جميعاً »

سمع السيد (شابليت) حوارهما فلم تفته كلمة واحدة منه ؛ وناداهما فقال : « لقد سمعت كل ماقلتما الآن ، فلا تثريب عليكما ؛ ولتكونا على يقين أنكما لن تصابا بأى ضرر من أجلى ولن يلحق بكما ماتوقعتماه من اذى. إننى اقترفت اشنع الآثام ولم أدع منكرا الا اتيته وليست حياتى كلها الا سلسلة مخازو آثام، فهل يعجزنى أن اختمها كما بدأتها ؟ واية فائدة لى من الصدق فى ساعتى الاخيرة ، ايخفف هذا من ذنوبى ؟ لا ، لا ، فاهدءا بالا ولا تنيا في احضار قسيس أيا كان ودعانى وإياه ، فلن يحدث الاما يسركما .»

اطمأن الاخوان الى قوله بعض الاطمئنان و انطلقا تواً لاحضار القسيس وفي قلبهما كثير من الشك فى أن يبر صاحبهما بوعده مع ما يعلمانه من كذبه وخداعه فظفرا بقسيس ورع ذكى متحمس لدينه ؛ مشهود له بين مواطنيه بالتقوى ؛ فلما رأى المحتضر جلس اليه هاشا باشا وشجعه بكثير من عبارات العطف والتشجيع ثم طلب اليه ان يعترف ؛ وكان أول مابدأه به قوله :

— « هل اعترفت بخطاياك لاحد قبل هذه المرة ؟ »

ولعل السيد « شابليت » لم يعترف لقسيس مرة واحدة فى حياته ، ولكنه أجابه :

— « اعلم يا أبانا أن من عادتى أن اعترف بخطاياي مرة فى كل أسبوع

بيد أن المرض فى هذه المرة قد عاقنى عن ذلك فمرت بى ثمانية أيام لم اعترف فى خلالها لأحد »

فقال له القسيس — « حسن جدا يا ولدي ! انى ابشرك بمغفرة من الله ورحمة ، وأحسب ان اعترافك لى بما اتيته فى أيامك الثمانية الاخيرة قصير جدا »

فأجابه صاحبنا - : « آه . . ! لا تقل ذلك يا ابانا المحترم ، فلن يطمئن قلبى ان لم أعترف لك فى هذه الساعة بكل ما اقترفت فى حياتى الطويلة من آثام منذ ولدت الى هذه اللحظة ، سلنى يا سيدى عن كل شىء ولا يمنعنك ضعفي وانحلال قوتى أن تستفسر منى عن كل دقيقه من خطاياى ؛ ولا تأخذنك بى شفقة فان من اليسير على أن أضحى بجسمى المنهوك فى سبيل انقاذ روحى وتطهيرها من الأرجاس ! »

أعجب الاب الصالح بهذه الكلمات أيما اعجاب وامتدحه على تقواه وورعه الصادقين ، ثم بدأ يسأله - :

« ألم تعص الله قط مع امرأة »

فاجابه « شابليت » متأوها من أعماق قلبه - :

« كيف يكون ذلك يا ابانا ؛ انى لأخجل ان اقول لك شيئاً من ذلك »

فقال له القسيس - ؛ « بل قل كل شىء يا ولدى بصراحة ؛ فان فى تقرير الحقيقة وحده غفران ذنوبك »

فأجابه شابليت - : « لا يسعنى ازاء ذلك الا الاعتراف لك بأننى لا أزال الى هذه اللحظة كما خرجت من بطن أمى »

هنا صاح الأب قائلا - « مرحى يا ولدي ؛ فليباركك الرب ! جزاء ما أظهرت من حزم وعفة وطهارة نفس ؛ ولو أنك اقترفت شيئاً من ذلك لوجدت باب المغفرة واسعا أمامك ؛ فلست مقيدا مثلنا بالتقاليد الروحية ولكن الله حماك من الدنس ! خبرنى ياولدى : هل وقعت في خطيئة من خطيئات الشره

فقال له:

« سامحنى يا ابانا فقد اقترفت كثيراً من هذه الخطايا بصورتى ، كان من عادتى ان أضيف الى أيام الصيام المفروضه علينا أياما ثلاثة أخرى من كل أسبوع ؛ اصوم فيها عن الخبز والماء ولكننى اذكر انى شربت في بعض تلك الايام ماء بلهف شديد كما يتهافت السكير المدمن على شرب الخمر ، ولست أنسى مرة دفعنى فيها شدة الاعياء والنصب - اثناء تأدية فريضة الحج - الى اقتراف هذه المعصية ! »

ثم قال - : « ولكم سولت لى نفسى احياناً ان آكل من (سلطة) كانت قداعدها بعض النساء فى حقل ، كما دفعني الشره احيانا الى تناول خبزا اثناء الصوم »

فقال له القسيس - :

« كل هذه يا ولدي خطايا طبيعية جدا ليس عليك منها بأس فليطمئن بالك من هذه الناحية فهذا يحدث لأى انسان ولو كان من القديسين ، وأى مخلوق مهما زكت نفسه لا يتذوق لذة الاكل بعد أن يصوم زمنا طويلا ، أو يشرب الماء بعد أن يجهده التعب ؟ »

فأجابه السيد شابليت - : « انك لتطمئننى بهذا الكلام وأرجو ألا يكون فيه مجاملة لى ، على انى لا أنسى قط ان كل عمل يجب ان يعمل خالصا لوجه الله وليس يليق بالانسان ان يتهاون فى ادائه قط ! »

دهش الاب من ورعه وقال له : « لقد سحرتنى بتقواك ، وأعجبتنى طريقة تفكيرك وصدق يقينك ويقظة ضميرك الحى ايما اعجاب ، ولكن خبرنى ياولدى : ألم تقع فى حياتك فى بعض خطايا الطمع ؟ الم تتطلع نفسك الى الغنى مرة من غير طريقها المشروع ، الم ترغب مرة في الحصول على شيء يمتلكه سواك ؟ »

فاجابه المعترف - : « لا أريد أن يمر بخاطرك مثل هذا يا سيدى ، إننى أقرر لك أننى - وان سكنت مع اثنين من المرابين - لم اتداخل فى عملهما مرة واحدة ولا رضيت عن عملهما المرذول ، ولا ضعفت كراهيتى ومقتى لهذا

النوع من التجارة ، على أنني واثق كل الثقة أن هذا المرض الذى حل بى ليس الا نتيجة غضب الله على بسبب وجودى معهما ! ألا فلتعلم يا ابانا ان والدى الذي أنا مدين له بحياتى التعسة التى آن لها ان تنتهى الآن ، كان قد ترك لى ثروة طائلة لم ألبث ان بددتها كلها بعد مماته ، اذ وقفت اكبر جانب منها على عمل الخير ونزلت عن الجزء الباقي منها لاعانة المنكوبين والفقراء حبا فى عيسى المسيح ، ثم زاولت عملا تجاريا بعد ، فلم احرم الفقراء نصيبهم فيه بل خصصتهم بنصف أرباحى ، واحتفظت بالنصف الباقى لسد حاجاتى ، وقد بارك لى الله فيه فثمره ونماه »

فقال له القسيس الورع ـ : « أحسنت جدا ، ولكن خبرنى كم مرة أخرجك الغضب عن طور الاعتدال ؟ »

فأجابه السيد شابليت ـ : « آه ، ما اكثر وقوع ذلك لى ، انى اعترف لك بضعفي من هذه الناحية وانني لجدير بكل ماتوجهه الى من عبارات اللوم والتعنيف فقد طالما عجزت عن كبح جماح نفسى واستسلمت للغضب كلما رأيت قوما مستهترين بمحارم الله مندفعين فى معاصيه غير حافلين بزواجره ونذره ، اقرر لك أننى خرجت عن طورى مرغما ، فليس اقتل لنفسى من ان أرى شبابا يسرعون الى أماكن اللهو والدنس ، ولكم تمنيت ان يزورنى الموت قبل ان أراهم مسوقين فى هذا التيار الجارف ، مستهدفين لغضب الله ولعنته ؛ عازفين عن الكنيسة ؛ حاضرى الحلف ؛ صدقا و باطلا ؛ مفضلين الانغماس فى الرذيلة على التقرب الى الله »

فقال له القسيس ـ : « هذا غضب القديسين ؛ فخبرنى : هل اقترفت فى حياتك جريمة القتل ؛ أو ـ على الاقل ـ هل اسأت الى أحد أو اعتديت على حقوق كائن من كان ؟ »

فأجابه ـ : « أنت رجل من رجال الله فكيف يمر بذهنك يا ابانا مثل هذا الخاطر الذى لو مر بى لأهلكنى ، تلك ياسيدى أعمال السفلة واللصوص ؛ فهم

وحدهم الجريئون على اقتراف هذه المآثم ، على اننى اقرر لك اننى لم الق واحداً من الاشقياء الا دعوت له الله مخلصا ان يهديه الى الطريق السوى »

فقال له القسيس ـ : « بارك الله فيك فخبرنى يا ولدى الم تشهد الزور مرة واحدة فى حياتك ، ألم تغتب احد جيرانك ؟ »

فأجابه ـ : « الحق اننى وقعت فى هذا مرة ، فقد اغلظت القول لبعض الناس، ذلك ان جارى كان مدمنا على الخمر ، كثير الاساءة الى زوجه بلاجريرة ، وربما دفعتى الشفقة على تلك المسكينة فاخبرت أهلها بما يأتيه زوجها معها من ضروب القسوة والوحشية »

فقال له القسيس ـ : « قلت لى انك تاجر ، وقد فاتنى ان اسألك : هل غششت أحدا ، على عادة زملائك من التجار ؟ »

فأجابه ـ : «فعلت هذا مرة يا ابانا فقد جاءنى بعض الناس ونقدنى ثمن قماش

بعته له نسيئة ، فأخذت نقوده من غير ان اعدها ، ثم وضعتها فى كيس النقود ولا حظت بعد شهر أن بينها اربع دوانق ليست لى ، فانتظرت الرجل اكثر من سنة ولكنه لم يحضر ، فتصدقت بها ووهبت برها له. »

فقال له القسيس - : « هذا شقاء ياولدى ، ولكنك تلافيته وفعلت خير ما يفعله انسان فى مثل هذا الظرف »

وهكذا ظل الاب يوجه اليه من امثال هذه الاسئلة ، ويسمع منه اشباه هذه الاجوبة ، حتى اذا قرر ان يمنحه الغفران قاطعه السيد شابليت قائلا - : « اريد ان اعترف لك بخطيئة اقترفتها . »

فسأله: « ماهى هذه الخطيئة ياولدى العزيز ؟ »

فاجابه المحتضر - : « لقد امرت الخادم بالعمل فى يوم من ايام الآحاد والاعياد المقدسة فى تنظيف المنزل »

فقال له القسيس - : » لا عليك ، فهذا شىء تافه ! »

فاجابه - : «لاتقل ان هذا تافه ، فان يوم الاحد جدير بكل احترام ، فهو اليوم الذى يبعث فيه منقذ العالم ! »

فقال القسيس - : « هل من جديد تريد أن تعترف به ؟ »

فأجاب - : « حدث لى ذات يوم ان بصقت فى بيت الله »

فابتسم القسيس الطيب القلب ابتسامة طويلة مما سمعه منه ثم قال له - : « هذه ليست خطيئة قط فاننا كثيرا مانبصق فى بيوت الله نحن رجال الدين ! »

فاجابه - : ما اشنع ذلك يا ابانا المحترم وما اجدر الناس بالبعد عن توسيخ أماكن العبادة حيث تقدم القرابين الى الله! » وطفق القسيس يقنعه ببساطة هذا العمل فلا يجيبه صاحبنا بغير التأوه وتذراف الدموع ، وكان ذا قدرة عجيبة على البكاء فى اى وقت اراد !

وقال له القسيس - : « ثم ماذا عندك ياولدى ؟ »

Conference on Organized Crime, National
see
National Conference on Organized Crime,
Washington, D.C., 1975.

LIBRARY OF CONGRESS REFERENCE

Users of depository catalogs should note that references may be to Library of Congress secondary entries which do not appear as headings in depository catalogs.

A-Ec

Kilani, Kamil, 1897-1959.

Mukhtar al-qisas. Misr,
Dar al-'Ulum, 1929.

204 p.

فأجابه - : ويلاه ، إن في قرارة نفسي خطيئة لم يجسر شفتاي على النطق بها أو لافضاء بها إلى أحد، خطيئة ماذكرتها قط الا بكيت يائسا من مغفرة الله بسببها»

فقال له القسيس - « لاتيأس فرحمة الله واسعة فما هي خطيئتك ، قل ياولدي فقد وسعت رحمة ربك كل شيء ، قل فان عفو الله ابر من ان تتصوره ، قل كل ما في نفسك بلا وجل »

فأجابه السيد شابليت والدموع تنسكب من عينيه انسكابا -: « ويلاه ، انها خطيئة كبيرة يا أبانا ، ولا أحسب ان الله يغفرها لى ان لم تساعدنى بصلواتك وابتهالك ! »

فقال له - : « قل ، وانا اعدك بالصلاة من اجلك »

ولكن المريض لم يكف عن بكائه ، واخيرا اضطر الى الاعتراف بها بعد الحاح الاب عليه مدة طويلة كاد ينفد فيها صبر الاب فقال له شابلت - :

« اماوقد وعدتنى ان تصلى لله من اجلى فانى مخبرك يا أبانا انى حين كنت فى سن الطفولة سببت ... ياللسماء كيف أقول ! ! ألا كم يكبدنى النطق بهذه الكلمة من العناء ! سببت أمى »

ثم اندفع يبكى بحرارة ، فقال له القسيس مهدئاً روعه : «ليست هذه الخطيئة بمقدار ما تصورته من الشناعة ، فان الناس ليسبون الله فى كل يوم ثم لايكادون يرجعون اليه - مخلصين فى توبتهم - حتى يغفر لهم ، أتشك بعد ذلك في رحمته ؟ كفكف من دموعك فلو كنت من العصاة لما انقطع الأمل من مغفرته ! »

فأجابه السيد شابليت بحماس - : « ماذا تقول ؟ أأسب أمى ، أمى المسكينة التى حملتنى فى بطنها تسعة اشهر ليل نهار ، فلما ولدتنى حملتنى - الى عنقها - أكثر من مائة مرة إلا ما أشنع هذه الخطيئة وابعدها عن الغفران ، اذا لم تصل من أجلى وتنفعنى عند الله بصلاحك وتقاك ! »

انتهى اعتراف السيد شابليت ولم يبق مايقوله فباركه القسيس ومنحه الغفران ، بعد ان اعتقد صحة ما قال وآمن بكل كلمة تفوه بها ايمانه بما يقول الانجيل، وقداقتنع بأن هذا اطهر رجل فى العالم ، وللقسيس عذره فليس يدور بخلد انسان ان احدا يخون الحقيقة فى اللحظة التى تختم فيها حياته ، « في اللحظة التى يتوب فيها الكافر ، و يؤوب الى آخرته المسافر ! »

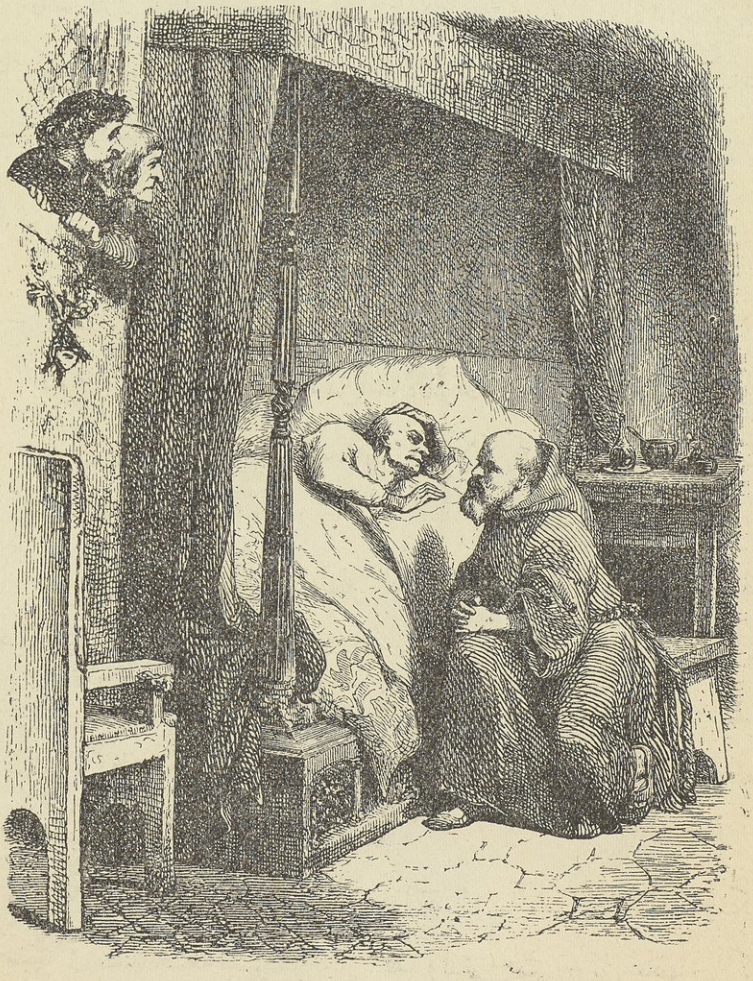

قال له القسيس - : « أرجو لك الشفاء العاجل ولكن ثق انه اذا فاضت روحك الطاهرة القديسة ، فلن يدفن جسدك فى غير ديرنا »

فأجابه -: «ما كنت لاختار ذلك لو لا ماوعدتنى به من صلاتك ودعواتك، على ان لى رجاء واحداً وهو ان ترسل الى من كنيستك ما أتبرك به فى هذا اليوم حتى تصعد روحى الى الله كما تصعد ارواح العابدين»
فلبى طلبه القسيس وامتدح غيرته .

كان جاراه المرابيان ينصتان الى كل كلمة يقولها اذ كانا يخشيان مكره وخياته فأرهفا اذنيهما وسمعا قوله من خلف حاجز كان يفصل الحجرتين فما كادا يسمعان ما سمعا حتى اغربا فى الضحك ايما اغراب و قال احدهما مدهوشا: «أى رجل هذا الذى لم يتحول عن طبيعته السافلة ، فلا الشيخوخة ولا المرض ولا اقترابه من الهلاك و دنوه من الله بعد دقائق، لا شىء من هذا ردعه عن شروره و آثامه بل أبى الا أن يختم حياته كما بدأها» على أن الامر الذى يعنيهما انه سيدفن فى قبر ؛ وهذا حسبهما؛ أما مآل روحه فشىء لا يهمهما . ولم يمر على السيد شابليت الا زمن قصير حتى اشتدت به وطأة المرض ثم فاضت روحه- بعد أن ارسلوا اليه قربان الكنيسة الذي طلبه - واسرع الاخوان الى القسيس فأخبراه بما حدث ليأمر بدفنه .

ولم يكد القسيس يسمع منهما ذلك حتى قرر أمام رفقائه - بعد أن جمعهم- ماعرفه عن حياة السيد «شابليت» الطاهرة، مؤكدا لهم أن الله- سبحانه - سيجرى على يديه كثيرا من المعجزات وأن جسد هذا الرجل جدير بكل إكبار ،فأمن الجميع على قوله وذهبوا معه - فى احتفال مهيب - فقضوا ليلتهم - إلى جانب جسده - فى الصلاة والدعاء ، ثم لبسوا فى الغد ملابسهم الرسمية وقبعاتهم الكبيرة ممسكين كفنه بأيديهم رافعين صلبانهم ، وساروا بذلك الجسد الطاهر باحتفال مهيب إلى كنيستهم، ومن خلفهم جمهور كبير من الناس ، ثم صعد الأب المنبر، وظل يخبر الناس بما اعترف به له السيد «شابليت» العابد الصائم المتبتل الورع وما علمه من طهارة نفسه وقوة يقينه ، ولم يفته ان يقص عليهم - فى أثناء كلامه-

ماحسبه السيد شابليت جرما شنيعا وما بذله هو معه من جهد فى اقناعه ببساطة ذنبه ، وانتهز الأب هـذه الفرصة ، فانهال على الناس تعنيفاً ولوما ؛ وهو

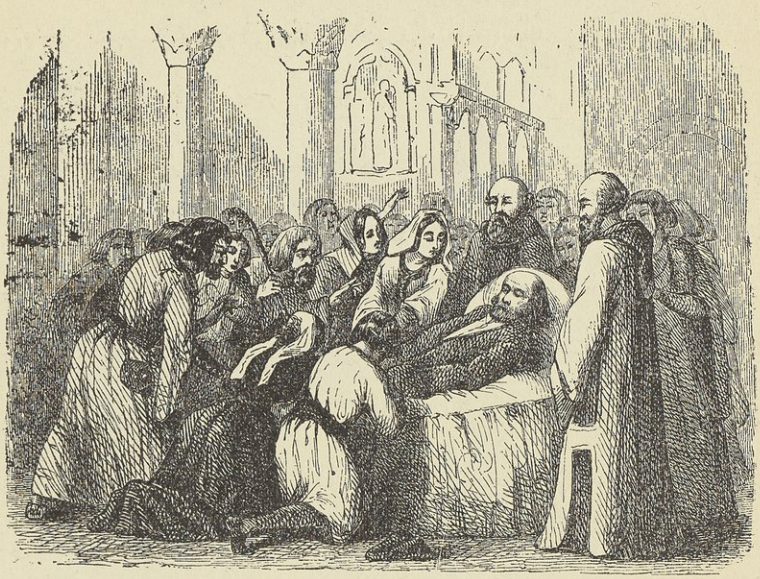

يصيح فى الحاضرين قائلا : « وأنتم يا أولاد الشياطين ! ماذا ترون يامن تندفعون ـ لأتفه الاسباب ـ فى شتم المسيح وسب العذراء أمه والقديسين فى السموات ، أتحسبون أن الله سيغفر هذه الخطايا ؟ »

ومازال يظهر لهم حسنات هذا الراحل الكريم بفصاحة وطلاقة عجيبين حتى انسكبت دموع الحاضرين على جثة ـ شابليت ـ واندفعوا متهافتين على تقبيل يديه والسعيد من ظفر بقطعة من ثيابه تبركا بها : وظلت جثته معروضة طول اليوم حتى لا يحرم الناس رؤيتها ؛ فلما جن الليل واروا جسده فى التراب ، ودفنوه بما هو اهله من الحفاوة ، فى جدث لائق به ، وتقاطر الناس فى الغد على قبره من كل فج ، هـذا يزوره وذاك ينذر له النذور . وثالث يتمسح بحوائط القبر ورابع يطلب البركة منه . وجماع القول أن شهرته بالصلاح والقداسة ، قد ذاعت فى كل مكان وامتلأت بها النفوس ، حتى أصبح لا يلقب بغير « القديس شابليت » ، وصار يتحمس الناس لذكره ، زاعمين له معجزات لا تحصى . وهكذا عاش صاحبنا «شابليت» فاجرا مستهترا ، حتى إذا مات هتفوا به قديسا طاهرا !

عزيزة

نحاسية اللون نحيفة القوام ، لا تعنى بزيها ولا يهمها مايهم الفتيات من من الالتفات الى الهندام وانتقاء الملابس والعناية بالزينة والتجمل

نشأت فى أسرة كان يضرب المثل بغناها فى ذلك الحى الفقير الآهل بالعمال والعائلين والمساكين الذي تقطنه «على مقربة من مصر القديمة» فتعودت سماع ألفاظ التملق من ذوى الحاجة وذواتها ، وألفت منذ صغرها أن تقلد أمها فى الأمر والنهى ، ولقنت عنها ألفاظ السباب القذرة وعبارات الاهانة وهجر القول ، حتى كادت تصبح صورة صادقة من أمها السفيهة الشرسة ـ فى أخلاقها وحركاتها وانفعالها وغضبها وأمرها ونهيها ـ ولو لا فرق ما بين الجسمين من الضخامة والنحافة لأصبحتا لا تتميز احداهما عن الاخرى . أمها سمينة جداً يضرب بها المثل فى السمن وضخامة الجسم وهى نحيفة جداً ممعنة في النحافة تكاد تحسبها لأول وهلة مصابة بالسل ، لولا ما يخفيه هزالها تحته من قوة الجسم ومتانة العضل ووفرة الصحة

نشأت « عزيزة » قوية الجسم قوية الارادة جريئة القلب ، لو صارعت رجلا قويا لصرعته وشجت رأسه بلا مبالاة للعواقب ولا تقدير لنتائج ما تعمله ، وكم لها من وقفات ساعدت فيها أمها ومعارك خاضتها ـ الى جانبها تارة ، ومنفردة تارة أخرى ـ ثم خرجت منها فائزة قاهرة ، وتغلبت على خصومها وأرغمت أنوفهم جميعاً

نشأت الفتاة كما قلنا فى أسرة شديدة الغنى بالقياس الى أهل حيها الفقير ، ومات أبوها وهى صغيرة ، تاركا لامها أطفالا صغاراً يبلغون الخمسة ، كلهم ذكور ؛ وتزوجت أمها من ابن عمها الذى لا يقل غنى أبيه عن غنى زوجه « أم عزيزة » ولم يلبث أن دب بين الاب وأبيه شقاق فى السنين الاولى من زواجهما ، بسبب

إيقاع زوج أبيه الخبيثة ؛ وأعقب ذلك ارتباك فى أعماله ، أدى الى إساءة سمعته واختلال حاله ؛ فتراكم الدين عليه ، وألحف دائنوه الكثيرون فوقعوا عليه حجزاً بعد حجز ، فلم ينالوا منه شيئاً ، لأنه أعلن افلاسه ولم يبق فى منزله شيئا غير مكتوب باسم زوجه .

ثم تعاقبت عليه بعد ذلك سنون مشئومة لم تبق له مالا ينفقه ولا عملا يكتسب منه شيئاً

لم ير أمامه من يعوله إلا زوجه التي تحن له أشد الحب ، وترى فيه مثال الرجولة المكتملة ؛ وتتخذه اداة صالحة لانفاذ مآربها كلها .

درت عليه نقودها ؛ وأسلمته مفتاح ما أبقته لها الايام من ثروة ولم تخيب له طلباً فى ما لها ؛ كما لم يخيب لها هو الآخر رجاء فى تحقيق مأرب من مآربها الكثيرة .

* * *

كانت « أم عزيزة » تفتح باب بيتها طول اليوم وجزءا من الليل لكل واردة وصادرة ، ويلتف حولها جماعات من النسوة المجاورات لها ، يتلقين أوامرها بالخضوع والرضى ويتسابقن فى انفاذ كل ما تأمرهن به

وكانت « أم عزيزة » قد نصبت نفسها قاضيا ؛ يحكم فى كل مايقوم من المنازعات بين جاراتها ؛ فاذا حكمت فحكمها نافذ ؛ برضى المتخاصمات أو على رغم انوفهن

ومن تململ منهن أو حدثته نفسه بالتذمر ؛ أمرت بطرحه أرضاً ، وأنفذت فيه نفسها كل ما تقرره من الجزاء

وربما بلغها أن احدى جاراتها ـ البعيدات أو القريبات ـ قد فاهت بما يشم منه رائحة العيب فى ذاتها المقدسة فأرسلت اليها الرسل مظهرة لها التودد ، ملحفة فى رجائها أن تتفضل بزيارتها ؛ فاذا وقعت فى الفخ وقبلت الدعوة

صبرت عليها حتى تدخل بيتها فأشارت الى احدى اتباعها اشارة خفية معناها احكام رتاج الباب فتلبي أمرها مسرعة

ولا يكاد يستقر بالجارة الجلوس حتى تأخذ معها فى فتح الموضوع الذى بعثت اليها من اجله ، وسرد ما بلغها عنهامن الشتائم فاذاقامت اللجاجة بينهما فنهايتها معروفة ، وهى ان تطرح على الارض وتضرب بالأكف والأجذية وتركل بالأرجل حتى يغشى عليها ثم تسحب من رجلها الى الخارج فتلقى امام البيت

والويل كل الويل لمن تحدثها نفسها بالشكوى مماوقع لها، فانهاحينئذتعرض زوجها للضرب وبيتها للاقتحام وجاراتها لمخاصمتها ارضاءللست « أم عزيزة»

وكان يساعدها على ذلك ماتقدمه كل يوم لأولئك النسوة الجائعات اللائى لا عمل لهن غير الالتفاف حولها والايقاع بمن يرميه سوء الطالع فى حبالهن .

وكان ثمة آلتان يحققان لها انفاذ كل ماتريده من الشر والجور ، ابنتها عزيزة وزوجها

عزيزة تقتحم بيت من يتعذر على أمها احضاره من النسوة لانفاذ الجزاء الذي تحكم به عليها ، وزوجها لضرب من تشاء ضربه من الرجال ، وانفاذ ماتأمره بانفاذه فيه من الجزاء

ولما كان جميع أهل ذلك الحى تقريبا من فقراء العمال وفقيرات النساء من أرامل ومسكينات ومتكففات ، وكانوا يرون فى زوجها وفيهاوفى ابنتها رمز الجبابرة العتاة ، حسبوا أن القانون أعجز من أن ينفذ فيه أو يديلهم منهم

وثبت فى نفوسهم هذا الظن ماكانوا يسمعونه دائمامن أفواههم من الادعاء الوقح والكذب الجرىء بأن كلمتهم نافذة لاترد وأمرهم مسموع عند ذوي النفوذ والحكام .

و لما كان أهل ذلك الحى يرتعدون من اسم الخفير فضلا عن الشرطى بله الضابط والمأمور ، فقد كان يكفى لاذلالهم و رعبهم من هذه الاسرة العاتية أن يسمعوا أن الزوج سيشكوهم الى البوليس وأنه سيستصحب معه فئة من الجنود تدك منزلهم دكا و تلقي بأمتعتهم الى الخارج وتنزع ملكية البيت، فيرتموا على اقدام «عزيزة» مرة وأمهامرة أخرى وزوج امهامرة ثالثة -؛ فاذا صدر الأمر بالعفو، فقد نسى كل شئ و حسب المظلوم- او المظلومة- انه قد نجا من شر كان محققا ؛ لولا ان تداركه الله بلطفه

* * *

كان لعزيزة عمل آخر غير المشاجرة واقتحام المعارك الى جانب أمها ؛ذلك هو التجارة بمال امها ، رغبة فى حفظ الثروة القليلة الباقية التى تنفد لا محالة اذا لم يعملوا على انماء مواردها بالتجارة ونحوها

وكان لأمها قطعة أرض فى المنوفية تؤجرها لبعض صغار المزارعين وكانت عزيزة تذهب إليها أحيانا وتشترى من الفلاحين غلالا وسمنا وأذرة ؛ وربما أخذت معها أثوابا من القماش الى هناك فدفعتها لهم مقايضة

واستمرت على ذلك أشهراً ، فرأت رواجا شجعها على التنقل فى بلدين أو ثلاثة من البلاد المجاورة لذلك البلد ، ولبثت تتجر مدة طويلة تعرفت فى اثنائها بشاب فلاح قوي الجسم مفتول الساعدين تلوح على وجهه مظاهر الجرأة وتبدو على أساريره قوة الشباب المكتمل ، فأحبها وأحبته ، ونما بينهما هذا الحب حتى بلغ أشده فاشتغل بالها به واشتغل باله بها . فلم يعودا يطيقان افتراقا ، وأكثرت عزيزة من التردد على ذلك البلد - بداع و بغير داع - الا حبها اياه وغرامها به

فاذا عادت الى القاهرة خلقت أمورا ومهام وانتحلت اعذارا وأسبابا تتوسل بها الى الذهاب الى حبيبها الذى لاتطيق الصبر عنه ، واذا حالت الظروف

دون سفرها اليه . لجات الى جار لها حوذى مشهور بالحذق واللباقة بين أقرانه من العامة . ومشهود له بالاستقامة بين الناس .

أنست فيه الاخلاص وتوسمت فيه الستر عليها — ولم يخطىء ظنها فيه . فقد كان الرجل -على عاميته- وفيا كتوما للأسرار ، هذا الى فقره الى ماتمده به المعونة احيانا وتحاشيه ما قد يجره عليه سخطها وغضبها اذا لم يلب رغباتها .

وثم أصبح كاتبها ومستودع كل أسرارها فكان يرسل الى عشيقها كل يوم كتابا على لسانها يفتن فى أسلوب العتاب كل الافتنان وبث الاشواق فيه بقدر ما وصل اليه جهده وذكاؤه

وكثيرا ما أهدت الحوذي هدايا فاخرة- بالنسبة اليه- وكثيراً مانفحته علبا من السجاير أومنحته بضع قروش تفرج بها ضائقته، وربما أدهشك ماتلمحه على وجهها - إذا رأيتها جالسة بين يديه وهو يكتب لها الرسالة الى حبيبها - من دلائل الخضوع والضراعة وانكسار القلب ؛ و لكثيرا ما أمدته بمعان جديدة يدبجها الحوذى لحبيبها فى الرسالة ، ولم يكن أدعى لاستفزاز عجبك من تمثل حاليها الشديدى التباين ، حالها وهى شرسة لا تتطرق الرحمة الى قلبها ؛ ولا تعرف هوادة في انفاذ انتقامها المروّع ، وحالها -وقد هذب الحب قلبها وأذلها وكسر شكيمتها وأقض مضجعها وألجأها الى حوذى ماكانت لتفكر لحظة فيه لولا هيامها بعشيقها الذى لاتحلو لها الحياة الا به

وكانت رسائل حبيبها تردها بعنوان ذلك الحوذي ، حتى لايشتبه فيها أحد ، ولا تدخل الريبة فى قلوب أهلها وجيرانها ، فاذا! وصلت اليه رسالة من عشيقها أسلمها اياها وقرأها لها .

وكانت لاتنى يوماً عن سؤاله بلهفة المشوق المتيم : « هل وردتك رسالة من محمد ؟ » فاذا أجابها بالسلب ، بدت على أساريرها دلائل الحسرة والكمد، وإذا بشرها بنعم ، لمعت على جبينها اشارة الفرح وارتسمت على فمها ابتسامة الظافر المنتصر

وانتهى ترددها عليه فى بلده وحبها إياه بالنتيجة الطبيعية التي ينتهى اليها فى الغالب حب أمثال هؤلاء ، نال منها اربته ، واستمرا معا على هذه الحال نحو عامين ، ثم فترت علاقته بها — وبدا منه الزهد فيها والانصراف إلى غيرها ، وان بقيت تجن له الوفاء والحب وترى فيه المثل الأعلى الذى تصبو اليه نفسها

تمادى عشيقها فى فتوره . وعبثاً حاولت اجتذابه اليها بكل وسيلة . وعبثاً رغبته فيها ، فقدسئمها ومل عشرتها . وأصبحت كلما ازدادت عليه اقبالا ازداد منها نفوراً . وكلما ضرعت اليه عزف عنها غير مصيخ إلى بثها ولا آبه لشكواها المرة .

يئست عزيزة من حبه . فأضناها هجره وأمضها فراقه . إن كاتبته لم تظفر منه برد . وان سافرت اليه تهرب من لقائها ، فبرح بها الوجد وتبدلت حالها من الشراسة والميل إلى المشاكسة إلى الضد من ذلك . أصبحت وديعة رحيمة القلب . لا تؤذى أحداً ، فاستراح الناس من أذاها وشقشقة لسانها الذرب

وكأنما سرت العدوى إلى أمها . فشاركت ابنتها فى حزنها الذي لم تعرف سببه ولم تهتد إلى سره . فكفت بدورها عن إيذاء الناس . وأغلقت دار القضاء التى كانت تنصبها للخصوم والمتقاضيات ، وانصرفت إلى العناية بابنتها والاهتمام بشؤون نفسها و بيتها

وكان لها ابن من زوجها الجديد . فنما وترعرع وذهب إلى مدرسة أولية . وكانت تعلق عليه جل آمالها . وتفرده بحب خالص من بين أبنائها الآخرين ، وكان هذا الولد قرة عين أبيه ومطمح أنظار الاسرة وموضع الرجاء فيها

ولما كان زوجها يكاد يكون لاعمل له إلا تنفيذ رغباتها ، وكانت هى قد أقلعت عن كثير من اضرارها وكفت عن إيذاء الناس ، قلدها زوجها فى هذا الخلق الجديد . واعتدل فى سيره وكف أذاه عن الناس

خضدت شوكة عزيزة فانشغلت بآلام نفسها عن مشاجرة الناس وكفت أمها أذاها وأقلعت عن الظلم والبغى - كما أسلفنا - واستبدلتهما با لتبتل والصلاة . وعاد الحظ فابتسم للزوج ثانية ، فاستقامت أموره ، وسطع نجم سعادته ، فنجحت أعماله. وعادت إليه أيام العز والرفاهية . وأصبح ثلاثتهم من أزهد الناس فى الأذى وأبعدهم عن التعرض لما لا يعنيهم .

* * *

ولكن « عند صفو الليالى يحدث الكدر » فلم يكد يمر بهم زمن قصير حتى نكبوا فى أملهم الذى تبتلوا وصلوا وكفوا عن أذاهم طمعاً فى أن يبارك الله لهم فيه ، فقد وقع الولد تحت عجلات القطار فقطعت ساقه اليمنى وأصابت قدمه اليسرى بضرر جسيم .

ولولت « عزيزة » ولطمت خدودها « أم عزيزة » وشقت جيوبها وانخلع قلب الزوج حزناً على وحيده الذى كان يرجو الله له ، ولا يرى الحياة تصفو الا به .

عالجه الأطباء فشفى بعد مدة طويلة وركبوا له ساقا غير الساق الأولى، ولكنه ظل حسرة فى قلوبهم ومصدرا لا ينفد لتجديد أساهم ولوعتهم وخيم الحزن العميق على ذلك البيت الصاخب الذى كان مملوءا - من قبل - بالخصومات والمعارك ، وزاد ألم « أم عزيزة » ما نال ابنها من الضرر

* * *

قامت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩، وعمت المظاهرات وكثرت القلاقل ففى إحدى ليالى ابريل قامت مظاهرة فى الحى الذى تقطنه عزيزة . واشتد صياح الناس وضوضاؤهم وأقاموا المتاريس فى الطريق ، وجاء الجند الانجليز بسياراتهم المصفحة فأطلقوا النار - بلا حساب - من المتاليوز وكانت عزيزة حينئذ تتعشى سمكا . وكانت فى منتصف الأكل . فسمعت الرصاص يدوي قرب

بيتها وسمعت صيحة صاح عقب اطلاق الرصاص وخيل اليها أن صوته يشبه صوت شقيقها الكبير . ودخل فى روعها أنه ربما كان المقتول وربما كان الصوت الذى سمعته هو صوته

* * *

تركت عشاءها وأسرعت بالنزول من السلم جارية مهرولة حتى وصلت إلى ذلك الشخص الصريع فرفعت وجهه بين يديها لتتحقق من صورته وكان الظلام حالكا . والليل شديد السواد . وما كادت تتثبت من أنه ليس أخاها . حتى اخترمتها أربع رصاصات؛ فى رأسها ورقبتها وثندوتها اليمنى وقلبها. فخرت صريعة مضرجة بدمائها - قبل أن تتم عشاءها - ولم تنبس بلفظة واحدة . . . . !

من قصص بوكاتشو (١)

اصلاح الغيور (٢)

كان فى مدينة « أريتسو » في سالف الزمان ؛ رجل من أهل الثراء ، اسمه « توفانو » زوج من آنسة صغيرة حسناء ؛ اسمها « جيتا » ولم يكد يمر على زواجها وقت قصير حتى اشتدت غيرته عليها ؛ وزادت حتى بلغت أقصاها ؛ دون أن يعرف أحد من الناس سبباً لهذا الاغراق.

على أن زوجه أدركت — بعد حين — سر هذه الغيرة ولم تكد تعرفه حتى أصابها غم شديد إذ رأت في ذلك أهانة لها وكانت تسأله عن سبب هذه الغيرة فلا تظفر منه بحجة مقنعة أو سبب معقول فلما يئست من اصلاحه ولم تجدله عذرا وجيها ، ولم تسمع منه إلا حججاً واهية وتعليلات غامضة — مما تعود بعض الناس أن يبديها — صممت على عقابه من نوع جريمته بعد ماسئمت منه

---

(١) مهدت مجلة الحديث الغراء لهذه القصة بما يلى :

«يوالى صديقنا الكاتب الأديب الأستاذ الكيلانى تعريب ذخائر القصصى الأيطالى الفذ « بوكاتشو » وقد سبق أن نشرنا بعض هذه القصص التى تفيض رقة وسهولة والمملوءة بالنكات الباسمة والعواطف الحية الزاخرة . ولا شك أن الاستاذ الكيلانى يزيد ثروة العربية فى تعريبه مثل هذه الآيات المنقولة إلى أكثر اللغات الحية . والعربية فى حاجة ماسة إلى عيون مافاضت به قرائح الأدباء الخالدين فى مختلف الأمم والعصور . وحبذا لو جمع الصديق الكريم هذه الأقاصيص فى كتاب خاص ينشره نشراً متقناً محلى بالصور الأصلية لهذه القصص ، إنه بذلك يخدم ناشئة الأدب العربى أجل خدمة ، ولعله يفعل .

(٢) هذه القصة هى التى أوحت إلى « موليير » خيال الكوميديا الذائعة الصيت التى أسماها ﴿ غيرة الملوث ﴾

سوء الظن والريبة التى لاتقف عند حد، فقد شعرت أن كرامتها ابتذلت وشرفها انتهك ، فى حين أنها كانت عفيفة تزيهة ولم يبدر منها — منذ زواجها — بادرة تستوجب الشك في إخلاصها

لهذا صممت على السير فى طريق الريبة ولم تلبث أن مالت إلى فتى جذاب خفيف الروح كان يحبها من قبل ويغازلها فلا تقابله بغير الاحتقار!

أسرت اليه بدخلتها ، متحينة سنوح الفرص لتحقيق ماتصبو اليه نفسها من سعادة وهناء ، وقد أمكنتها الفرص من إدراك إربها . إذ كان زوجها سكيراً مدمناً على معاقرة الخمر ، وكان ذلك من أشنع عيوبه .

فلم تحاول السيدة أن تنصحه بالاقلاع عن هذه العادة السيئة ، ولا هى وقفت عند حد القاء حبله على غاربه بل طفقت تزين له عمله ، باذلة كل مافى وسعها لتنمية هذا الميل حتى يخلو لها الجو فتتناول فى أوقات سكره أعذب أفاويق الحب ، وتنعم بما تتوق اليه نفسها من حرية وانطلاق .

ولما كان زوجها الغيور من المتهالكين على شرب الخمر ، لم يحجم عن معاقرتها كلما شاءت زوجه أن تسكره ، فاذا ثمل حملته إلى فراشه ، وانتهزت فرصة نومه لتمضيه أشهى ساعات الحب مع عشيقها .

نجحت حيلتها واطرد نجاحها ، فأكسبها ذلك الفوز ثقة لاحدّ لها فلم تعد تكتفى بزيارة حبيبها إياها فى منزلها . بل كانت كثيرما تذاهب اليه فى بيته غير حاسبة لبعد مسافته عن دارها حساباً . وتقضى معه معظم الليل .

* * *

ثم بدأت الريبة تتسرب إلى نفس زوجها الغيور : وبدأت الشكوك تساوره فى سلوكها ؛ فقد لاحظ عليها أنها تسقيه الخمر دائما ولا تشرب معه . فوطد العزم على أن يتكشف حقيقة أمرها و يضع حداً حاسما لشكوكه فيها . فلما كان اليوم التالى قضى معظم النهار خارج البيت دون أن

يشرب خمراً ، ولما عاد إلى بيته شرع يمثل لها أنه مترنح فى مشيته ، ثم يقع على الأرض - بين حين وآخر - متظاهراً بأنه جد ثمل ؛ وقد أتقن تمثيل دوره أحسن اتقان ونجح فى حيلته كل النجاح ، فانخدعت فيه زوجه وجازت عليها حيلته ولم تتردد فى الاعتقاد بأنه سكران . فلم تر حاجة الى اغرائه بالسكر بعد أن وصل الى هذا الحد .

حملته الى فراشه بغير اكتراث ، ولم يكد يستقر فيه حتى تظاهر بالنوم ، فأسرعت زوجه الى الخروج من البيت . وراحت تعدو الى منزل حبيبها حيث لبثت معه الى منتصف الليل .

* * *

أما صاحبنا « توفانو » فلم يكد يسمع صرير الباب حتى نهض مسرعاً ليفاجئ زوجه وعشيقها معا . ولكنه رآها — لدهشته — تخرج من المنزل وحدها فلم يشك فى أنها انما خرجت لتتغفله

أسرع الى الباب فأغلقه وأحكم الرتاج . ثم لبث يترقب عودتها . وهو واقف امام النافذة . ليتعرف سرها . ولم يبال بما كابده فى تلك الليلة القرة من ألم البرد وطول الانتظار .

فلما عادت الحسناء الى بيتها وجدت بابه مغلقا . فعالجته فلم ينفتح . فشعرت بوحشة شديدة وحارت فى أمرها ماتصنع . و حاولت أن تفتحه عنوة فلم تفلح .

وبعد أن تركها زوجها في هذه الحيرة الشديدة بضع دقائق . أطل عليها من النافذة و ناداها قائلا — :

« محاولة غير مجدية ووقت ضائع يازوجى . فلن تستطيعى الدخول ، وخير لك أن تعودى من حيث أتيت وأن تثقي كل الثقة أنك لن تدخلى بعد هذه الليلة - بيتى الذي دنسته . و سوف أشهر بك وألحق بشرفك ماأنت

جديرة به من الخزى والعار بحضرة أهلك وعلى مشهد من جيرانك ! »

* * *

وعبثا تعللت السيدة بأنها انما قضت ليلها عند احدى جاراتها . وانها اضطرت الى ذلك اضطرارا بسبب طول ليل الشتاء الموحش اللئي تساءم الوحدة فيه .

ذهبت تضرعاتها واحتجاجها ادراج الرياح أمام اصرار زوجها على انفاذ عزمه، ورأت السيدة أن زوجها لن يعدل عن ذلك ولن يدعها حتى يهتك سترها أمام الملأ ويظهر اعوجاج سيرها وفجرها . وعلمت أن ضراعتها قليلة الغناء . فلجأت الى الشدة بعد اللين . والتهديد بعد الاستعطاف . فصاحت فى زوجها متوعدة — :

أما وقد أبيت الا الاصرار على عزمك والتمادي فى غلوائك . ولم تشأ أن تسمح لى بالدخول فانى أنذرك من الآن بوخامة العاقبة . مؤكدة لك أنك ستندم على فعلتك هذه . متى حل بك غضبى و نقمتى ! »

فقال لها زوجها هازئاً — :

« وماذا تستطيعين أن تفعلى ؟ »

فأجابته الزوج التى أوحى لها الحب طريق الخلاص وألهمها الخطة التى تضطره الى فتح الباب — :

« أستطيع أن أهلكك . نعم أهلكك قبل أن أمكنك من الحاق الفضيحة التى تريد أن تلحقها بى ظلما وبغيا . واعلم انى لن انيلك إربتك ولن أصبر عليك حتى تلحق بى ذل الفضيحة وعارها !

سألقي بنفسى فى هذه البئر التى امام المنزل . ومتى ترديت فيها اتهموك بقتلى ونكلوا بك أشد النكال . وألحقوا بك من العقاب والاذى ما أنت أهله ؛ ولن يعوزهم أن يستدلوا — بعد ما عرفوه من ادمانك على السكر — على انك

أنت قاتلى ؛ وأنك قذفت بى فى البئر فى ساعة من ساعات سكرك . وحينئذ تضطر الى أمرين . لاثالث لهما : الهرب تاركا كل ماتملكه يداك أو البقاء معرضا للقتل و اللحاق بى وشيكا - جزاء لك على فعلتك الشنعاء - ويلقبك الناس جميعا : « قاتل زوجه ! »

* * *

ولكن هذا الوعيد ذهب أدراج الرياح . ولم يترك فى نفس زوجها من الأثر أكثر مما تركه استعطافها من قبل !

فلما رأته زوجه ثابت العزم . لايستعطفه رجاء . ولا يفزعه وعيد . وأيقنت أن قناته لن تلين قالت له — :

« اذن فالوداع يازوجى ! الوداع ! فانى أترك الدنيا غير آسفة ! »

كان الليل حالكا شديد الظلام لايكاد يميز الناظر فيه شيئا . فذهبت الفتاة ميممة البئر . وأمسكت بحجر ضخم فرفعته بيديها ، ثم القت به فى البئر . بكل ما أوتيت من قوة - بعد أن صاحت صارخة — :

ياإلهى ! ارفق بى وتداركنى برحمتك ! »

فهوى الحجر فيها تاركا خلفه دويا شديداً بسبب اصطدامه فى الماء - من حالق - فى سكون الليل

وهنا انزعج الزوج وتملكه الذعر . ولم يعد يخامره أقل شك فى صدق وعيدها ، وأيقن أن « جيتا » قد ألقت بنفسها فى البئر . فذهب مسرعاً يبحث عن حبل ينتشلها به . ولم يكد يخرج من البيت حتى أسرعت « الحسناء » الى الدخول — وكانت مختبئة على مقربة من الباب

وأغلقت الباب محكمة إرتاجه ، ثم صعدت فأطلت من النافذة التى كان يطل منها زوجها ؛ وأشرفت عليه منها . وصاحت فيه صيحة المتوعد ، وقالت له بلهجة المغيظ المحنق — : « قاتل الله الخمر وشاربيها !

أما آن لك أن تقلع عن الخمر أيها الرجل العربيد ! »

* * *

ولا تسل عما لحق « توفانو » من الدهشة والحيرة ، حين سمع صوتها

والتفت فرآها تخاطبه من النافذة : بعد أن حسبها ماتت متردية فى البئر !

أسرع الى المنزل فوجد بابه مغلقاً ، وطلب الى زوجه أن تفتحه فلم تفعل وتركته صاخبا مغيظا مدة طويلة ـ وهى ماثلة امامه ـ تنظر اليه ولاتعبأ به .

هددها بكسر الباب ، فلم تعبأ به . ثم رأت منه الجد فى لهجته والاصرار فى عزيمته ، فطفقت تولول صارخة بأعلى صوتها ؛ وهى تقول ـ:

« ويلك أيها السكير الملعون ، وتبا لك أيها النذل الخبيث ، الا تقلع عن هذه العادة الخبيثة ، كلا لا سبيل لك إلى دخول بيتى من الليلة ، فقد أتعبنى سلوكك المخزي ويئست من اصلاحك ، ولابد من ايقاظ الجيران ليروا حالك المزرية ويتعرفوا الساعة التى تعود فيها الى بيتك كل ليلة ؛ وسنرى من يلومون ! »

اهتاج (توفانو) وثار ثائره ، حين أدرك تلك الحيلة الخبيثة التى احتالتها زوجه ؛ فانهال عليها لعنا وسبا ؛ واندفع يغمرها بسيل من اللعنات والشتائم ؛ ولم يدع نوعا من السباب والمخازى الا وصمها به !

ثم صرخ بأعلى صوته صرخة أزعجت الجيران ؛ وايقظتهم من سباتهم العميق ، فأطلوا من نوافذهم ليروا ما الخبر ؟

وما كادوا يستفسرون عن جلية الامر حتى اندفعت الزوج تحدثهم بصوت تخنقه العبرات :

« ليس فى الامر أكثر من أن هذا الرجل العربيد التعس يصرف كل أيامه ثملا ويرتمى فى الحانات ولا يعود الى كل ليلة الا فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . ولقد صبرت عليه طويلا معللة النفس بالآمال الكاذبة فى اصلاحه ، متوقعة أن يثوب الى رشده بعد أن يظهر له خطؤه . ولكن ارشادي ونصحى ذهبا أدراج الرياح ولم يعودا عليه بأقل جدوى حتى نفد صبرى فلم أر بداً من معاقبته ، وتركته خارج المنزل لعل ذلك يكون رادعا ومقوماً لاعوجاجه

لم يكد الزوج يسمع هذه التهم تنكال له جزافا حتى اندفع متحمساً يقص على الجيران حقيقة الأمر . بلهجة المغيظ المحنق . ثم ختم كلامه متوعداً زوجه باذلالها وإرغام أنفها إذا لم تسرع الى فتح الباب له

ولم يكد يتم كلامه حتى صاحت فى وجهه غاضبة مستعدية عليه الجيران وهى تقول :-

« ياللوقاحة الجريئة ! ألا ترون الى شناعة مايفتريه على هذا الرجل ! أما والله إنى لأعجب من قحته وبذاءته ولست ادرى أى شنع كان يلصقها بى لو كنت الآن خارج المنزل وكان هو فيه . انى ادع الحكم لكم راضية بما تقررونه فى امره ،فقد رأيتم انفسكم الى اى حد بلغ اختلال حواسه وسوء نيته .

لقد ألصق بى كل ما كان يريد أن يعمله معى،دون أن ينقص أو يزيد، فهو نفسه الذى ألقى الحجر في البئر حاسباً أنه يخيفنى بهذه الحيلة التى لم تنطل على ؛ ولو أننى انخدعت وخرجت من منزلى ؛ لصدقتم قوله فلصقت بى تلك التهمة الممعنة فى الشناعة والاثم . خبرونى . أيرضى الله عن هذا ؟ أيرضيكم أن يبدد أمواله فى السكر ؛ وأن يسوقه تياره الجارف إلى مثل هذه الهاوية السحيقة التى كاد يردينى فيها ؟

كلا كلا . لن أعرض نفسى لمثل هذه الوحشية مرة أخرى وحسبى ماجرعنيه من الآلام والغصص التى قاسيتها منذ زوجت منه إلى اليوم . »

* * *

انخدع الجيران — رجالا ونساء — بكلامها ، واغتروا بظاهرها فطفقوا يعنفون « توفانو » ويقرعونه على تلك الكلمات الجريئة الجارحة التى أهان بها زوجه الطاهرة !

وتعالت الضجة ؛ وزادت الجلبة ؛ وذاع النبأ فتناقله الجيران - من بيت إلى بيت — بسرعة عجيبة ، حتى وصل إلى أهل السيدة ، فذهبوا اليها توا ليحسموا

الشجار؛ وما كاد الجيران يقصون عليهم ماحدث؛ حتى انهالوا على الزوج المسكين ضربا ولكما حتى أغمى عليه! ولم يكتفوا بذلك؛ بل دخلوا المنزل وأمروا السيدة أن تجمع كل ماعندها من أثاث وحملوا معها ملابسها أيضاً؛ ثم ذهبوا بذلك إلى بيتهم. بعد أن تركوا «توفانوا» عاجزاً عن الحركة لشدة مالقيه من الضرب المبرح.

* * *

مرض ذلك المسكين التعس. بعد هذا الحادث. وأدرك - ولكن بعد فوات الوقت - أن الغيرة قد طوحت به إلى أبعد مدى. وكان شغوفا بزوجه يحبها كل الحب. فبذل كل مافى وسعه فى سبيل الصلح معها. ووسط فى ذلك أصدقاءه وذهب معهم إلى منزلها. مؤكداً لهم أنه سينزلها أرحب مكان. وأنه سيقلع نهائياً عن غيرته الشديدة التى سببت له كل هذه الكوارث!

وهكذا تم الصلح بينهما وصفا لهما العيش بعد ذلك فلم يكدرهما أي منغص ورفرف الحب عليهما وأقلع الرجل عن السكر نهائياً، وعاش مع زوجه أرغد عيش!

فليحى الحب مقوماً للأخلاق. ولتمحق الغيرة المرعبة التي تعكر كل صفاء؟

الرهينة (١)

الحاج علىّ رجل مجد مثابر على العمل ، دائب على تكوين ثروة له ولأولاده من طريق التجارة ، جاء من بلاد الارياف فقيراً ، ثم جمع بضع دريهمات وقروش ادخرها من عمله ؛ ولم يتردد فى فتح دكان صغير في حى فقير من الأحياء الآهلة بالعمال ، ومرت الأيام منمية ثروته الضئيلة ، حتى إذا مضى عليه نحو خمسة عشر عاماً ، استطاع أن يبنى له بيتاً قريبا من محل تجارته ؛ وينشىء فى أسفله دكانا خيراً من ذلك الدكان الذى كان يكتريه طول هذه المدة ؛ وانتقل اليه ، واتسعت تجارته حتى كاد يصبح من أعيان ذلك الحى الفقير

السيدة خديجة ـ زوج الحاج على ـ فلاحة تزوج منها فى بلاد الارياف قبل أن يأتى الى القاهرة ، واصطحبها معه فى سفره اليها ، وظلت معه تقطن دورا أرضيا حقيراً ، وولدت له ثلاثة أولاد ذكور أعقبتهم بابنة بضة جميلة الطلعة ، فلما تيسرت أمورهم وحسنت حالهم المادية انتقلوا جميعا إلى منزلهم الجديد.

دأبت تلك الاسرة المجدة على تحصيل الثروة ؛ وكان الولدان الكبيران يساعدان اباهما فى تحصيل المال ، يعملان طول اليوم أجيرين ، ثم يعطيان أباهما أجريهما دون أن يمسا منه شيئاً إلا ما يمنحهما من مصروف يومى ضئيل جداً حينما يدأب أبوهما على توسيع تجارته ، متحببا إلى عملائه ومن يشترون منه ، وقد ساعدته أمانته واستقامته ، فأقبل عليه الناس

أما ابنه الثالث فكان كسولا ، كارها العمل ، ميالا الى اللهو والبطالة ، ففسدت أخلاقه ـ رغم مابذله أبوه فى إصلاحه من الجهود العظيمة ، التى لم تأت بالثمرة التى كان يرمى اليها ، فقد كان أبوه صارما متين الخلق لا يتهاون

---

(١) من كتاب « قصص مصرية »

في تربية أبنائه وتقويم معوجهم ، ولا يحجم عن معاقبتهم بأفظع أنواع العقاب ، ومحاسبتهم محاسبة عسيرة على كل مايقترفون من الهنات ؛ ولكنه رغم كل ذلك عجز عن اصلاحه ، ويئس من تقويمه ؛ إلا أنه - على كل حال - وضع لفساده حدا معقولا طول أيام حياته

* * *

أما (السيدة خديجة) فقد كانت امرأة عجيبة حقاً ، شاركت الزوج في أيام البؤس ، فلما انتقل إلى منزله الجديد ، ونمت موارده تطلعت نفسها إلى الترف ، ولكن تقتير زوجها حال دون ذلك ، فتلمست السبل للوصول إلى إشباع نفسها الشرهة ، فلم تجد سوى السرقة وسيلة إلى ذلك

اتفقت وجارة لها فقيرة على نهب زوجها وتغفله ، فكانت الست خديجه ، تتحين فرصة ظلام الليل ، فتلقي إلى جارتها من السمن والجبن والصابون وكل ماتناله يدها من مخزن زوجها المملوء بأمثال هذه الاشياء ، وكان في الدور الأرضى بالمنزل وهى تعرف طريق المفتاح ، وكثيراً مافتحته أمام زوجها لتخرج له مايريد بيعه

استمرت (الست خديجة) تغمر جارتها الفقيرة بما فى مخزن زوجها ، فتبيعه الجارة ، ثم تشترى لها بجزء قليل منه مناديل وجوارب وملابس ، وهذا أقصى ماتطمح اليه تلك المرأة الشرهة الخبيثة .

وربما احتاجت الجارة إلى كمية من الجبن أو سواه نهاراً لتبيعه ، فأرسلت اليها بذلك ، فلم تتردد فى تكليف ابنتها « سميرة » للقيام بهذه المهمة ، تضع لها الجبن . أو الصابون فى اناء داخل صحفة قذرة ، فاذا خرجت البنت من الباب سألها أبوها عما تحمل ، فتظهر أنها خارجة لتلقى مابالصفحة من القاذورات إلى الخارج ، ثم تذهب حاملة مامعها إلى بيت الجارة فتتلقاها تلك هاشة فرحة ، وربما قبلتها شاكرة ، أو منحتها قرشاً لتشجعها على هذا العمل القذر

* * *

مات الحاج على تاركا لأسرته ثروة يرونها كبيرة ، ومنزلا فخماً بالنسبة اليهم ، وثقة كثيرين من العملاء والشارين لاحد لها

لم تكد تمر بهذه الأسرة المنكودة الحظ أيام قلائل ، حتى ابتدأ الاختلال يدب في أعمال أفرادها جميعاً

بدأ « محمود » أخوهم الصغير يشعر أن اليد الحديدية التى كانت تقبض على أمورهم ، وأن القوة العظيمة التى كانت تهيمن عليهم جميعاً ، قد ارتفعت وأصبحت فى عالم العدم

زال الكابوس الذي كان مصدر مضايقته المستمرة ، كان يحاسبه على كل عمل جل أو صغر ، ويحول بينه وبين امتاع نفسه بلهوها وفجورها ، أما وقد اختطفته يد المنون قاذفة به إلى العالم الآخر فأراحته من سيطرته وأذاه ، فهو حقيق أن يطلق لنفسه العنان .

رأى أمامه عالم اللهو فسيحاً فألقى بنفسه فيه ، بات ليلة وليلتين خارج البيت ثم عاد اليه ، فلم يجد من يجرؤ على تعنيفه أو انتقاد ماأتاه ، تمادى فى فجوره ، ولكن ذلك الفجر يتطلب المال الوفير ، وأنى له به ، ادّان من غيره ، ثم استمرأ الدين فانغمس فيه ، ولم يستطع الاستدانة بعد ، فاضطر إلى بيع حصته فى البيت والدكان جميعاً ، وهنا انهار أول ركن من أركان هذا الحصن المتين فتصدعت جوانبه الأخرى ولم يمر العام الأول حتى بيع أكثر البيت وأغلقت الدكان بعد أن أفلس القائمون بأعمال التجارة فيها

وعاد الولدان الكبيران إلى مزاولة عملهما الأول - على مشقته - أجيرين عند بعض الناس ، وتمادى « محمود » فى ملاهيه ، حتى إذا نضبت نقوده ، ولم يبق في حوزته شيء ، لجأ إلى السرقة ، فصادفه النجاح فى أول أمره فتمادى فيها حتى وقع في الفخ ، فزجوا به فى السجن

***

اشتغل الولدان بتحصيل قوتهما عن أمر أمهما وأختهما اللذين لم يبق لهما من المنزل الموروث غير حجرتين فى الطابق الأرضى وقداستمرت حالهما فى تقهقر دائم ، وما زالتا تعانيان شظف العيش منحدرتين من سيء إلى اسوأ حتي بلغتا أقصى حدود الشقاء .

أسفت الأم بابنتها اسفافا ، وقذفت بها في هاوية سحيقة ، ففقدت البنت أثمن درة تملكها وهى عفتها ، فى سبيل دريهمات حقيرة نالتها ثمناً لفعلتها الشنعاء

دارت الأيام وزوجت البنت من شاب فقير سليم الطوية ، لين العريكة مسالم كثير التغاضى ميال إلى الدعة ، فرأى من حسنها ماأنساه كل اعتبار ، فأقام معها على خير حال

ومرت السنون متتابعة ، انتقلت « سميرة » اثناءها مع زوجها إلى طابق أرضى مظلم ضيق استأجراه بدراهم قليلة من شيخ محسن تجاوز لهماعن نصف أجرته ، فى الشهور الاولى ثم تنازل لهما عن النصف الآخر بعد ان تبين له فقرهما المدقع.

* * *

مضى على سكناهما عام ، كانت تتردد فى اثنائه السيدة «خديجة» على ابنتها «سميرة» مزينة لها الانسياق فى تيار الرذيلة، وكثيرا ماأغرتها بسرقة بطة ضالة أو دجاجة مارة ، أو ديك هارب ، فاذا ظفرتا بشيء من ذلك أسرعتا الى ذبحه وطبخه ، فرحتين بما أحرزتاه من فوز ووفقتا اليه من خير ، وبدأت الظنون تحوم حولهما ، ودبت الريبة فى نفوس الجيران ، فأصبحوا - كلما ضاع منهم شيء ، اتجهت ظنونهم وارتيابهم الى السيدة خديجة وابنتها سميرة

أما الزوج الفقير ، فقد كان وادعا مسالما ؛ يعطيها كل ماينالهمن أجر ؛ وهى تدبرله مهام منزله ، وكم أعجبه منها مارآه فيها من تدبير وكرم ، فقد كان

لا يمر به أسبوع دون أن تطعمه من لحوم الطير مايشبعه ويملأ بطنه ، فيكبر ما يراه فيها من اقتصاد وحزم ، دون أن يعنى نفسه بالسؤال عن مصدر هذا الرزق الوفير

* * *

وربما زارت أمها فى بيتها ذات يوم ، ومرت بالباب شاة أو كبش ؛ فاحتالتا على ادخاله فى منزلهما ، ثم انقضتا عليه مسرعتين إلى ذبحه وسلخه ، وتقديد لحمه وادخار شحمه ، ومكثتا ناعمتين اياما طويلة بوفرة اللحم والشحم حتى اذا فرغ بحثتا عن دجاجة تسرقانها أو شاة اخرى تتربصان بها الدوائر حتى تظفرا بها وتوقعاها في الفخ ؛ فى منزل الام او ابنتها

* * *

وفى عصر يوم من أيام الصيف ، ذهبت الأم لزيارة ابنتها ولم تكد تصل ألى بيتها حتى رأت ماأدخل على قلبها السرور وأفعم خاطرها فرحا وغبطة

«معزى» واقفة امام بيت ابنتها ! ياللغنم المواتى عفوا بلا مشقة ومن غير سابق تدبير أو اعمال فكر !

يالها غنيمة سعيدة !

دقت الباب دقا عنيفا أيقظ ابنتها مرعوبة من نوم الظهيرة اللذيذ

فتحت لها الباب ولم تكد تفعل حتى دفعت امها المعزى بيدها دفعا ثم أحكمتا رتاج الباب معا ومرت بضع دقائق على هذه الحال

كانت المعزى ملكا لرجل « قهوجى » مجاور للمنزل ـ لا يبعد عنه اكثر من ثلاثين مترا ـ وكان يرقبها طول اليوم هو أو أحد غلمانه ، وكان في هذه المرة يرعاها منذ لحظة وهى واقفة الى جانب باب البيت

ثم عن له أن يتمم أمراً داخل قهوته ! ولم يلبث ان خرج حتى أدهشه

فقدان معزاه، تلفت يمنة و يسرة فلم يجدلها أثراً فطار عقله و هرول كالمجنون إلى ناحية الباب ، ثم وقف لحظة متردداً ثم عاد ادراجه مشدوها ، أين المعزى ؟ انها لم تبارح هـذا المكان ، و بينا هو غارق فى دهشته التى استولت عليه ، مرت به امرأة ذكية ماكرة ، فهمست فى أذنه بضع كلمات ، مشيرة باصبعها الى بيت « سميرة » وانها لتحادثه ؛ إذ مرت أخت الرجل فسألته عن أمره ؛ فأخبرها بما حدث

وهنا اشتعلت غيظاً ، وانفجر بركان غضبها ، فصاحت صارخة :

« ويل للآثمات المجرمات : إنها لم تعد هذا البيت ، لقد رأيتها منذ لحظة وأنا ذاهبة إلى السوق واقفة أمامه ؛ فكيف اختفت بهذه السرعة ؛ أطارت فى السماء أم انشقت بها الأرض ! »

واندفعت متحمسة الى المنزل صاخبة مهددة وهى تهدر كالفحل منذرة ساكنيه بالويل والثبور !

قرعت الباب قرعا عنيفاً ، فلم يجبها أحد ، ذهبت إلى البيت المجاور له - وكان يقطنه أحد سراة ذلك الحى - فسألتهم عن معزى أخيها ، ففتحوا لها الباب لتبحث عنها فى بيتهم الواسع ، فلم تعثر لها على أثر ، استيقظ السيد «محمد» على صوت هذه الجلبة فسأل أهل بيته عن مصدرها فأخبروه بالقصة

خرج متحمساً ، واثقاً من براءة الفتاة و بعدها عن كل دنس ، و تعهد لهم بكسر الباب ليقنعهم بفساد زعمهم ؛ و بعدهم عن الحقيقة ،

«تمهلوا قليلا يا سادة فانى جد واثق من هذه الفتاة ، لقد رباها أبوها أحسن تربية ، وهذبها أكمل تهذيب ، ولكن تباً للفقر يذل العزيز و يسىء الظن بالأمين»

قال هذا و هو يدفع الباب بشدة و عنف ليكسره ، حاسبا أن البيت خال و هنا أيقنت الفتاة بجد الأمر و خطورته ، فأسرعت تجيبهم بصوت خافت ضعيف متثاقل ، كصوت المستيقظ الذى لم يكد يفيق من نومه -: « من بالباب »

- سميرة ! سميرة ! افتحى ، افتحى ،
- من أنت ! سيدي محمد ؟
- نعم ، نعم ! أسرعى أسرعى
- بكل ارتياح
- لا . . لا . . اسرعى ياسميرة بفتح الباب
- ها أنا أفتحه
- سريعاً سريعاً ، يا لله . . . ما هذا الابطاء ، افتحى ! افتحى !
- دقيقة واحدة
- لا ، بل افتحى حالا
- حتى البس جلبابى
- أسرعى يا سميرة ؛ لا تتكلئى ، إنهم يتهمونك بالسرقة
- (بصوت متهدج مضطرب) الويل لمن يجسر على اتهامى بذلك

فتح الباب بعد أن عيل صبر الحاضرين ولما يكد حتى أسرعت الأم الى الخروج متسللة - وكان قد احتشد امام البيت جمع غفير متسائلين عن الأمر اندفع الرجل فقلب البيت رأساً على عقب ؛ فلم ير للمعزى أى أثر.

خرج الرجل كاسف البال ، محوقلا آسفا على اساءة ظنه ، مردداً : « إن بعض الظن إثم » وخرج السيد محمد معه مرفوع الرأس موفور الكرامة بعد ان أثبت صدق ظنه وبعد نظره

لم تكتف « سميرة » بهذا الفوز الذى أحرزته بل اندفعت مهللة مكبرة :- « الويل لكم ايها الانذال الجبناء ، سيدينى منكم القضاء العادل ، وسأنتصف لشرفي الذي ثلمتموه بهجمكم على منزلى واساءة الظن بى

لقد فتشتم منزلى فهل وجدتم ما يبرر هجمكم على وازعاجكم ايای ، هاهو بيتي مفتوحاً امامكم فتشوا كل شبر منه ، ارفعوا بلاط الارض وابحثوا فى حيثما شئتم .

أغضب أخت الرجل هذا الكلام ، فاقتحمت الدار ثانية ، تحقق هاجسا عن لها فأرادت ان تتثبت من بطلانه أو صوابه

ذهبت إلى بيت الخلاء ، فوجدته ضيقاً لايسمح بأسقاط المعزى فيه ، ثم سمعت همساً يدور على الأفواه وأحست هاتفاً يهجس فى خاطرها « الزير الزبر » فذهبت اليه مهرولة وألقت نظرها فيه فلم تعثر على شىء

عز عليها أن ترجع خائبة ـ مع تيقنها من اجرام سميرة ـ ولكنها استسلمت للمقادير وانها لتهم بالخروج إذ سقط الزبر محطما على الأرض بعد أن كسرت رجل من أرجل حمالته الثلاث ـ وسال الماء على الأرض وهوى جسم المعزى الذى كانت قسمته إلى قسمين وألقت به فى الزير ثم شرعت تجفف الدم لتستر فعلتها الشنعاء

هلل الناس وكبروا وصاح الأولاد وصفقوا طربا ، وازداد تزاحم الجمهور بالباب : وكلما مرت دقيقة تكاثف العدد متضاعفاً حتى ملأ الفضاء على رحبه ثم جاء الشرطى فقادها نحو قسم البوليس ـ بعد أن حملها الماعز الذى ذبحته فى آنية من أوانيها : حتى إذا اقتربت من مخفر البوليس . رق لها قلب جارها القهوجى ، فصفح عنها ـ بعد أن تعهد له السيد محمد أن يدفع له نصف ثمنها إذا عجزت عن دفعه .

أخلى سبيلها الشرطى ؛ فعادت إلى بيتها بين هتاف الهاتفين وشماتة العاذلين وسط ذلك الجمع المحتشد الزاخر ، وعلى رأسها الماعز مذبوحا فى الأناء : وفوق كنفها طفلتها الرضيعة ، وهى تمشى متعثرة فى مشيتها ممتقعة اللون ذاهلة لاتكاد تفيق من أثر الصدمة التى روعتها والفضيحة التى أرهقتها

***

تابت « سميرة » بعد هذا الدرس القاسى الذى تلقته فلم تنسه طول حياتها ، وتبتلت إلى الله ، مواظبة على الصلاة متنسكة ؛ وكانت تلك الهتيكة آخر عهدها بالسرقة .

المصادفات (١)

زينب فى مقتبل العمر ، جميلة الطلعة وضاءة الجبين ابنة رجل عامل متوسط الحال ، رغب فى الزواج منها شاب من العمال مستقيم مشهود له بين معارفه بحسن السيرة اسمه « ابراهيم »

تم العقد على هذا الشاب وتلك الفتاة و واظب على ارسال الهدايا لأهل زينب وأكثر من التردد عليهم فألفهم وألفوه

وظلت زينب لا تفكر فى غير خطيبها ولا تحلم إلا بالسعادة المقبلة التى تنتظرها حين تزف إليه و تقيم معه

قرب يوم الزفاف ، وترقبه العروسان بفارغ الصبر ، حتى إذا دنت الساعة هيأوا العروس للذهاب إلى الحمام ، فأعدوا لها المعدات واختاروا لها رفيقات يؤنسنها و يستحممن معها حسب العادة المتبعة عند هذه الأوساط ،

استعدت الفتيات اللائى اختارهن أهل العروس ، وأرادت فتاة ـ يتيمة الأبوين ـ أن ترافقهن إلى الحمام ، فأبين عليها ذلك .

وألحت فرفضوا ، فبكت تستعطفهم ، فلم يرق لها أحد واستمرت فى إعوالها حتى عطفت عليها قلب العروس « زينب » فساعدتها على بلوغ إربتها . . . فدمعت عينا « حميدة » ـ تلك اليتيمة الحسناء ـ من الفرح

خرج الجميع إلى الحمام ، حتى إذا وصلنه بدأت الماشطة فى تزيين العروس وحدثت مناقشة ودية طفيفة بين أمى العروسين لم تلبث أن تحولت إلى عتاب فلجاج فمخاصمة فسباب ، وهنا وقفت أم الخطيب « ابراهيم » فأقسمت بالله ونبيه وأوليائه وملائكته أن بيتاً لن يضم زينب وابراهيم ، وأن لابد من فسخ

---

(١) من كتاب « قصص مصرية » .

العقد بينهما ، واتضمت ابنتها إلى رأيها وساعدها على ذلك جماعة من النسوة المعاديات للعروس

وبينما الأم تصخب - وهى فى أشد حالات انفعالها - لاحت منها التفاتة فرأت « حميدة » الفتاة اليتيمة وقد ضاعف الحمام جمالها فأشرق نورها فيه وظهر حسنها أخاذاً بالألباب

فعنت لها فكرة جريئة رأت في تحقيقها أكبر انتقام تشفي به غليلها ، فلم تتردد فى انفاذها فى الحال ، تقدمت إلى «الماشطة» فأمرتها أن تدع زينب ، وأن تزين بدلها «حميدة» اليتيمة التى قررت الأم أن تزوج ابنها منها

وجم الحاضرون ، وانقلبت الضوضاء إلى سكون عميق وتملكتهم رهبة وروع ، ولكن الماشطة أذعنت للأمر فى الحال فأقبلت على « حميدة » تمشطها وتزينها بدل زينب

خرجت العروس الأولى وأمها وأهلها وهم فى أشد حالات الغضب والغيظ وعادت حميدة فى نفس العربة التى أقلت العروس - وتم العقد بين حميدة وابراهيم وبنى بها ، وزفت إليه في نفس الليلة . . وأصبحت عروس الحفلة بعد أن كانت إحدى المتطفلات فيها

ودخل عليها « ابراهيم » فبهره جمالها ، وأصبحت منذ ذلك الحين زوجه وشريكته فى الحياة !

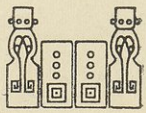

قسوة زوج غيور

عرف الناس فى مدينة « بروفنس » في سالف الازمان فارسين اشتهرا بالنبل وحسن الصيت اسم احدهما « غليوم دى روسيون » واسم الآخر « غليوم جاردستن »

وكان كلاهما ذائع الشهرة لما أحرزه من الفوز فى الحروب والمعارك التى خاضا غمارها جنباً بجنب فارتبطا معاً بأواصر متينة من الحب والاخلاص ، وثم لم تكن لتراهما يفترقان - فى لهوهما وجدهما وحروبهما - وكان يزيد فى حبهما اتجاه رغباتهما ؛ واتحاد نزعاتهما ؛ ولا يكاد يبعد قصر الاول عن الثانى كثر من خمسة أو ستة فراسخ .

وإذ كانا كثيرى التزاور واللقاء ، شعر « جاردستن » انه بالرغم من رابطة الحب والاخلاص التى تربطه بصديقه قد وقع فى حب زوج « رسيون » وانه قد هام بها أشد هيام ولم يعد يطيق السلو عنها فقد كانت فريدة في الجمال وآية من آيات الحسن

شعرت السيدة بمعنى نظراته المختلسة وفهمت مغزى اهتمامه بها فعدت ذلك تفضلا منه ، وسرها أنه كان البادىء بحبها ، وكانت تعرف شجاعته واقدامه وتعلم مكانته العالية فى الفروسية فلم تلبث أن تيقنت عشقه اياها ، ولكن كبرياء نفسها أبى عليها أن تبدأه بالمصارحة ، فترقبت - بفارغ الصبر - مفاتحته اياها بهواه ، عاقدة عزمها على تحقيق كل امانيه وارضاء رغباته ؛ متى باح لها بغرامه

ولحسن حظها لم يطل بها الضنى ، فقد أظهرها « جاردستن » على سره وأفضى اليها بما يجنه لها قلبه من الوجد ، « فلم يلبثا ان نعما معا باواصر الحب وتبادلا

سعادته متذوقين أفاويقها الحلوة ، ولم يال كلاهما جهدا فى البرهنة على صدق ولائه بكل وسيلة .

* * *

وكأن مواعيدهما قد أربت على المعقول ، أو لعلهما تنكبا طريق الحزامة ، فلم يلبث ان انكشف امرهما للزوج واهتدى بنفسه الى سوء سلوكهما

وهنا انقلب حبه الشديد لجاردستن بغضاً بالغا أقصاه ولكنه دارى حقده فلم يبده معتصما بالحزم الذي لم تسلك زوجته وعشيقها طريقه

وقد عرف كيف يخفي موجدته فلم يلمح عليه أحد أدنى أثر للغيرة ، ولكنه صمم فى نفسه على اغتيال صديقه الفارس الخائن انتقاما لشرفه الذى دنسه

* * *

وذاع بعد قليل نبأ إقامة حفلة لهو كبيرة يتبارى فيها اللاعبون بالجريد من الفرسان فى مكان قريب من ضواحى « بروفنس » فرأى فى تلك الحفلة فرصة سانحة ينتهزها لتحقيق إربته فأخبر صديقه « جاردستن » بامر تلك الحفلة ، طالبا اليه ان يمر به فى منزله قبل ذهابه اليها ليرافقه الى هناك - اذا شاء الذهاب - لكى يتخيرا معا اللباس الذي يرتديانه لحضورها به ، فابتهج صاحبنا بهذه الدعوة و أكد له انه ذاهب اليه بلا ريب ليتعشى معه فى مساء الغد . ورأى « غليوم دى روسيون » ألا يتلكأ فى انفاذ انتقامه وانه - على ذلك - خليق ان ينتهز الفرصة ، فنهض فى الصباح فتقلد عدته ودرعه من رأسه الى قدمه ثم ذهب الى جواده فامتطاه مصطحبا معه بعض خدمه حتى وصل الى كمين على مسافة نصف فرسخ من قصره في مكان منزو من الغابة ؛ لابد لجاردستن أن يمر به فى طريقه اليه ، و بعد أن لبث مترصدا له زمنا ، رآه مقبلا لا يرافقه الا خادمان من أتباعه ، بلا سلاح ؛ فقد كانوا يسلكون طريقا يعتقدونها أمينة لا حاجة للسائر فيها الى حذر !

ولم تكد تقع عليه عينه حتى أسرع يعدو نحوه كما يعدو الحانق المهتاج ـشاهراً قناته في يدهـ وعاجله بطعنة سريعة في صدره لم يحتط صديقه لدرئها ، فمزق السنان صدره . فعل ذلك فى أقل من لحظة وهو يقول :

« وكذلك يكون انتقامى ممن يخونني من الاصدقاء ! » دخل السنان بطنه ونفذ من ظهره فخر صريعا يتشحط فى دمه دون أن يفوه بكلمة واحدة

ولما رأى خادماه ذلك لاذا بأكناف الهرب وأعمل كلاهما مهماز يه فى

جواده حتى غابا عن الأبصار ؛ وهما يعجبان أشد العجب من هذه المباغتة الغريبة ؛ وكيف هلك مولاهما فى أقل من لمح البصر

رأي « رسيون » نفسه وحيدا مع اتباعه ، فنزل عن ظهر جواده الى الأرض ثم شق جسم صديقه بسكين كانت معه فانتزع بها قلبه ثم لفه فى علم وأسلمه الى خادم من خدامه ليحمله معه الى المنزل بعد أن اصدر لهم الامر مشددا يحذرهم من الافضاء بأي شيء مما رأوه لأحد من الناس، والا استهدفوا لغضبه وانتقامه، ثم عاد فسلك طريقه الى منزله فبلغه قبل حلول المساء .

* * *

كانت السيدة قد علمت أن « جاردستن » حبيبها سيحضر مع زوجها ليتعشيا عندها تلك الليلة، فترقبت وصوله كما يترقب المحب الواله مجيء حبيبه بفارغ الصبر ولكنها دهشت اذ رأت زوجها عائداً بدونه ، فسألته عن ماسبب تخلفه عن الحضور معه. فاجابها بقوله : « لقد اخبرنى انه لن يأتى الا فى الغد »

لم يرق الحسناء ذلك ولكنها ضبطت عواطفها وأخفت كمدها مضطرة حتى لا يظهر عليها شيء

* * *

لم يكد « غليوم » يضع قدمه على الأرض حتى نادى طاهيه فقال له : « خذ هذا القلب فابذل فى طهيه عنايتك واهتمامك ، واستعن بكل ما لديك من الفن والذكاء حتى تجعله شهياً لذيذ الطعم ؛ ثم احضره لى في طبق من الفضة ! »

أطاع الطاهى أمر سيده وبذل فى طبخه كل ما لديه من حذق ومهارة حتى جعله اشهى طعام فى الدنيا

وحانت ساعة العشاء فجلس « غليوم » وزوجه الى الخوان ليتعشيا، وكانت نفس الزوج ممتلئة بفكرة انفاذ الجريمة فلم تبق فيها مكاناً لتشهى الطعام، وثم لم يأكل الا قليلا جداً ووضع قلب حبيبها مهروسا أمامها فلم يذق منه الزوج شيئا ؛ واقبلت

الزوج على التهامه اقبالا ؛ وساعدها على ذلك أنها كانت فى ذلك المساء حاضرة النهم فتذوقته متلذذة ، واستمرأته بشهية عجيبة حتى أتت عليه فلم تبق منه شيئاً .

سألها زوجها : كيف تجدين هذا الطعام ؟

فأجابته مشرقه الاسارير : « أفخر طعام تذوقته » فقال لها « غليوم » :

« ذلك ما لم أتردد فى اعتقاده لحظة ، فان من الطبيعى المألوف جداً أن يعجبك بعد موته ـ ذلك الذى اعجبك اثناء حياته ! »

فسألته السيدة . بعد أن اطرقت ساكنة لحظة : « كيف تقول : ، وأى شىء اذن قد اطعمتنيه »

فاجابها الفارس قائلا :

هو قلب «جاردستن » الخائن ؛ هذا القلب الذى لم تر عليك عارا في حبه ، هذا القلب الذى انتزعته بيدى ، وشققت صدر صاحبه بنفسى ، قبل أن أصل الى هنا بلحظة واحدة ، نعم هو هذا القلب الذى أكلته الآن ! »

* * *

لن أبدى أية محاولة لا صف للقارىء ما أفعمت به نفس السيدة من الألم حين سمعت هذا النبأ المرعب ، حسب القارىء أن يعلم أنها كانت تحب « جاردستن » أكثر من نفسها ليتمثل مقدار ما عانته من الألم !

ولقد كانت نفسها حساسة جدا ، فأصبحت فريسة الغم نهب الالم وتميزت غيظاً وغمرتها الاحزان المذهلة فمنعتها عن الكلام وقتا ما ، ثم انتبهت لنفسها فجأة ، فاندفعت تقول متنهدة حسرى :

« لقد مثلت ايها الرجل دور الفارس النذل الخائن ! »

إن « جاردستن » لم يسلك أية طريق من طرق القسر أو العنف فى

استمالتى اليه و تعلقي بحبه بل أنا و حدى التى خانتك ، و أنا و حدى التي كانت جديرة بالعقاب . على انه ليس يرضى الله - بعد ان حل فى جسمى أنفس لحم فى هذا الوجود ، بعد ان اكلت قلب احب مخلوق و اشجع فارس على وجه الارض - نعم ليس يرضى الله ، و لا تستسيغ نفسى بعد اليوم ان آكل بعده أى طعام جديد حتى لا يختلط بلحمه النفيس »

قالت ذلك تاركة المائدة ثم القت نفسها - بلا تردد - من نافذة قريبة منها ، شاهقة الارتفاع فهرس جسمها هرساً

أدرك « غليوم دى روسيون » خطأه حينئذ فأقبل على نفسه يقرعها أشد تقريع و يعنفها أشد تعنيف ، و طار قلبه شعاعا و تملكه الذعر فأسرع فى الحال هارباً .

* * *

وجاء الغد فذاعت الحادثة كلها و عرف الناس من أمرها كل شئ ، حتى أدق خفاياها ، فأقبل الاصحاب و اهل السيدة و الكونت حاكم « بروفنس » فجمعوا بقايا جسميهما ، فكفنوهما معاً باحتفال عظيم ، و ساروا بهما من قصر ذلك الفارس القاسى القلب حتى بلغوا الكنيسة ، ثم نقشوا على قبرهما قصة غرامهما و ما لقياه فى سبيل الحب ، و مصرعهما المحزن الذى ختمت به مأساة حبهما .

و لا يزال قبرهما جاثماً الى اليوم ؛ منقوشاً عليه تلك القصة الرهيبة !

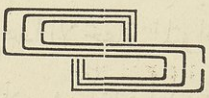

تغفل مزدوج

كانت مدينة « فلورنسا » فى الزمن السالف مسرحا لأهم الحوادث الغريبة -على اختلاف انواعها - وكان من بين قاطنيها آنسة صغيرة اثيلة الحسب كريمة المنبت- زوجت من فارس مشهود له بالفضل - واذ كان كثير من الناس يضجرون من تذوق لون واحد من الوان الطعام - ولا يروقهم الاقتصار عليه - بالغا مابلغ من الاتقان - هامت الحسناء بحب فتى ظريف -اسمه «ليونيت» تام الاناقة لطيف المعاشرة جذاب الحديث - وان كان جبان القلب من اسرة غير عريقة فى المجد - ليس لها ماض معروف فى الحروب والفروسية .

هام الفتى بحبها - كما هامت بحبه - وتوثقت بينهما عرى الوفاق والالفة ولم يتأخر كلاهما عن اثبات حبه للآخر بطرق شتى - وظلا ردحا من الزمن ناعمين معا بالسعادة متذوقين من افانينها اعذب ما يستطيع ان يتذوقه عاشقان، حتى جاءهما السيد « لمبرتينى » احد فرسان ذلك العصر فنغص عليهما هذا الصفو.

شعر ذلك الفارس ان حب السيدة الشابة قد تملك عليه كل قلبه ودله عقله ولبه ، ولكنه لم يرق الفتاة فقد شعرت نحوه بالكراهية والمقت - ورأت فى شكله الفظاظة - فلم تشأ أن تعيره التفاتا

بذل جهده فى سبيل استمالتها واكثر من مراسلتها واستعطافها بكل وسيلة فلم يتوج سعيه بالفلاح، فسئم هذا الاخفاق المتواصل ودفعه ضجره من ضياع تنهداته وضراعته عبثا - فأراد - وساعده أيده وغناه على تحقيق ارادته - ان يضع حداً لهذا العبث ويقسر الحسناء على الاهتمام بأمره ، فبعث اليها متوعدا اياها بتدبير الف مكيدة ، ونصب الف فخ لايقاعها - اذا اصرت على رفضها وعنادها .

عرفت السيدة الجد في لهجته وايقنت انه صادق فى وعيده لما تعرف فيه من الجرأة وسعة الحيلة - وخشيت ان يوقعها في مكيدة خبيثة او يدبر لها حيلة تكشف سترها فاقبلت عليه مرغمة، وأنالته - عن طريق الخوف - ما لم يكن ليدركه من طريق الحب

* * *

كان من عادة السيدة « ايزابو » - وهذا هو اسمها - ان تقضى فصل الربيع فى الريف - فى بيت لها هناك من اجمل البيوت، وقد اقامت فيه وزوجها زمنا ثم اضطرت الظروف زوجها الى التغيب عنها بضعة ايام، فلم يكد يغادرها حتى بعثت الى عشيقها « ليونيت » ليوافيها حيث ينعمان بالقرب معا

وهنا أدع لك تقدير هذه الدعوة وتمثل اثرها فى نفس العاشق تاركا لك مجال التفكير واسعاً فيما جنياه وهل عرفا أن يتمتعا بفرصة غياب الزوج !

* * *

أما « لمبرتينى » فلم يكد يبلغه نبأ تغيب الزوج حتى أسرع إلى جواده فامتطاه ميمما دار السيدة « ايزابو » الحسناء

دق الباب فلم تكد تراه الخادمة حتى أسرعت تعدو إلى سيدتها لتخبرها بقدومه ، وكانت « ايزابو » منفردة بعشيقها « ليونيت » فى حجرتها وللقارىء أن يتصور بسهولة مقدار ماسببته لها تلك الزيارة الثقيلة من النكد

كم كان بودها أن تطرده ولكنها كانت تخشاه كما يخشى الأنسان البارود ؛ وكانت تتحامى جانبه ولا تجد فى نفسها شجاعة لأظهار كرهها - فلجأت إلى الملاينة والحيلة وطلبت إلى عشيقها الحقيقي أن يختبىء تحت السرير من ناحية الجدار أو أية ناحية أخرى - حتى تتمكن من اقصاء ذلك الفارس

وكان ليونيت - كما أسلفنا - جبانا بطبعه فقبل نصيحتها مختارا وصادفت من نفسه كل الأرتياح

ذهبت الخادمة بعد ، إلى لمبرتيني لتفتح له الباب ، فرأته قدنزل عن جواده إلى الأرض وربطه إلى حلقة من الحديد مثبتة بحائط فى فناء الدار

استقبلته الحسناء ـ صاعدا فى أعلى ـ السلم بوجه هادىء الأسارير ضاحك السن ثم سألته عن سبب مجيئه فبدأها بالعناق ثم أجابها على سؤالها بأنه لم يكد يصل إلى علمه نبأ تغيب زوجها حتى أسرع اليها بالمجىء للائتناس برفقتها.

شكرت السيدة له هذه النية ثم أدخلته فى حجرتها ولم يكن صاحبنا ممن يضيعون الوقت عبثا فبدأ بالباب فأغلقه ليرغم السيدة على إرضاء رغباته ! ! . . عائق جديد !

ولكن الزوج وصل فى هذه اللحظة ولم يكن يتوقع أحد عودته بهذه السرعة فى تلك الظروف المحرجة

* * *

لمحته الخادمة من النافذة ـ وهو مقبل صوب المنزل ـ فذهبت تعدو إلى حجرة سيدتها قائلة : « سيدتى لقد أتى زوجك وكأنك به وقد وصل إلى البيت ودخل فناءه فقد رأيته من النافذة على كثب من المنزل »

هنا رأت « ايزابو » نفسها فى مأزق حرج ، رأت عندها رجلين في حجرتها، وشعرت أن من المحال اخفاء الفارس فأن زوجها سيرى ـ وقت دخوله ـ جواده فى فناء الدار فينكشف أمرها ، لذلك أذهلها هذا النبأ فكادت تستسلم للهزيمة، لقد حارت فى أمرها فلم تدر ماتصنع للنهوض من هذه الكبوة وكأنما ألهب الخوف قلبها الهابا فأوحى اليها بطريقة الخلاص فجأة فالتفتت إلى « لمبرتيني » قائلة : « إذا كنت تحبني ويسرك أن تنقذ شرفى وحياتى فافعل ماأقوله لك : اشهر ـ فى الحال ـ سيفك مسلولا فى يدك ، وتظاهر بأنك مهتاج محنق وان الغضب قد أخرجك عن طورك، فاذا نزلت فقل اثناء خروجك: « سأعرف كيف أعثر عليه فى مكان آخر » ومهما يستوقفك زوجى

أو يستفسر منك عمن تعنيه بهذا التهديد ، فلا تجبه إلا بما قلته لك، فاذا ألح عليك - بعد أن تمتطى جوادك - فغادره متظاهراً بأنك لاتسمع مايقوله ، وحذار أن تجيبه بأي شيء مهما كانت الأسباب ومهما احتج عليك ، هذا هو رجائى اليك » فوعدها - لمبرتينى - باتباع ما أشارت به عليه . وقد فعل !

وصل الزوج الى منزله فرأى فى فنائه جوادا فبدأت تخامره الظنون ، وأنه ليهم بالصعود الى زوجه ليسألها :ماالخبر؟ اذ لاقاه السيد (لمبرتينى) فى أسفل السلم مشتعلا غضبا - بسبب ماتكبده من العناء على غير جدوى ومعاكسة الظروف له . فقال له الزوج - وقد راعه ماكان يبدو على سحنته من التهيج - : «ماوراءك أيها الفارس؟» فاجابه قائلا - : «اقسم لسوف اعثر عليه فى مكان آخر حيا أو ميتا» ثم ادخل سيفه فى غمده واعتلى ظهر جواده وغمزه بمهماز يه فانطلق يعدو فى سبيله عدوا.

* * *

بهت الزوج من هذا المنظر ؛ ثم صعد فلقيته زوجه فى أعلى السلم متظاهرة بالحيرة والاندهال، فقال زوجها: «مامعنى هذا ؟ وماذا جرى للسيد «لمبرتينى» حتى خرج مشتعلا غيظا وحنقا؟ ومن يعنى بوعيده ؟»

فاقتربت السيدة الرقيقة « ايزابو » من باب الحجرة ليتمكن «ليونيت» من سماع جوابها؛ ثم قالت: «لم أشعر فى كل حياتى بمثل ماشعرت به اليوم من الخوف والرعب ؛ لقد جاءنى فتى لاأعرفه ولم ار وجهه قبل هذه المرة، ملتجئا الى يسألنى ان اخبئه لأنقذ حياته من السيد «لمبرتينى» الذى كان يطارده ، شاهرا فى يده حسامه لقتله !ولما وجد باب غرفتى مفتوحا أسرع الى الدخول مذعورا ،وارتمى على قدمى صائحا: «انقذي حياتى ياسيدتى، واردت ان أسأله مااسمه وما لقبه وماسبب ذعره، فرأيت السيد «لمبرتينى» قادما وهو يصيح: «اين هذا الخائن»؟ فاسرعت

الى باب الحجرة فأغلقته لأحول بينه وبين الدخول . على أن «لمبرتينى» ظل محتفظا باحترامه لى - بالرغم من حدته وحنقه - فلم يلجأ الى العنف معى، وبعد ان وقف صاخبا لاعنا وقتا طويلا ، نزل من السلم كما رأيت »

* * *

فأجابها الزوج : «الرشد والحزم مافعلت يازوجتى فلقد كان يغضبنا جداً أن يقتل ذلك الرجل فى بيتنا، وما كان ليليق بفارس مثل - لمبرتينى - ان يطارد شخصا بعد ان احتمى بنا »

وثم قالت الزوج - : «ترى في أية ناحية من الغرفة اختبأ ؟ لقد دخل الغرفة أمامى ؛ اين انت اذن ايها المختبىء» ؟ وهنا صاح الزوج : «تستطيع الآن ان تخرج بلا خوف فأن عدوك قد أصبح بعيدا عنك » .

* * *

كان «ليونيت» قد سمع كل مادار بين الزوج وزوجته من الحوار فخرج من بين السرير والجدار ، وقد زال عنه الخوف من الزوج كما زال خوفه من منافسه « لمبرتينى » من قبل

فسأله الزوج — : «على أي شىء اختصمت والسيد «لمبرتينى»؟»

فاجابه العشيق — : « استطيع ان اقسم لك ياسيدى اننى لاأعرف لذلك الخصام سببا فانى لم آت ما يسوءه ولا فعلت معه شيئا يغضبه قط ،وهذا وحده يؤكد لى انه قد خلط بينى وبين آخر حسبنى اياه !

لقد قابلنى على مسافة بعيدة من هذا المنزل فالقى على نظرة قصيرة لاتكفى أن يتحقق من شخصى بها ورأيته يشهر فى يده حسامه ثم يجرى نحوى مهتاجا وهو يصيح متوعدا «ايها الخائن إنى لمهلكك» فرأيت من الحزامة ان الجأ الى الهرب دون ان اسأله عن سبب حنقه او استفسر منه عن هذا الأمر الغريب»

وريثما وقف يربط جواده انتهزت الفرصة للالتجاء الى هنامحتميا بهذه السيدة الكريمة التى أنقذت حياتى متفضلة

فقال له الزوج : « لا عليك ياصاح اذهب فسأشيعك الى منزلك آمنا ثم تذهب بعد ذلك الى السيد « لمبرتينى » لتوضح له حقيقة امرك »

***

ثم تعشوا جميعا وأركبه الزوج جوادا ورافقه بنفسه حتى بلغا « فلورنسا » فودعه بعد ان اوصله الى منزله .

ذهب الفتى « ليونيت » الى « لمبرتينى » فى نفس المساء فحدثه بكل مافعلته السيدة الماكرة (ايزابو) وسارت الامور بعد ذلك على خير ما يرومون فان الزوج لم يخامره ريب في ذلك التفسير الخبيث الذي اقتنع به دون ان يفطن الى حيلة زوجته و تغفلها اياه تغفلا مزدوجا !

نكبات الغيرة

« مارسيليا » كما تعلمون من أقدم مدن « بروفنس » وأشهرها وقد زاد خطرها موقعها من البحر فبلغت - فيما مضى - شأوا بعيد المدى فى التجارة، وكانت فرضة يؤمها القاصدون ، بالرغم من أن شهرتها في هذه الأيام قد أصبحت أقل منها فى ذلك الزمان

وكان من بين تجار هذه المدينة تاجر قد بلغ من الغنى أقصاه وأحرز ثروة هائلة من العقار والمال ، اسمه « نارنا لدكلواد » أهله غاية فى الضغة وان كان الرجل نزيها شريف النفس طاهر القلب.

ولدت له زوجه كثيراً من الأطفال من بينهم بنات ثلاث أكبر من اخوتهن الذكور ، تبلغ سن صغراهن أربعة عشر ، وسن الأخريين - وقد كانتا توأمين - ستة عشر عاماً ، ولم يكن ليعوق أمهن عن تزويجهن الا ترقبها عودة زوجها من « اسبانيا » بعد أن ينهى أعمال تجارته هناك ، وكان اسم احدى التوأمين « نينت » واسم صغراهن « برتل »

هام بحب « نينت » شاب فاضل - اسمه « رستنيون » - ولكنه فقير لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ، وأغرم بها إغراما ، ولم يكن هيامها به أقل من هيامه بها

وإذ كان خفيف الروح جذاب الحديث حلو المعاشرة ، عرف كيف يخطب ودها ويستميلها اليه ، فلم تقف اختاها فى سبيل حبهما ، بل على العكس من ذلك شجعتاهما عليه فذكت نار غرامهما ونما حبهما حتى بلغ أقصاه

وبينما هو ناعم بحبه اياها متمتع بعطفها عليه يتذوق لذات السعادة ؛ هام شابان بحب الفتاتين الأخريين ، وكان المحبان شقيقين فقدا أباهما صغيرين وورثا منه ثروة طائلة، وقد هام أحدهما بحب « كارولين » وهام الآخر بحب « برتل »؛ وكان اسم الأول « فولك » واسم الثانى - وهو الأخ الأصغر - « ايجويت »

لم يكد عشيق « نينت » يعلم نبأ هذا الغرام الجديد حتى عزم على الانتفاع بهذه الفرصة واتخاذها وسيلة للخلاص من فقره بمساعدتهما إياه ، وبهذه الطريقة بدأهما بالتعارف ولم يكن دائباً فى تسهيل السبل لتمكينهما من لقاء عشيقتيهما ومرافقتهم جميعاً فى المواعيد التى يضربها لهم بما يبذله فى ذلك من سعة الحيلة والذكاء

وجماع القول أنه لم يكد يدع فرصة تسنح دون أن ينتهزها ليظهر لهما اخلاصه وحماسته ويصطنعهما ، ولما وثق من استمالتهما إليه واكتساب ودهما ، دعاهما ذات يوم إلى الفطور معه فى بيته . وبعد أن خاضوا مختلف الأحاديث التفت اليهم قائلا : «

أى صديقي »إن نفسى لتسول لى أننى جدير منكما بمثل ما صنعته معكما من الفضل والاحسان حتى أرتاح لما أتيته معتقدا أنه كان فى موضعه ، فان معرفتى إياكما وارتباطى بكما وثيقة الأواصر متينة الأسباب كذلك .

سأعمل لكما كل ما على وأنفذ لكما ما تصبوان إلى تحقيقه من الرغبات غير محجم عن البرهنة لكما على صدق حبى وولائى بكل وسيلة

على أنى لاأشك أيضاً فى ولائكما لى وتعلقكما بى ، وهذا ما يدعونى إلى الافضاء اليكما باقتراح - اذا قبلتماه - جعل ثلاثتنا أسعد الناس !

تعلمان أن أقل مايقال في هيامى بعشيقتى « نينيت » أنه لايقل عن هيامكما بأختيها ، وتعلمان كم نلاقى من العقبات التى تعترضنا جميعا فى سبيل رؤية من نحب ، وكم يلاقين كذلك من الصعوبات فى سبيل لقائنا، حسن ! وهذا مادعانى إلى التفكير فى إزالة هذه العقبات التى تكتنفنا والتغلب على كل ما يحول بيننا وبين هنائتنا أو يكدر صفونا اذا قبلتما ما أقترحه عليكما الآن

أنتما غنيان وأنا فقير، فاذا شئتما أن نتقاسم جميعاً ثروتكما الطائلة، وأن تصبح لنا فيها حقوق متساوية ، نتمكن بها من أن نعيش جميعاً أصدقاء أوفياء، فانى أؤكد

لكما حينذاك أنني واثق من قدرتي على استمالة الأخوات الثلاث و إغرائهن بالسفر معنا في أي وقت نريد ، هنالك لا يكون على وجه الارض أسعد منا عشاقا و لاأهنأ بالا و أعظم غبطة! ذلك مايجب عليكما ان تفعلاه؛ لتبلغاماتريدان!«

⁂

كان الأخوان مدلهين قد وصل هيامهما إلى حد الجنون فرأيا أن اقتراح صاحبهما سيمكنهما من التمتع بمن يهويان بحرية تامة لايشوبها ضيق ولا تعترضها عقبة فلم يترددا لحظة واحدة في قبول اقتراحه فرحين، وأجاباه قائلين :

« عليك وحدك أن تختار المكان ، فنحن على استعداد للرحيل الى أي وطن يحلو لك الاقامة فيه ما دمنا سنقيم مع نهوى ! »

ابتهج « رستينيون » بهذا الجواب ابتهاجا لاحد له وهذا أمر طبيعي، و بعد بضعة أيام و جد طريقا مكنته من الوصول الى حبيبته الأثيرة« نينت » والخلوة بها فأسر اليها بما أبرمه مع « فولك » و « إيجويت »من خطة للرحيل ، ورجاها أن تسهل لهم السبيل الى إنفاذها !

لم تكن « نينيت » الصغيرة أقل منهم ابتهاجا بهذا الرأي ،ولاأقل رغبة في تحقيقه فتحركت شوقا إلى التغلب على كل مايعترض طريقهم من العقبات حتى تهدأ بذلك ثورة قلبها الهائم المشتعل بنار الحب

أكدت له أنها ستقوم راضية بهذه المهمة متكفلة باقناع أختيها؛ وطلبت اليه أن يسرع في إعداد معدات السفر في أقرب وقت

أسرع « رستينيون » بالذهاب إلى الشقيقتين ليبشرهما بهذه الخطوة الأولى التي حالفه التوفيق فيها

و بعد أن قر رأيهم على اختيار مدينة « كاندى » وطنا لهم باع الاخوان جميع مايملكان من أرض و بيوت محتجين برغبتهما في الاكتساب من طريق التجارة واشتريا سفينة حربية زوداها بمعدات الدفاع خفية ؛ مترقبين الوقت الملائم للاقلاع بها جميعاً.

أما « نينيت » فلم تكن أقل من أختيها تحرقا إلى اللقاء ولا أضعف منهما حباً فقد عرفت حق المعرفة كيف تميل رأسيهما ، وثم ظللن يترقبن ساعة الرحيل متحرقات إليها بفارغ الصبر

وها هي اللحظة المحبوبة التي ارتقبنها قد حانت ؛ فأسرع البنات الثلاث إلى خزانة أبيهن الحديدية فاحتلن على فتحها وأخذن منها كل ما يستطعن حمله من المال ثم خرجن متخفيات - أثناء الليل - ميممات عشاقهن الذين كانوا ينتظرون وصولهن بفارغ الصبر

* * *

أقلعت السفينة بالعشاق جميعاً بعد أن أرخوا لها القلاع وطابت لهم الريح طول يومهم فلم يعكر صفوهم أي معكر حتى وصلوا في المساء إلى « فنيس » حيث تذوق الأخوان ومن يحبان للمرة الأولى اعذب لذات الحب ، أما « رستنيون » فلم يكن أقل منهم تنعما بحبيبته وان كان قد سبقهم في الحب ؛ فقد طالما نعم بها من قبل في المرات السابقة حتى إذا حانت هذه الساعة المرتقبة كانت أبهج مبهجات حياته

وبعد أن قضوا ساعة من ساعات اللهو في « فنيس » وتزودوا منها بكل ما يحتاجون من الضروريات ساروا في طريقهم سائحين وظلوا على أسعد حال وأهنأ بال حتى بلغوا « كاندي » في أقل من ثمانية أيام : فرست سفينتهم عن كثب منها ونزلوا فاشتروا أخصب الاراضي وأفخم القصور وأجمل المتنزهات ؛ وثم عاشوا عيشة الترف والرفاهية وقضوا أجمل أوقاتهم فيها ، فاقتنوا كلابا ضخمة للصيد وطيوراً جارحة واشتروا أثمن الجداء وأتوا بعدد وفير من الخدم ولم يدعوا شيئاً مما اختص به الاغنياء الا أحضروه .

ولم يكن ليمر بهم يوم دون أن يقيموا ولائم جديدة ويستحدثوا مسرات طريفة لعشيقاتهم ، وجماع القول أن السعادة والفرح قد غمراهم جميعاً .

وإذ كان لكل بداية نهاية وكان الانسان قلباً لا يلبث أن يضجر من كل شيء - حتى من دوام السعادة - وإذ كان جمال أية حسناء مهما كان باهرا لا يلبث أن يقل شيئاً فشيئاً فى عين حبيبها مهما كان مغرماً بها على مدى الأيام وطول المدة والعشرة، بدأ يشعر « ريستنيون » الذى كان مدلها بحب عشيقته أن حرارة حبه آخذة فى طريق النقصان وأن جمالها أخذ يقل فى عينيه يوماً بعد يوم فبدأها بالخيانة

رأي فى بعض المواسم آنسة كريمة الأصل سحره جمالها فوقع فى حبها وأغرم بها اغراماً

حاول جهده أن يخفى حبه الجديد عن جميع الناس - لاسيما عن «نينيت» - ولكن ادامة نظراته اليها أمام زوجه التى تنافسها ، وما كان يبدو على وجهه من مظاهر الفرح برؤيتها وقلقه الدائم إذا لم يجدها واسراعه دائباً للبحث عنها فى كل مكان تحله ، كل ذلك قد ملأ نفس عشيقته « نينيت » شكوكا وريباً . وسبب لها قلقاً شديدا ، فقد كانت تحبه إلى اليوم بنفس الحرارة والعنف اللذين أحبته بهما من قبل دون أن يعترى حبها أو ولاءها له أقل فتور .

ومنذ تلك اللحظة لم يكن ليسير خطوة واحدة دون أن تراقبه زوجه المارسيلية متجسسة ؛ ثم تنهال عليه تعنيفاً وعذلا ، وزادت غيرتها حتى أربت على الغاية ، فأصبحت تلاحقه وتغاضبه لأتفه الأسباب وتلحاه على أضأل الشبه التى تتخيلها .

ولكن العقبات تحبب إلى النفس اقتحامها وتغرى بتذليلها وكل ممنوع متبوع وليس أشهى للنفس من التطلع إلى مالا تستطيع الوصول اليه ، لذلك كانت كلما أمعنت فى ابعاد عشيقها « رستنيون » عن منافستها زادته هياماً بها وكلفاً بلقائها .

ولكن هل وصل العشيق إلى اجتذاب قلب هذه المحبوبة الجديدة التى

اشتعلت نيران حبها فى قلبه ؟ وهل تمكن من استمالتها اليه ، ذلك مالا نعرفه تماماً ، وغاية علمنا أن «نينيت» بعدأن رأت مايعزز ريبتها من الدلائل والبينات، لم ترتب فى الاعتقاد بخيانته إياها جازمة فى غير تردد

رأت فى هذه الخيانة مصدر غم ونكاية لاينفد ، فامتلأ قلبها أسى وخيبة ولم يلبث أن انقلب حبها واخلاصها لعشيقها قلى ومقتاً ، وحل مكان هيامها وعطفها الأولين بغض وهياج ، ودفعتها نفسها الثائرة الناقمة إلى التفكير فى الانتقام منه.

تملكت نفسها هذه الفكرة فأرسلت إلى عجوز رومية خبيرة بأسرار السموم فاستدعتها متوسلة اليها - بعد أن استمالتها بالمال والرجاء - أن تصنع لها سما قاتلا ، وفى ذات ليلة قدمته إلى عشيقها - وقد صهرت رأسها فكرة الانتقام فلم تعد تفكر فى شناعة ماتصنع وامتلأت نفسها حقداً فلم تتبين حقيقة ماتقدم عليه - ولم يكد عشيقها يتجرع ذلك السم الزعاف حتى مات في نفس الليلة التى شربه فيها ، وكان لهذه الميتة السريعة الفجائية التى ماتها أسوأ الوقع فى نفس «فولك» وأخيه وأختى «نينيت» فامتلأت نفوسهم غماً وألماً لأنهم كانوا يجهلون سبب موته الفجائى ، وتظاهرت «نينيت» بأنها حزينة مثلهم حتى تبعد عن نفسها الشبهات فلا ينكشف جرمها الذى لم يلبث طويلا دون أن يظهر أمره للملأ.

* * *

مر على هذه الجريمة زمن قصير ، ثم شاء الله - سبحانه - أن تضبط الرومية العجوز متلبسة بجريمة أخرى من الجرائم التى تعودت ارتكابها فلما سألوها أقرت لهم بكل شئ واعترفت بجرائمها التى اقترفتها - دون أن تستثنى واحدة منها - وساقها ذلك إلى الافضاء بالسبب فى موت « رستنيون » الذى صنعت السم لأهلاكه .

ولم يكن بعدهذا الأيضاح إلاأن قام دوق «ندكاي» دون أن يفاتح أحدا

فيما اعتزمه - ثم ذهب تحت جنح الظلام على رأس فئة من جنده وفيرة العدد، فحاصر القصر الذى فيه أبطال قصتنا وألقى القبض على « نينيت » ولم يكد يفعل حتى اعترفت - قبل أن يشرع فى التحقيق معها - بكل مايريد الوصول اليه من تفاصيل الخبر دون أن تخفى عنه شيئاً

وليس من الصعب على القارىء أن يمثل لنفسه كم كانت دهشة فولك وايجويت حينما علما من الدوق سبب القاء القبض على أخت عشيقتيهما ، ولم تكن دهشة الأختين وألمهما بأقل من ذلك ، والحق أن كلا العشيقين قد بذل كل ما فى وسعه وسلك كل السبل لانقاذها واستدرار الرحمة عليها راجياً الدوق أن يعفو عن جريمتها وألا ينزل بها ماتستحقه من نكاله العادل، ولكن توسلاتهما ذهبت أدراج الرياح وتوج الفشل سعيهما معاً ، فقد صمم الدوق على معاقبتها رافضاً حتى تخفيف العقوبة عنها

* * *

كانت « مادلين » الى صغرها - جميلة وكان الدوق قد خطب ودها زمنا . دون أن يظفر من هواها بطائل ، فبدا لها أن فى استطاعتها انقاذ أختها اذا أظهرت للدوق موافقتها له ، وبهذه النية أرسلت اليه فى منزله خفية تنبئه - بلسان رسولها الذكى - أنها تقبل تلبية رغباته اذا أرجع لها أختها وأنها تعاهده على أن يظل أمر أختها - بعد أطلاقها - سرا لا تبوح به لأحد . أدخل هذا الاقتراح فى قلب الدوق أكبر السرور؛ ولقد تردد مراراً فى قبوله ولكنه استقر أخيراً - مدفوعا بعامل الحب - أن يؤثر هواه على العقل والعدل

فأصدر أمره الى رجاله بعد أن اتفق على هذه الخطة مع «مادلين» وأمر بالقبض على فولك وايجويت بحجة أنه يريد أن يسمع قولهما فى مواجهة نينيت ليعلم ما إذا كانت لهما يد فى التسميم ، وانسل فى الليلة التالية خفية الى منزل الحسناء

وقد عمل قبل كل شيء على نشر إشاعة اهلاكها بعد أن تظاهر أنه وضع خفية « نينيت » المجرمة فى جعبة وأنه ألقى بها فى اليم ، فى نفس الليلة التى أرسلها

فيها إلى أختها ، ففرحت بلقائها بعد اليأس من عودتها ، وقد طلب اليها حين أرجعها لها ان تخفيها حتى لا يضطر الى معاقبتها اذا ظهر للناس انها لا تزال على قيد الحياة .

وفى اليوم التالى أطلق سراح الأخوين فعادا إلى منزلهما وليس يخامرهما ريب فى أن « نينيت » قدهلكت بعد أن اغرقها الدوق اغراقا؛ فطفقا يعزيان عشيقتيهم عن موتها .

ورغم مابذلته « مادلين » من العناية والحيطة فى اخفاء أمر أختها ، فان فولك لم يلبث أن تكشف له وهمه حين لمحها فى البيت وعلم أنها لاتزال على

قيد الحياة ، وبلغت دهشته من ذلك أقصى حد وساورت نفسه الريب والشكوك فلم يهدأ باله ، وعادت إلى ذهنه توا ذكرى حب الدوق وغرامه السابق بها ، فلم يتردد فى الحكم بأن اطلاق سراح « نينيت » قد بذلت عشيقته عرضها للدوق ثمناً له

أفضى إلى « مادلين » بما يساور نفسه من القلق مستفسرا منها عن سر نجاة أختها فأخذت تقص عليه حكاية طويلة ملفقة حاولت جهدها أن تضلله بها لتخفى عنه حقيقة ماحدث

ولكنه لم يقتنع بشىء من هذه الخطابة الطويلة قط ؛ بل كانت - على العكس من ذلك - سبباً فى زيادة شكوكه وشبهاته ؛ واشتعلت نفسه غضباً فلجأ إلى تخويف عشيقته وتهديدها إذا لم تفسر له هذا المعمى وتوضح له حقيقة ماحدث .

خشيت الفتاة تفاقم غضبه وراعها تهديده فجبنت أمام ذلك ، ودفعها خوفها إلى الأقرار بماساقها اليه حب اختها وحدبها عليها ، والاعتراف بمابذلته للدوق ثمن نجاتها .

وقع هذا الأعتراف على قلب حبيبها وقوع صاعقة انقضت عليه ، فلم يعد يحس إلا ضربات قلبه المضطرب من الغيظ والحنق ، وقام فى الحال هائماً فامتشق حسامه وهوى به إلى صدر تلك الفتاة التعسة - وهى تهوى على ركبتيها ضارعة اليه تسأله العفو - فخرت صريعة تتشحط فى دمائها .

ولم يكد ينتبه إلى نفسه حتى أدرك خطورة مافعل وخشى موجدة الدوق وعقابه إذا ظهرت له جريمته ، فأسرع إلى « نينيت » فقال لها - وقد ارتسمت على جبينه أمارات الهدوء والسكينة : «لقد أتيت لآخذك معى ، حتى نهرب من وجه الدوق الذى بلغه أنك لم تغادرى المدينة بعد ، فأصدر أمره بالقبض عليك ، وأنت جديرة أن تفرى منه هاربة من انتقامه » وظل يقنعها أنه جاء مسرعا

الأنقاذها لأن الدوق قدعلم أنها لاتزال مقيمة فى المنزل دون أن تصدع بأمره ولم تغادر البلد

كانت « نينيت » متوجسة شراً من الدوق خائفة من عدوله عن العفو الى الانتقام ؛ وكان لها كل العذر فى هذا الخوف ؛ فان الطمأنينة لم تدخل قلبها بعد ، لذلك لم تتردد فى مطاوعته و تلبية اقتراحه . فنهضت مسرعة غير مفكرة حتى فى توديع أختيها و سارت معه فى الطريق أول الليل ـ بعد أن حملا كل ما وجداه فى البيت من المال ـ ثم قصدا إلى أول ميناء قريبة منهما فأبحرا منها دون أن يعرف أحد وجهتهما ولا ما آل اليه مصيرهما

***

أما الدوق فلم يكد يعلم نبأ قتل « مادلين » حتى أصدر أمره بالقبض على « إيجويت » وعشيقته ، وعبثاً احتجا بأنهما بريئان من تبعة هذا الجرم مستدلين على ذلك بهرب « فولك » و « نينيت » فقد أصم الدوق أذنيه ولم يصغ الى ندائهما ؛ وأحالهما الى التحقيق ؛ واضطرهما ما تجرعاه من غصص العذاب والالم إلى الاعتراف ـ رغم براءتهما ـ بأنهما شريكان في قتل « مادلين » ولم يكن أمامها ـ بعد أن فاها بمثل هذا الاعتراف ـ إلا الموت الوشيك ، وبعد لأى ما ، اهتديا إلى طريقة للخلاص من هذا المأزق المهلك فلجئا إلى رشوة بواب السجن ووعداه أن يعطياه ـ إذا أطلق سراحهما ـ مبلغاً كبيرا من المال كانا قد خبئاه فى مكان خفى . ليستعينا به وقت الحاجة

رضى البواب بذلك وأبحر معهم أثناء الليل فهربوا جميعا الى « رودس » حيث تجرعوا غصص الفقر وأهوال الفاقة ، ولم يلبث العشيقان أن حالفهما البؤس حتى واراهما التراب .

المبردية (١)

أو

نعيمة

مثال الطالبة المجدة فى درسها المنصرفة الى اداء واجبها المبرزة على قريناتها ؛ وقد جمعت الى جدها ذكاء نادراً وجمالا فاتنا فكانت نموذج الفتاة المهذبة الحسناء .

أحبتها معلماتها ، وأكثرن من الثناء عليها ؛ والاعجاب بحذقها ؛ وكن يتخذن منها - في كل مناسبة تسنح - نموذج الطالبة النشيطة ويطلبن الى تلميذاتهن أن يتخذنها قدوة لهن ، فى الاخلاق والانصراف الى العلم .

نجحت فى امتحان الشهادة الابتدائية نجاحا باهراً ، ثم لم تلبث أن التحقت باحدى المدارس الثانوية فلم تقصر يوما واحدا فى اداء واجب مدرسى ، ولا اقترفت مرة واحدة عملا تستوجب عليه عقابا أو معاتبة

وظلت كذلك حتى أوشكت أن تتم دراستها الثانوية ، وفى ذات يوم انصرفت من مدرستها كعادتها ولم تكد تصل الى منزلها حتى وجدت فيه ابن عمها

وكان فتى ظريفا ممشوق القد جذاب الحديث ، عاد من الاسكندرية الى القاهرة فبدأ بزيارة « أم نعيمة » في منزلها وسأل عن بنتها نعيمة ، فأخبرته أنها لم تعد بعد من المدرسة ، وكان لديه من الاعمال ما يشغله عن لقائها ، ولكنه انتظر عودتها نحو ساعة حتى اذا رآها سلم عليها وسلمت عليه ، وما هى الا النظرة الأولى حتى استعادا ذكرى أيام الطفولة البريئة ، وساعات اللعب التى قضياها معا فى منزل جدهما ، وظل « صادق » يحادثها وتحادثه مبتهجين بتلك المصادفة الحسنة ، وذهل « صادق » عن كل شئ ونسى ماجاء لاجله من الاسكندرية من

---

(١) من كتاب « قصص مصرية »

الاعمال الهامة . وأحست «نعيمة» عواطف مبهمة لم تستطع فهم كنهها . ولكنها أحست أيضا غبطة وفرحا لم تعرف مصدرهما . وارتياحا لم تهتد الى تعليله . فقد كانت هذه المرة أول عهدها بالحب

لقد شعرت بالحب . وشعر (صادق) أنها أصبحت ألزم لوازم حياته.

طال الحديث بينهما الى ما بعد الغروب ، وجاء وقت العشاء . فمدت المائدة فأكلا هنيئا مع الأم ، وشربا مريئا ؛ وصفا الوقت ثم جاء وقت النوم . فقام كل منهما الى مخدعه المعد له ، فقضى ليلة ناعمة بالاحلام السارة ، متمثلا قرب زمان السعادة .

فلما أصبح الصباح خرجت نعيمة الى مدرستها - بعد أن ودعت ابن عمها وداع المحب حبيبه - ثم عادت الى البيت فوجدته قد سبقها اليه بساعة، فقضيا ليلة ناعمة ، وزاد تمكن الحب فى قلبيهما ؛ ومكثا على ذلك أسبوعا كاملا

وردت رسالة الى «صادق» من الاسكندرية يحثه بها أبوه الى العودة ؛ فأذعن مكرها ،وودع حبيبته كاسف البال حزينا ؛ وأسرع فى إنجاز ماتبقى من مهام التجارة التى كلفه بها أبوه ، ولم يكد يصل الى الاسكندرية حتى انقلب حبه إلى عشق فهيام

أما «نعيمة» فقد انشغل قلبها بحب صادق ، ولم تبرح صورته ذهنها . . . .

لم يمض الاسبوع الاول - بعد سفر صادق - حتى بعث الى « نعيمة » برسالة بثها فيه حبه ولم يكتم عنها حقيقة أمره ، فاجابته برسالة صريحة أخبرته فيها بكل ماتجنه له من الوجد والهيام

رد عليها برسالة فاتحها فيها بأمر الزواج . فلم يكن أسرع من اجابتها إياه بالقبول . بعد أن عرضت الامر على أمها . فلم تجد منها ممانعة ولا ترددا .

عاد صادق الى أبيه فرحا . فقص عليه نبأ حبه وأظهر له عزمه على الزواج منها . فطلب إليه أبوه أن يتريث قليلا حتى تتحسن حالهما المالية ، وحتى يزول

كساد السوق ، ولم ير الوالد مانعا من تزويج ابنه من ابنة أخيه ، بل رأى ـ الى ذلك ـ أن فى هذا توثيق أواصر الاسرة

بعث «صادق» الى «نعيمة» بخلاصة ماقر عليه الرأى فى أمر الزواج ، طالبا اليها ان تنتظره ستة أشهر ، لاتقبل فيها الزواج من أحد ، فعرضت ذلك على أمها مبتهجة بقرب موعد السعادة التى ظلت تحلم بها طويلا.

ومضت على ذلك أربعة أشهر كاملة ، أعدّ فى اثنائها الزوج كل معدات القران ، وجد فى أثنائها حتي جمع المبلغ اللازم لمهرها ، ولم تكد تمر ساعة واحدة بنعيمة من غير أن تفكر فى ابن عمها المحبوب متمثلة ماتستقبلها من السعادة المحققة التى ستنعم بها ، مستعرضة امامها ـ فى أغلب الاوقات ـ رسائل حبه وغرامه

هجرت «نعيمة» المدرسة عقب سفر «صادق» الى الاسكندرية ، وتركت دروسها ، متفرغة الى قراءة القصص الغرامية وأشعار الحب والنسيب.

* * *

كان لنعيمة أخ وسيم ، جميل الطلعة اسمه «على» وكان شديد الشبه بها الى حد يدعو إلى الدهشة ، وكان يعول اسرته بعد موت ابيه ، يعمل كاتبا ووكيلا لعمدة من اغنياء المصريين فى بلد قريب من ضواحى القاهرة ، ويرسل مرتبه الشهرى الى امه واخته لينفقاها فى حاجاتهما

* * *

وكان السيد «محمود» العمدة الذى يعمل عنده «على» أخو نعيمة ، شيخا قد ناهز الستين ؛ ولكنه كان عظيم الغنى ، كبير المقام ، ماتت زوجه منذ عام فظل حزينا عليها زمنا ، ثم بدأت تساوره فكرة الزواج من أخرى ، ولم يمر زمن قليل حتى انقلب تردده فى انفاذها عزما ، ففاتح اصدقاءه فى ذلك ، فزينوا له الزواج ومدحوه له ، وأخذ كل منهم يصف له من يراها تلائمه

مكث السيد محمود شهرا حائرا فى اختيار الزوج التى تشاركه فى أيامه القليلة الباقية ، وثروته العظيمة التى جمعها بجده ونماها بتدبيره وحسن تصرفه

وكان السيد (محمود) يثق برأى كاتبه (على افندى) ويستشيره فى اكثر الاحيان ، مقتنعا بكل مايشير به عليه من الرأى ، ففاتحه ذات يوم بما يجول فى خاطره من أمر الزواج وسأله أن يرشده الى فتاة جميلة ، يسلمها مفتاحى قلبه وثروته ، فأشار عليه « على افندي » بالزواج من أرمل مثرية تقطن على مسافة قريبة من بيته فى القاهرة

وكأنما حركت فى نفس العمدة تلك الجملة الاخيرة معانى كانت مدفونة وأثارت منها عواطف كامنة

« يتزوج من نساء القاهرة ، ومن امرأة تقطن بيتا قريبا من منزل على افندي »

« حسنا ، حسنا ، ياعلى افندي . ولكن أليس لك قريبة تشبهك فى قسامة الوجه ، وجمال الخلق ؟ »

ليس لى غير أختى « نعيمة » وهى فتاة متعلمة لاتتجاوز السادسة عشرة من عمرها ! »

- « أختك ! أختك »

- « نعم ! »

- « أمتزوجة هى ؟ »

- لم تتزوج بعد ! ولكن ابن عمها فاتحنا فى أمر زواجه منها منذ أربعة أشهر ؟ »

- « وما صناعته ؟ »

- « تاجر من تجار الاسكندرية يعمل مع أبيه »

- « ألا تقبلنى زوجا لاختك ؟ »

- « ومن لنا بهذا الشرف »

« أؤكد لك اننى جاد فى القول ، وان كل ما أمتلك من ثروة وعقار هو ملك لاختك منذ الساعة »

- « ولكنك لم تريها الى الآن »

- « حسبى أنها أختك ، وانها تشبهك »

* * *

- أعد العمدة معدات السفر الى القاهرة مستصحبا معه أخا الفتاة فلما بلغا المنزل واستقر بهما الجلوس ؛ دعا بالفتاة فجاءت وحيته ، فلم تكد تقع عليها عيناه ، حتى انبهر لبه ، وملك عليه حسنها كل قلبه

لقد رآها فوق ما كان يتصور ، لقد تجاوزت مناه ، وأربت على مأموله

ومن يطيق مردا عند صبوته ومن يكون لمستور إذا خلعا

همس فى أذن « على أفندى » أنها غاية ماتصبو اليه نفسه . ففرح « على أفندى » بذلك ، وذهب إلى أمه فقص عليها القصة بحذافيرها فشاركته فى فرحه . ولاحت أمام عينيها قصوره الفخمة وأملاكه الواسعة . وتمثلت أنها قد أصبحت كلها ملكا لابنتها (نعيمة) فحسبت أن ليلة القدر قد وافتها : وان الزمان قد بسم لها ، فأسرعت إلى ابنتها (نعيمة) تعيد عليها مابشرها به ابنها . ولكنها لم تكد تصل إلى نقطة الزواج . حتى صرخت (نعيمة) غاضبة :

« ماهذا الخلط والهذيان ياأمى ، هذا بلا شك رجل معتوه ، كيف يطمع فى الزواج من فتاة لاتعد و أن تكون حفيدة له ، ياله من أحمق ! »

— « صه يابنتى ، خفضى من صوتك لئلا يسمعك »

* * *

أرسل السيد محمود ، إلى منزل خطيبته « نعيمة » فى اليوم التالى هدايا فاخرة وتحفا ثمينة من ثياب وحلى بهرت الأم ، بقدر ما غمت بنتها

لم يكد يمر الاسبوع الأول حتى غمرهم السيد محمود بهداياه اليومية ، وجاء موعد « العقد » فأهدى الفتاة قرطا من الماس ، وتم العقد على رغم أنف الفتاة التى لم تدع وسيلة لاظهار سخطها إلا أبدتها

— بلغ نبأ العقد خطيبها « صادق » ولكن بصورة تخالف الحقيقة ، فقد أدخلوا فى روعه ان ابنة عمه راغبة فى العمدة ، هائمة بحبه ؛ وأنها لاتفكر فى « صادق » الفقير .ولايدور بخلدها لحظة واحدة أن تفضله على خطيبها الجديد ، ذي الثروة الطائلة والاراضى الواسعة !

يئس « صادق » من حبها ، وانقلب يأسه إلى نقمة عليها ، وساء رأيه فى النساء جميعاً ، وأصبح لايترك فرصة تمر دون أن يشنع على المرأة ويقبحها :

فان تسألونى بالنساء فاننى بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له فى ودهن نصيب

***

ومر على العقد شهران ثم قرب يوم الزفاف ؟

افتنوا فى الزينة ؛ ودقت الطبول ، وعزفت الموسيقى وكانت ليلة قمراء زاهية ازينت « نعيمة » فأصبحت آية من آيات الجمال ، وفتنة من فتن الحسن ، والتفت المدعوات حولها وغنتها القيان ، ولكن شفتيها لم تفارقهما ابتسامة الكمد والألم .

***

صعدت « نعيمة » ليلة العرس الى سطح المنزل لتمتع نفسها بجمال السماء ، و بهاء القمر ، وقت اشتغال المدعوات بتناول طعام العشاء !

لم تشأ أمها أن تضيق عليها فى البقاء معهن ، بل تركتها ترفه عن نفسها قليلا ، غير حاسبة حسابا لما يدخره القدر !

نظرت « نعيمة » الى جمال السماء ثم الى روعة البدر المؤتلق البهيج ، ثم

فكرت فى حبيبها الذى ناطت به آمالها وجعلته موضع رجائها وتمثل امامها زوجها الذي يريدونها على الزواج منه الليلة

تمثلت أمامها عينيه الغائرتين ولحيته البيضاء وانفه المفرطح

ودارت بذهنها خواطر مزعجة ، وطافت بخاطرها أفكار مرعبة

ذرعت سطح المنزل جيئة وذهابا ، ثم وقفت وقفة الحائر المشدوه والقت آخر نظرة على القمر والسماء وأنوار العرس الساطعة المتلألئة

ثم قذفت بنفسها من حالق ، فسقطت ميتة لاحراك بها من غير أن تنبس ببنت شفة !!

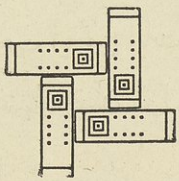

أكلة الفراريج

« حكاية عن ملك فرنسا »

كان الماركيز « دي مونت فرات » قائداً من أعظم قواد عصره وأسماهم مكانة ، وقد أهلته مواهبه النادرة ، أن يكون حامياً من حماة الكنيسة ، واضطرته تكاليف هذه الحماية وأعباؤها إلى تخطى البحار والسياحة البعيدة على رأس جيش ضخم من المسيحيين الراغبين فى فتح الارض المقدسة.

وفى ذات يوم عرض ذكر هذا القائد وما قام به من جلائل الأعمال ، في حضرة ملك فرنسا « فيليب الأعور » الذي كان ينوى القيام بمثل تلك الرحلة ، فقال أحد الحاضرين — :

« إن أسعد زوجين تحت السماء هما هذا الماركيز وزوجته الماركيزة وليس فى الدنيا أنعم منهما بالا ، وإن تفوق الماركيز على أقرانه فى الحروب والمعارك ، لا يعادله إلا تفوق زوجه على غيرها من النساء فى الجمال والعفاف ! »

* * *

تركت هذه الكلمات فى نفس الملك أثراً بعيد المدى . فلم يكد يسمعها حتى هام بحب الماركيزة — دون أن يراها — وكان على وشك الرحيل الى فلسطين إذ ذاك ، فعزم على السفر الى « جنوا » والذهاب اليها بحرا عن طريقها ، لكى تمكنه الفرصة من المرور بمونت فرات حيث يتمتع برؤية هذه الانسانة الحسناء ، وسولت له نفسه أن فرصة غياب زوجها عنها ستساعده على قضاء لبانته

لم يتردد « فيليب » فى انفاذ خطته ، ولم يكد يتم أهبته حتى أسرع فى طريقه متقدما جيشه فى كوكبة من رجاله المصطفين ؛ حتى إذا أصبح على مسافة يوم

من منزل الماركيزة بعث من ينبئها بقدومه اليها وعزمه على تناول طعام الغداء فى بيتها غداة الغد.

فأرسلت اليه تلك السيدة الحازمة معلنة شكرها وتقديرها هذا الشرف العظيم الذى أسداه اليها بهذه الزيارة قائلة - :

« إنها ستبذل كل مافى وسعها لاستقباله أحسن استقبال »

* * *

ولقد كانت هذه الزيارة من مثل هذا الملك العظيم - الذي لايتصور أحد أنه كان يجهل تغيب زوجها - من الأمور المستغربة التى لم ترتح اليها السيدة بادىء الأمر.

وكانت تجهل الدافع له إلى زيارتها، ولكنها - بعد أن فكرت فى الأمر مليا - أيقنت أن شهرة جمالها - بلا شك - هى السبب الوحيد فى مجيئه اليها !

على أنها لم تتردد فى إعداد كل مايليق بجلال هذا الملك ويناسب مقامه من الحفاوة والاهتمام الممكنين.

* * *

جمعت حولها أعيان البلد واستشارتهم فيما تتبعه فى استقبال هذا الملك ستقبالا يليق بمكانته العالية، ولكنها كتمت عن الجميع أمر اختيار الأطعمة التى أزمعت تقديمها اليه.

ثم أمرت بأحضار كل مايمكن العثور عليه من الفراريج، وطلبت إلى طهاتها ألا يدخروا وسعاً فى صنع أطعمة شتى من لحوم هذه الفراريج، دون أن يأتوا بلحم آخر خلاف لحمها.

وما كان الملك ليتأخر - فى الغد - عن انجاز موعده الذي حدده لها، فلما حضر قابلته الماركيزة بكل حفاوة وإجلال، فابتهج الملك أيما ابتهاج بما لقي منها من الحفاة والترحيب !

* *
*

ولم يكد يقع ناظره عليها حتى علم أن حسنها يفوق كل وصف وأيقن أن كل مامدحوها به هو أقل من الحقيقة بكثير !

فزاد حبه وتعاظم هيامه حين رأى هذا الجمال الباهر الذي فاق كل حسبان ؛ وطفق يثنى عليها ثناء هو - على عظمه - قليـــل بالنسبة إلى ماتأجج فى قلبه من نار الوجد .

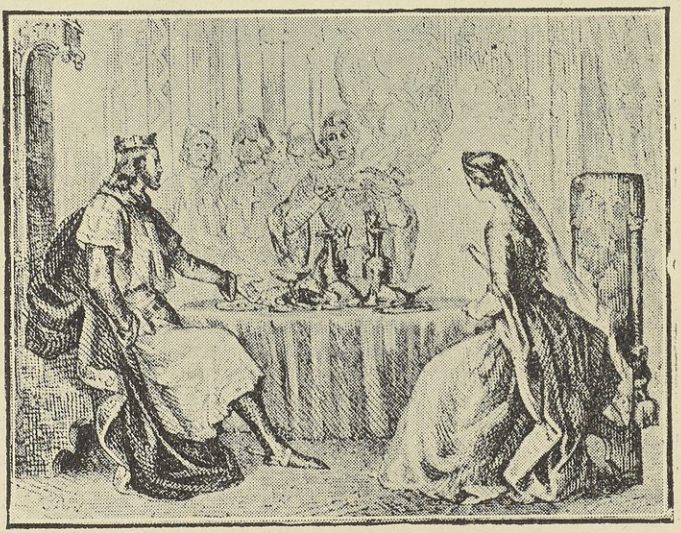

ثم دخل القاعة المعدة لراحته حتى إذا حانت ساعة الغداء جلس جلالة الملك مع السيدة الماركيزة إلى مائدة واحدة لا يثلثهما أحد .

ولقد اجتمعت لذة الطعام وجودة أصناف الأنبذة الفاخرة إلى اغتباط الملك بقربه من أجمل سيدة ، فلم يتمالك نفسه من ادامة النظر اليها متملياً بحسنها الذي ذهب بلبه وتركه بلاعقل.

ولما رأى أن كل لون من ألوان الطعام مصنوع من الفراريج وحدها ، ورأى أن طعمها لا يتغير - رغم تباين أشكالها وتنوع مظاهرها - دهش من هذا الاتفاق العجيب وزاد دهشته أنه يعرف مافى هـذا البلد من أنواع الطيور الكثيرة المختلفة وغيرها من الأطعمة ، وأبت عليه آدابه العالية أن يظهر

امتعاضاً من ذلك أو يبدى اشمئزازاً للسيدة ورأى - حتى في هذه المناسبة - فرصة سانحه فرح بها إذ وجد فيها سلما يصل به إلى غرضه ، فأراد أن يتخذ من اتحاد طعم الفراريج وسيلة إلى مداعبة الماركيزة بنكتة يشير بها إلى غرضه.. فقال « موريا » (١) مبتسما - :

« سيدتى ! ألم يولد فى هذا البلد ديك واحد مع فراريجها ؟ »

وإنما أراد بهذه النكتة أن يورى عن غرضه ، حين لم يجد فى كل ماقدموه له من الفراريج كتكوتاً واحدا

ولقد فهمت الماركيزة « دى مونت فرات » ما يعنيه بهذا الكلام أتم فهم . ورأت الفرصة سانحة للوصول الى النتيجة التى هيأت له مقدماتها ، فأجابته - على الفور - بجرأة وشجاعة - :

« كلا يامولاى ، ولكنهن النساء فى كل مكان ، كما هن لا يتغيرن ، على الرغم من تباين مظاهرهن واختلاف درجاتهن ! »

***

شعر الملك بكل ما يحويه هذا الجواب من قوة ، وفهم ماعنته الماركيزة بتقديم كل هذه الفراريج العديدة على مائدته ، وأدرك فى هذه اللحظة أن من العبث أن يتمادى في خطته ، وأن كل جهد لا بد ضائع مع سيدة لها مثل هذا الطهر الذى لا تجدى معه حيلة ولا ينفع معه قسر ، وقد لام نفسه على اندفاعه بمثل هذه الخفة والطيش ، ورأى أن خير طريق يسلكها - للمحافظة على شرفه - هى اخماد نار الوجد التى التهبت فى نفسه والاقلاع عن تلك الآمال الكاذبة التى أملها فى وصالها . ومن ثم لم يتماد فى مضايقته ، خشية أن تصدمه صدمة أخرى ، وأسرع فوراً إلى ترك المائدة ، مخفيا غرضه من هذه الزيارة المجرمة . وعاد - بأقصى سرعته - الى طريق « جنوة » بعد أن شكر للمركيزة مالقيه منها من حفاوة واكرام

---

(١) مستعملا التورية .

الحسناء (١)

اشتهرت مدينة البندقية — بين مدن أوروبا — بجمالها الفاتن لاسيما فى فصل الربيع ، إذ يؤمها السائحون من مختلف الجهات ليقضوا فيها أهنأ ساعات أنسهم ولهوهم و يمتعوا نفوسهم بما يجتلونه فيها من جمال و روعة .

وكان ـ من بين تلك الوفود التى أمتها ـ السيدة « روبى ستوف » والسيد « هارى ستوف » جاءا إليها ليقضيا شهر العسل فيها ؛ وكان السيد « هاري » مغرماً بروبى إلى حد العبادة ؛ وغيوراً عليها إلى حد الجنون ؛ فلم يكن يحتمل أن يرى زوجه تبتسم لانسان ؛ أو يرى أحداً كائناً من كان ينظر اليها أو يبسم لها ؛ وكان لايرتاب من يراه سائراً معها فى أنه عشيقها الهائم لازوجها الشرعى

الدوق « رودريانو » رجل متزوج ناعم البال لاهم له إلا مغازلة النساء واصطياد الفتيات والتغلب عليهن بما أوتيه من بسطة المال ورفعة الجاه وقسامة الوجه وحسن البزة ، لم تكد تنجو من أحابيله خريدة ؛ ولا فشل مرة واحدة فى استغواء فتاة ، وقد أدخل فى روعه هذا النجاح المتصل الاستخفاف الشديد بالزواج والازدراء المر بالأزواج ، فهو قد يحب المرأة المتزوجة وتصل به الجرأة إلى حد أن ينسى ان لزوجها وجوداً ، ولايفكر فى مغبة هذا الأغضاء . فتن هذا الدوق بروبى ستوف وسحره جمالها فبدأ يغازلها .ولما كان زوجها لايفتر عن ملازمتها دائماً ، لحظ مايلوح على أسارير الدوق من الخبث والخلاعة ؛ فشعر بأشد احساسات الاحتقار والبغض له .

وفى ذات ليلة مر الدوق بزورقه على « هاري ستوف » وزوجه المحبوبة « روبى ستوف » فحيا السيدة تحية خبيثة تنم عن دهاء وحب ، فردت عليه بابتسامة

---

(١) من كتاب « مختار قصص السينما »

لطيفة أشعلت حقد زوجها الغيور فلم يتمالك نفسه من الافضاء إلى زوجه بما يجنه قلبه من بغض هذا الرجل المغرور بنفسه المزهو بشبابه ، لما يلوح على أسارير وجهه من العجب بسيطرته على النساء والقدرة على استغوائهن .

* * *

عزم الزوجان على الذهاب معاً إلى حفلة رقص ، فلبست « روبى » أفخر ملابسها وازينت ثم التفتت إلى زوجها قائلة : « أريد أن يغار الناس منك إذ يرونى معك بهذه الزينة » فابتسم لها الزوج فرحا ، وما كادا يصلان إلى الحفلة حتى صوب الناس نظراتهم الشرهة إلى « الحسناء » فتلقاها الزوج بنظرات الغضب والانفعال ، ووصل به الهياج إلى أقصى حد ، فأسر إلى زوجه :

« عند ماأرى الناس ينظرون اليك يخيل إلى أننى جدير بأن أرتكب جريمة » فهدأت من روعه وسكنت من حدة غيرته .

وتهافت عليها الناس ليظفروا برقصها معهم ، فأجابتهم : « إن أول راقص معى هو زوجى » ولما انتهى الدور حانت منها التفاتة إلى منجم قريب من مكان الرقص يتكشف المستقبل ، فتأبطت ذراع زوجها - سائرة نحوه - ثم سألته عما تخبئه لها الأيام ، فاستطلع الساحر مستقبلها فى الرمل ، وبعد أن تأمل هنيهة التفت اليها محزونا وقال : « أرى أن مستقبلك مهدد بالآلام والمتاعب وأنك ستكونين شؤما على من يوقعه سوء الطالع في حبك فيكون حليفه الشقاء ! »

فتجلدت أمام زوجها وهزت كتفها وقالت للساحر : « لست أخشى سوء الطالع مطلقاً ! »

وإنها لعائدة إلى الحفلة مع زوجها إذ قابلها الدوق « رودريانو » سألها أن ترقص معه فلبت رغبته ، دون أن تنتظر إذن زوجها الغيور ،

وأخذ يفتن الدوق فى رقصه معها ، وبدت عليـــه دلائل الهيام والشغف ، وما زال يلج به الشوق حتى نسى نفسه ونسى الظروف المحيطة به ، فانتحى بها ـ قليلا قليلا ـ حتى بلغا « لوجا » منعزلا مشرفا على اليم ، فلما رأى انفراده بها حسب أنه قد ظفر بسعادته التى ظل يحلم بالحصول عليهـا طويلا ، فحاول أن يقبلها ـ ناسياً أن عين زوجها الغيور ترعاها عن كثب ـ فدفعته عنها خائفة ، وحذرته عاقبة اندفاعه وتهوره ، ونبهته إلى غيرة زوجها وقربه من مكانهما ، فلم يأبه لشىء من ذلك ، وقال لها :

« لقد رافقتك إلى هنا لأخبرك أننى لاأحب سواك ! »

وأنساه هيامه بهـا كل اعتبار آخر فضمها إلى صدره وقبلها ، وإذا بالزوج يباغتهما وهما على تلك الحال ، فيطير طائر حلمه و يجن جنونه وتنقلب عيناه ، فيهجم على الرجل قاذفا به إلى اليم ، فتصطدم رأس الدوق بالشرفة فيشرف على النزع !

ويسرع رجال الشرطة إلى الزوج فيقبضون عليه ، وتقبل الزوج مرتمية عليـه محاولة أن تترضاه وتستدر عطفه عليها فيدفعها عنه مزدريا ناقما ، فتهوى إلى الأرض باكية نادمة تندب سعادتها الزائلة .

ويذيع الخبر وتتناقله الألسن ، وتشهر به الصحف فيصبح حديث الأندية ، وتنتهى بهذه المأساة آمال « روبى » وتتلوث سمعتها بهذه الزلة .

* * *

تمل « روبى » الأقامة فى ذلك المكان (البندقية) فتغادره إلى سواه ، ولا تزال متنقلة من بلد إلى آخر حتى تستقل باخرة إلى (لندن) فتؤمها مفلسة ويزيد البحر انفعالها ويجدد النظر اليه أحزانها ، وانها لتفكر فيما آلت اليـه حالها من التعس والشقاء إذ يدخل عليها خادم الفندق مطالباً اياها بما تراكم عليها من الدين فتعتذر اليه ، فينبئها أن ادارة الفندق تحتم عليها دفع دينها تواً ،

فتفكر قليلا باحثة عن شيء تعطيه اياه كفاء دينها فلا تجد أخيراً سوى خاتمها فتنتزعه من أصبعها ، فيأخذه منها راجعاً أدراجه

وتهتاج أحزانها وتمضها ذكرى أيام السعادة السالفة التى مرت كالحلم فتنظر إلى المرآة فيهولها ماتلمحه على وجهها من شحوب ، فتنادي خادمها الأمينة وتسألها هل تجد فى وجه سيدتها تجعداً ؟ فتنفي لها ذلك الخاطر المزعج مؤكدة لها أنها لاتزال « الحسناء » وأن حسنها فى ازدياد مضطرد !

* * *

للدكتور « مايرازكسون » شهرة واسعة المدى فى مداواة مرضى الأعصاب ففي ذات يوم رأى فى عيادته « السيدة روبى » جالسة بين المرضى ، فقال فى نفسه : « نعم هى بعينها المرأة الحسناء المشهورة ولا بد لمجيئها من أمر هام »

وكان من جملة زائرى الدكتور (ازكسون) السيد (نيجل أرمين) ومعه خطيبته الآنسة (باترشيا) جاءا يسلمان عليه ويستريحان عنده ، فتحين من (نيجل) التفاتة إلى (روبى) فيعطف عليها عطفاً ذا مغزى خاص ، وينظر اليها نظراً غريباً فتسأله زوجه عن ذلك فينبئها أنه رآها في الفندق من قبل وانها امرأة مسكينة جديرة بالعطف والرحمة

تدخل « روبى » إلى الطبيب شاكية اليه مرضها العصبي متطلعة إلى الشفاء على يديه ، وتسأله العناية بأمرها ووضع حد لمرض الأعصاب المتسلط عليها وتخبره أن رأس مالها ومنبع ثروتها وسعادتها أمران ، هما الجمال والفن ، وان ذلك المرض سيقضى عليهما لامحالة فيتم بذلك شقاؤها وهلاكها .

فيهزأ الطبيب بتلك الكلمات ، فتنكر عليه استهزاءه وتسأله متأثرة : « كيف لاتدرك خطر هاتين الكلمتين ياسيدي الطبيب ولماذا أراك تتكلم عن مرضى كلام يائس من شفائى ؟ » .

فيجيبها الطبيب :— « إن شفاءك فى الكف عن أنانيتك والجنوح إلى العيشة

الهادئة ! » فتهتاج مغضبة وتقول له : « لقد جئتك حاسبة أنى واجدة طبيباً ، فألفيت أمامى واعظاً ! » وتخرج كاسفة البال ، لاتكاد تلوى على شىء فى طريقها حتى تصل إلى مكان جلس فيه « نيجل » مع خطيبته « باترشيا » على قارعة الطريق ؛ فتستوقفها سائلة عجوز هدها الكبر ؛ تطلب منها صدقة تستعين بها على مكافحة الزمن وتقول لها : « لقد كنت شابة جميلة مثلك فأشفق على » فتستدر عطفها عليها تلك الكلمات فتمنحها ماتجود به نفسها من النقود وتستمر « روبى » سائرة فى طريقها

ويرى « نيجل » من « روبى » تلك الأريحية ، فيعجب بها ويلتفت الى خطيبته قائلا : « لشد ما تحزننى هيئة هذه المرأة المحزونة » فتجيبه خطيبته : « أنت رجل خيالى سادر فى نظرياتك ، وفى وسع أية امرأة أن تؤثر فى نفسك » فيؤكد لها « نيجل » أن تلك المرأة جديرة بالعطف والرحمة ، وأنها معذبة يائسة ، وأن الواجب الانسانى يحتم - على كل قادر - مواساة المحزونين والأخذ بيد العاثرين .

* * *

ويفكر « نيجل » فى زيارة « روبى » فلا يكاد يدخل عليها حتى يجدها مصوبة المسدس إلى قلبها توشك رصاصته أن تمزق أحشاءها ، فينحى يدها بسرعة فتنطلق الرصاصة فى الهواء ، وتنجو « روبى » بأعجوبة من هلاك محقق.

يسرع خدم الفندق وساكنوه إلى الغرفة يسألون عما حدث فيطمئنهم « نيجل » وينبئهم بأن أمراً مكدراً لم يحدث ، فيرجعون الى أماكنهم غير عالمين بحقيقة ماوقع .

لم يكن أمام « روبى » منقذاً لها من آلامها سوى الموت فقد فقدت كل أمل فى السعادة وحرمت عطف الناس جمعاء ويئست من كل خير ، فصممت على الانتحار ، وكادت تنفذ فيها يد القضاء لولم ينتشلها « نيجل » من مخالب الموت .

أخذ يواسيها « نيجل » ويقص عليها أحاديث ممتعة اشعرتهما جميعا بأنس واغتباط ، وطفق « نيجل » يحدثها عن نفسه وأعماله وآماله الواسعة فى الحياة ؛ مسهبا فى الشرح مندفعا فى الكلام كأنما كان يحادث صديقة قديمة له ، - لا انسانة لم يتعرف بها الامنذ دقائق قليلة - وانقلب العطف الى حب ، ونما هذا الحب فى قلبه فشعر بلذة خفية ساحرة فى حديثها ، وحافز قوي من نفسه الى الافاضة معها فى الحديث حتى لا ينتهى فتنتهى بذلك تلك الجلسة المؤنسة ، ولم ينس أن يحدثها عن عمله فى الصحراء وما يتوقعه منه من الثروة الطائلة والربح الوفير .

وأخلدت اليه « روبى » ورأت أملا فيه يحيي فى نفسها آمالا اخرى ، فامتدحته بكرم القلب ، ونبل النفس ثم عرضت عليه أن يتعشى معها الليلة فتردد ، فسألته عن سبب تردده وهل هو يخجل من أن يراه الناس مع بائسة مثلها ؟

فاذا سمع منها ذلك أزال عنها ما علق بنفسها من الوهم وثم يذهبان توا الى الفندق فيتعشيان معا ؛ فتحدجهما الأبصار من كل صوب ، ويتغامز الناس عليهما ، فمن هازىء ومن مشفق ، ومن قائل : « لقد وقع « نيجل » بين مخالب تلك الافاقة » وتمر بخاطر « روبى » فى تلك اللحظة السعيدة نبوءة الساحر وماحدثها به عن المستقبل ، فتجزع ؛ ثم تحاول جهدها أن تصرف عنها هذا الفكر المزعج ، فلا تلبث أن تتغلب عليه وتصرفه عنها

وتحين من « باثرشيا » - خطيبة نيجل - التفاتة ! فتراه يتعشى مع « روبى » فتشتعل غضبا وحقدا ، وتصمم على انها لن تحتمل هذا الاذلال بعد ؛ وأنها لابد واضعة حداً حاسما له .

وتلمح « روبى » ارتباك « نيجل » فتهدىء من روعه قائلة له : « إنك لتقاسي الآن نتيجة عطفك على ، ولعلك غير نادم على مابذلت من معروف »

فيتجمل أمامها متظاهرا بعدم المبالاة بكل ما حدث حولهما .

فتن « نيجل » بجمال « روبى » وزاد هيامه بها ، فلاحظت عليه خطيبته ذلك الحب ، فعنفته طالبة اليه أن يقطع كل صلة بها ، فأجابها . بأن عطفه على تلك المرأة شديد ، وعلاقته بها وثيقه الأسباب ، وليس فى مكنته ان يصد عنهامرة واحدة من غير ذنب أسلفته اليه .

فأكدت له انها لن ترتضيه خطيبالها ما دام يصاحب تلك المراة ، وسألته قائلة:« أليس من العبث انقاذ امرأة هالكة »

فلم يأبه لقولها ، فدفعها الغيظ الى انتزاع خاتم الزواج من اصبعها ، فهدأ من روعها ، فأصرت على طلبها ، فتردد قليلا فألحفت ، فتناوله منها ، وخرج

ذهلت « باترشيا » وأدركت خطورة الأمر وشعرت بما ساقها اليه اندفاعها ، من الشر ، فأسرعت الى خطيبها لتسترد منه الخاتم فوجدته جادا فى سيره ، فوقفت مشدوهه حائرة حتى غاب عن ناظرها ، فعادت الى غرفتها منهوكة القوى واهية العزم وألقت بنفسها على الفراش بائسه باكية .

واذا بالدكتور « ايزكسون » داخلا عليها ، فاذا سألها عن سبب حزنها أخبرته بكل ما حدث فهدأ من نفسها الثائرة وأخذ يسرى عن نفسها بكل ما في استطاعته من ضروب العزاء والسلوى.

***

ونعود الى « روبى » فنجدها تطالع رسالة وصلتها توأمن مكتب الاستعلامات تنبئها أن « نيجل ارمين » هو وريث ثروة عمه الدوق ولقبه . وثم ترى الثروة والعظمة قد عادتا اليها . وتحس انهما قد اصبحا فى متناول يدها . فتسدر فى أحلامها اللذيذة وخيالاتها الجميلة ، واثقة من ان اجل الشقاء قد انتهى وأن فجر السعادة قد طلع ، وفم الزمان قد ابتسم لها ، فتغتبط بذلك فرحة ناعمة

واذا بالجرس يدق ، فتفتح الباب فترى الدكتور « إيزكسون » داخلا

مقطب الجبين مهتاج البال ، فتقبل عليه مبتسمة ، وتقول له : « لقد كنت يائسا من شفائى يادكتور ! »

فيجيبها أنه أتى يسألها أن تقطع علاقاتها بنيجل فى الحال ، فتجيبه بان ذلك مستحيل ،وتقول «إن نيجل يهيئ لى ماوصفته لعلاجى يادكتور» فيجيبها بقوله :«إنما يدفعك الى التهافت عليه الطمع في ثروته ولقبه» فتؤكد له أنها تحبه الى حد الهيام.

ويدخل عليهما «نيجل» محييا،فاذا استقر به الجلوس مع صديقه «إيزكسون» تركتهما «روبى» بعدأن تسر الى الطبيب قولها : «لاتنس يادكتور تلك النصيحة الذهبية التى نصحتنى بها لشفاء مرضى ؛ ولعلك عامل بها الآن»

وتخرج ؛فيلتفت «إيزكسون» الى «نيجل» محدقا فيه ثم يخاطبه بصوت متهدج حزين: «لاأحتمل رؤيتك بعد هذه اللحظة في صحبة هذه المرأة ! »

ـــ «صه! فقد تزوجت منها فى هذا الصباح !»

ـــ «إذن أدعك متمنيا لك السعادة والرفاهية! »

***

وبعد أن غادره الطبيب وجم الزوج وظل يفكر فى مغزى تلك الكلمات الدقيقة التى فاه بها صديقه إيزكسون : وإنه لغارق فى لجج من التصورات المزعجة،إذ تدخل عليه عروسه ؛فيمسك بيديها ويحدق فى عينيها ثم يقول لها : « أسمعيني أنك تحبيننى لتبدد تلك الكلمة كل ألم ،فنصبح سعداء ! »

فترتمى عليه تقبله مؤكدة له حبها وهيامها به ، فيغتبط بذلك وينسى كل شئ .

يسافر الزوجان معا الى البلد الافريقي الذى اختاره «نيجل» قريبا من الصحراء لانجاز عمله ، فينتويان قضاء شهر العسل فيه.

***

تعجب الزوج بهذا البلد ويزدهيها جمال الازهار وعطر رائحتها الشذي ، ويملك نفسها حسن الانغام الشرقية التي يوقعها مواطنو ذلك البلد فى نديهم، تلك الانغام التى تترك فى النفس أثراً عميقاً هو أشبه شيء بتخدير الافيون! ويلفتها زوجها إلى أن ذلك الندي هو ملتقى المدمنين على شرب الحشيش ، وخلوة متعاطى الافيون

يجلس فى صدر هذا الندي «البارودى» ذو السلطة المدهشة والنفوذ الذى لايقف عند حد فى هذا البلد، وهو وحده سر من الأسرار العميقة ، ولغز لم يهتد إلى حله أحد.

يرى « البارودي » تلك المرأة الفاتنة ، فيسحره جمالها ويملك عليه لبه ، افينادى أحد أتباعه ويسر اليه :«أن اتبع هذه المرأة فاعرف من هى وأين ومع من تعيش ؟ »

دبر البارودى فى نفسه خطته الشريرة ، فأحكم تدبيرها . ولم يحجم عن نفاذها تواً .

* * *

وبينما يسير الزوجان معاً فى طريقهما عائدين ، إذ يعترضها (ابراهيم) خادم البارودى وعينه ، فيحييهما ، فيرد عليه الزوج تحيته ؛ فيتلطف متأدبا معهما في الكلام ويوجه إلى الزوج قوله :

« أمرنى سيدى البارودى أن أسهر على راحتكما وأدبر مهام منزلكما فأي أمر تأمران؟»فيشكره الزوج ويسأله أن يحمل شكره الخالص الى سيده النبيل على شعوره الطيب وأخلاقه الكريمة .

ولا يكاد يمر يوم أو يومان حتى يدخل « نيجل » على « روبى » فرحا مسرورا يحمل اليها نبأ استئجاره مقصفا جميلا من أملاك البارودى على بعد قيل من الشاطىء ، فيقطنه الزوجان ويظل « ابرهيم »—عين البارودى -

قائما بخدمتهما دائب الفكر فى اتمام خطته الشريرة ؛ غير تارك فرصة واحدة تمر من غير أن يذكر فيها اسم سيده وغناه ووجاهته ونفوذه وعطفه على هذه الأسرة وتمنيه السعادة للزوجين ، ورغبته فى تحقيق كل رغباتهما

فاذا مرت العوامة « لوليا » أخذ يصفها للسيدة وصفاً شائقاً يختمه بقوله : « وهى ملك لسيدى البارودى ذي الغنى واليسار ، الذى لا يقل نفوذه وهيمنته عن الملك المطاع »

ولما كان الزوج فى حاجة الى استخدام نفوذ البارودى فى كثير من الأحايين لم يدع الفرصة تمر دون أن يوثق أسباب الاتصال به ، فلا يمر وقت قصير حتى تتوشج بينهما أواصر المحبة وتستحكم روابط الالفة الى أقصى حد .

* * *

مر شهر العسل وحان موعد العمل فى الصحراء ، فقال الزوج لزوجه : « لقد انتهى شهر العسل وعلى أن أرحل غدا الى الصحراء مع مرشدى »

فاذا سمعت منه ذلك أظهرت له خوفها من المكث وحدها ، وأسرت اليه انها لا تطيق رؤية « ابراهيم » الخادم السمج الذى تستقبحه وتنفر منه أشد النفور ، وأنها تتوسل اليه بحبها واخلاصها له أن يقصيه عنها .

فيمتعض الزوج - الذى يقدر الظروف قدرها - ويطلب اليها أن تكون مهذبة مع مضيفيها وأن تلزم جانب الكياسة والظروف فتتأدب معهم ولا تنسى ان تقابل الاحسان بالشكر فلا تسيء الى قوم أحسنوا اليهما - على غير معرفة سابقة بهما - فترضخ الزوج لارادة (نيجل) وتقلع عن اصرارها . ويعد الزوج معدات الرحيل مع مرشده ، فاذا حان الغد ودع « روبى » قاصدا الى مكان عمله .

* * *

يأتى البارودى زائرا فيتودد الى « روبى » متلطفاً ، فتقابله بشيء من الفتور والجفوة - باديء الامر - ثم لا تلبث أن تدور بينهما مناقشة مقتضبة جافة

يسألها عن رأيها فى بلده فتقول له : «إنها جميلة ولألحانها الشرقية رنة مشجية، ولكن قد يحدث أحيانا أن تمتزج تلك الالحان العذبة بتعاطى الحشيش والمخدرات »

فيجيبها هو الآخر بقوله :

« وكما يحدث أيضا ان الاوربيات الجميلات يغازلن الرجال السمر فى هذه البلاد !» ويزداد بها الضجر فتغادره منتحية مكانا منعزلا تتنزه فيه فاذا سارت وحدها بضع خطوات أدركها «البارودى» فتنظر اليه مرتابة ، كأنها تستفسره عن معنى تعقبه اياها، فيقطع صمتها بقوله : «رأيتك تتنزهين منفردة فأردت ان ارافقك فى نزهتك ، ولعل ذلك لايزعجك »

فاذا سارا قليلا طلب إليها ان ترافقه الى العوامة «لوليا» لترى منها غروب الشمس ، فتتردد فى إجابة طلبته ، فيسألها عن مصدر هذا التردد أهو الخوف؟ فتبسم له مظهرة عدم مبالاتها بالمخاطر مطلقاً، فيؤمان « العوامة لوليا » حتى اذا بلغاها استرعى انتباهها كتابة شرقية على مدخل السفينة ، وتسأله أن يقرأها مفسرا لها ما تعنيه فيجيبها ان معناها « ان حظ كل انسان معلق فى عنقه »

فلا تكاد تسمع منه هذه الجملة حتى يتمثل امام خاطرها منظر الساحر والرمل وتلك الكلمات المرعبة التى فاه بها وحققت الأيام صدق نبوءته :«ارى ان مستقبلك مهدد بالآلام والمتاعب. وانك ستكونين شؤما على من يوقعه سوء الطالع فى حبك فيكون حليفه الشقاء ؟ »

فتسير معه الى داخل السفينة مسترسلة فى تأملها الحزين مفكرة فيما يستقبلها من الشقاء الذى يهدد سعادتها بعد قليل حتى تصل الى مخدع مزدان بأفخر الرياش فيجلسها البارودي الى جانبه ويبدأ فى محاولة التأثير عليها بما أوتى من حذق ودهاء ، وينتهى الامر برضوخها لرغبته وعجزها من مقاومة تلك القوة الهائلة من النفوذ والسيطرة.

ويأتيها بعقد ثمين فيطوق به جيدها الجميل متمتما قوله: « ربما كان هذا العقد سلسلة تقيدك بى مدى الحياة ! »

فتحاول رفضه مترددة بين الاقدام والاحجام . فلا يدع لها فرصة للتفكير في ذلك بل يقدم محاولا ان يقبلها فتدفعه عنها عابسة وتنبهه الى أنها - بعد كل اعتبار - امرأة متزوجة وسعيدة بهذا الزواج.

فتعلو شفتيه ابتسامة هادئة ، ويقول لها : «لاتكونى أسيرة الزواج ،وقد خلقت حرة تتمتعين بلذات الحياة »

وهكذا يظل ينفث فيها من سحره حتى اذا أنس منها الرضى هجم عليها قائلا : «أنت الآن لى ، نعم أنت ملكى فلا تقاومى » ثم قبلها قبلة عاشق موله لم ينغصها الا ضحكة عالية ضحكتها فتاة كانت تطل عليهما من نافذة الحجرة

فاذا ارتاعت « روبى » من ذلك واظهرت الجزع طمأنها « البارودى » وأخبرها « أن تلك الفتاة ليست سوى راقصة ضئيلة الخطر من بين راقصاته وخادماته الكثيرات »

تخرج « روبى » ثائرة النفس بادية التأثر ، فتستقل الزورق عائدة الى منزلها،فاذا عاد «نيجل » أظهرت له مايساورها من الذعر وطلبت اليه أن يأخذها معه الى الصحراء فيسرى عن نفسها ما تحسه من الآلام و يفرج ضائقتها . ولا يزال يقص عليها ما يسكن آلامها حتى يهدأ روعها وتنصرف عنها تلك الخواطر المزعجة التى كانت غائمة على قلبها .

* * *

ومضى على ذلك زمن قصير رضيت فيه نفس « روبى » ونسيت كثيراً مما مر بها . ولكن أمرا واحدا لم تستطع نسيانه — بالرغم من كل حيلة — ذلك هو ذكرى البارودي وساعات الأنس واللذة التى قضتها معه

وانها لتفكر فى اليوم التالى فى حبها للبارودى واخلاص زوجها لها .

وتتنازعها عاطفتا الواجب الزوجي والواجب الغرامي وإنها لكذلك اذ يوافيها البريد بصحيفة فتحتها فقرأت فيها ان عم «نيجل» قد خلف مولودا . فاصبح ذلك المولود الجديد وريث ثروته ولقبه الشرعي بدلا من زوجها « نيجل »

هنا ضاع كل املها فى الثروة والعظمة وانهارت صروحه في لحظة واحدة:

«اذن لن يكون (نيجل) وريث عمه الغنى ولن يكون وريث لقبه . اذن ضاع منه المال واللقب . واذن فقد أصبح فردا عاديا من أوساط الناس . ومتى كان كذلك فعلام الحب والمحافظة على العهود والتقيد بالوفاء لذلك الزوج الذى آل الميراث الى سواه . ولم العزوف عن البارودى ذي السيطرة والمال الوفير والقصور الفخمة ؟ لا . لا ! ان البارودى لأجدر من زوجها بالرعاية وأحق بالحب! »

* * *

يأتى زوجها فتريه الصحيفة - وهى غاضبة صاخبة - فاذا قرأها ظهرت عليه علامات الفرح والغبطة ، فيلتفت اليها مبتسما ويقول : « يا له من خبر سار ، إن عمى سيجن — بلاشك — من الفرح بهذا المولود !

فتقول له - :« ولكنهم كانوا يؤملون أن تكون أنت وريثه الشرعى؟

فيقول : « آه ! إذن فقدان اللقب ياحبيبتى هو الذى يحزنك ، لقد كنت لاأعنى بالثروة إلا لأجلك »

ثم يخرج حزيناً مفكراً.

ويسأله الخادم : «أتريد أن تصطاد ابن آوى الليلة ؟ »فيجيبه أنه عازم على ذلك ، ويأمره بملازمة سيدته والسهر عليها ، فاذا خرج أخبرها الخادم أن سيده البارودى فى انتظارها فتذهب اليه مرتدية لباس فارس فاذا رآها البارودى استقبلها فرحا، ثم سألها « أتأتين بلباس فارس لزيارة عاشق؟» ويأمر الخادم أن يدخلها إلى محل الزينة فتجتمع القيان فيزينها أبهى زينة ، فاذا انتهين من

عملهن خرجت إلى البارودى متبخترة ، فيحملها على ذراعيه ثم يضعها على السرير برفق، ويقضى ليلته ناعما بضمها وعناقها ، ويفوز باربته منها حتى إذا طلع الفجر لاشى تلك الأحلام الذهبية الجميلة مرة واحدة

تعود إلى قصرها خفية فتصل اليه ولا تكاد ترتمى على فراشها حتى تحس ثقل جرمها وجسامة ماأقدمت عليه

ثم لاتلبث أن تنسى ألمها حين تقابل البارودى - بعد ذلك - فيزين لها التخلص من زوجها بوضع مسحوق أبيض - يشبه السكر - تسم به زوجها، فترتاع مذعورة من هذه الفكرة وتقول له : « أشفق على ولا تغال فى طلبك فلست أرغب فى الطلاق ولا فى الفضيحة »

وتهب العاصفة بشدة ويزداد هبوب الرياح ويواصل البارودى إقناعها حتى ترضخ لأرادته الحديديه وتذعن لأمره غير مختارة .

* * *

ويجتمع فى البيت زوجها والبارودى وتحضر القهوة ، ويخرج الزوج هنيهة فيذكرها البارودي بالعلبة ، فتجبن ، فيلح عليها فتذعن لأمره وتلقي قليلا من المسحوق القاتل فى قهوة زوجها فاذا عاد وحاول أن يشرب أمسكت بيده تحاول منعه فنظر اليها البارودى مغضباً فتراخت يدها فشرب الزوج دون أن يفطن إلى حقيقة الأمر

يمرض الزوج ويصل أول خبر إلى الدكتور «إيزكسون» فيقلق وينوى زيارته مع « باترشيا » حين يقضى أجازته فى الجزائر

ويحضر طبيب «نيجل» الذى اختاروه - عمدا - من أجهل الأطباء ، فيقرر أن الذى أصابه ليس سوى لفحة شمس ، وان مرضه لاخطر له

ولا يفتأ ابراهيم الخادم يذكرها بسيده صباح مساء حتى لاتندم على فعلتها الشنعاء .

وفي صباح يوم ، وصل الدكتور « ايزكسون » مع « باترشيا » إلى قصر « نيجل » وكان « نيجل » يذكر لزوجه « روبى » فى تلك اللحظة حذق الدكتور « إيزكسون » ويتمنى لو ساعده الحظ بمجيئه ، مؤكداً لها أنه وحده القادر على شفائه من مرضه

فتهون عليه كل أمر ، فيسألها أن تغنيه تلك الأنشودة الجميلة التى كان يسمعها من فمها العذب لتذكره بأيام السعادة الحلوة التى مرت كالحلم. وإنها لجالسة أمام البيانو تعزف به تلك القطعة الساحرة إذ تصلها بطاقة « ايزكسون » فيمتقع لونها وتظهر عليها أمارات الاضطراب . فيسألها زوجها ما الخبر فتنبئه أن سائحين قد مرا بهم ، ثم تخف إلى لقاء الزائرين فيسلمان عليها . فترتبك ، فيطلب اليها « ايزكسون » أن يقابل زوجها ، فتظهر له أن الطبيب يمنعه من لقاء أحد ، فيلح عليها فتزداد إباء ويشتد بينهما اللجاج فينهض الزوج متثاقلا فاذا رآهما ارتمى على الأرض متأثراً من الفرح

وتضيق الدنيا في عين « روبى » فلا تجد وسيلة الا إغراء الدكتور الجاهل بالمعارضة فى تدخل طبيب آخر في مداواة مريضه ؛ فيقف أمام الدكتور « ايزكسون » وقفة المتعنت المصر على استبداده ويأبى أن يسمع منه شيئاً ، فاذا رأى منه « ايزكسون » هذا الاصرار الوقح وعرف منه عدم الاذعان للحق جابهه بالحقيقة ناصعة عارية عن كل مجاملة ؛ فسأله:

« ألا تلاحظ أن اعراض التسمم بادية على مريضك وأن رفضك معاونتى سيلوث سمعتك؟ »

فارتاع الطبيب الجاهل وظهرت أمامه نتيجة عناده ، فالتفت اليه قائلا:

ـــ « أتأخذ على عاتقك ان تعالجه بنفسك ؟ »

ـــ « نعم وسأشرع فى ذلك عن رضى واغتباط »

« اذن باشر ذلك من الآن فقد تخليت عن معالجته منذ هذه اللحظة »

ينصرف الطبيب الجاهل و يشرع «ايزكسون» فى إعداد المعدات لمعالجة صديقه الحميم . فتقف (روبى) فى وجهه تحاول منعه ، فيخبرها أن الامر جد لاهزل ، وانه سيضطر الى اخبار البوليس اذا أصرت على عنادها، فتذعن راضخة لأمره ،و يبدأ الطبيب العلاج ، و يسير مريضه بخطى ثابتة فى طريق الصحة، ولا يمضى زمن قصير حتى يتماثل للشفاء ،ثم لايلبث أن يبل من مرضه

فاذا شفى استأذن « ايزكسون» فى محادثته على انفراد ، ثم يطلب اليه ان يعود الى انجلترا من غير مرافقة زوجه اذا كان يريد الشفاء التام .

فيحار الزوج من هذه المباغتة المدهشة و يسأله :

« أى علاقة بين شفائى و بين البعد عن زوجى ؟»

فيصرح له بأن زوجه كانت شريكة فى هذا الجرم

يشتعل الزوج غضبا حين يسمع هذا القول و يلتفت فيرى زوجه داخلة عليهما سامعة آخر حوارهما ؛ فيقفز الزوج الى زوجه مهتاجا و يأمرها أن تسرع فتدفع عن نفسها هذه التهمة الشنعاء التى يعتقد أنها أبعد عنها من النجم : « قولى ان هذا كذب وافتراء »—« كلا بل هو الحق الصراح فأنى امقتك ،لقد سئمتك وسئمت حبك السمج وعيشة البؤس التى اقضيها معك ، والحق اخبرك أنى أحب البارودي ». هنا يهوى الزوج باكياخائر القوى على أثر هذه الصدمة العنيفة ؛ فيأخذ الطبيب والخطيبة الاولى فى تعزيته وتهدئة خاطره ولا يلبثان أن يقنعاه بالسفر الى لندن

اما «روبى» فتذهب مسرعة الى البارودي تحمل اليه ذلك النبأ السار منتظرة منه اعجابا لاحد له ومؤملة أن تلقى بين احضانه السعادة التى وعدها بتحقيقها بعد أن تتخلص من زوجها الثقيل !

و تظل سائرة وهى تفكر فى الأيام السعيدة المقبلة التى تنتظرها حتى اذا بلغت حجرته الخاصة . دفعت الباب بخفة و رشاقة لتباغته بما لديها من الانباء السارة

التى كان يترقبها بفارغ الصبر . ولكن ماذا رأت ؟ يالله ول! أحق ماتسمع وترى؟ امرأة اخرى بين يدى البارودى يضع فى جيدها عقدا كالذى اهداه اليها من قبل ، وهو يقول لها : « أرجو ان يقيدك بى هذا العقد مدى الحياة » فتصعق فى مكانها خائرة القوى فينظر اليها البارودى ، فيدخل خليلته حجرة أخرى . ثم يعود الى « روبى » فيسألها : « ما جاء بك الى هنا ؟ » فتنبئه « انها تركت زوجها واغضبته من أجله وأنها اعترفت له بكل شىء لتتخلص من زواجه ، وقد ظفرت بذلك اخيرا » وتختم حديثها بقولها : « وهأنذا حبيبتك الهائمة الى الابد » فيجيبها البارودى : « انه لا يريد ان تحوم حول اسمه الاشاعات من اجلها » فتجيبه : « ولكنى فعلت ذلك من اجلك وتنفيذاً لاشارتك »

وماذا تريدين منى الآن ؟ لقد فاتت الفرصة ، وأصبحت الآن أزهد ما أكون فيك !

فترتمى على قدميه متوسلة مستعطفة تسأله الرحمة والشفقة ! فينادي الخادم ويأمره بطردها ، فينهضها الخادم ويسير بها الى الباب فتخرج متباطئة ، ويغلقه فى وجهها فتقف هنيهة متأملة فى كل ما حدث ، فتمر أمامها أويقات السعادة كالحلم اللذيذ ، وترفع بصرها فترى اللوحة التى قرأها لها البارودى على شرفة الباب من قبل : « حظ كل انسان معلق فى عنقه »

فيبلغ منها اليأس مداه ، فتذهب الى الصحراء مستسلمة للقدر ، عازمة على قضاء أيامها في عزلة عن هذا العالم الحضرى المملوء بالمتاعب والآلام ....

ويالله منظراً رائعا نرى فيه السفينة مقلعة بالسيد « نيجل » وخطيبته الأولى « باترشيا » وصديقه الحميم الطبيب « ايزكسون » قاصدين الى لندن

ونرى « روبى » المرأة الحسناء سائرة فى الصحراء حيث يلقاها أحد النمرة فيمزقها ويأكل أشلاءها ؛ وتنتهى بذلك تلك المأساة !

كيف برأت نفسها

« هنريت برلن » تاجر غني جداً كان يقطن «فلورنسا» ولم يكن ينقصه - بعد أن تمت له أسباب النعيم والرفعة - الا الزواج، فقد كان كغيره من أبناء حرفته لا يرى شرف الانسان يكتمل الا اذا تزوج، ولهذا وحده تزوج من فتاة راقية اسمها السيده « سيمون » وان لم يكن سلوكها حميدا .

كان « هنريت » كثير الاعمال فى الخارج فاضطره ذلك الى التغيب عن بيته - بين حين وآخر - ورأت زوجه اثناء غيابه فرصاً سانحة وكانت تحب « العمل » و تمقت « البطالة » و « الراحة » فاشتغلت بمحبة شاب فتى اسمه « روبرت » وكانت بينهما علاقات قبل ان تتزوج فوثقت أو اصرها واقبلت عليه كما أقبل عليها، وظلا يلتقيان معا بلا حذر من الرقباء ولا حيطة حتى خامر الزوج الشك فى سلوك زوجه، وقد يكون الدافع له على ظنه ما بلغه من حديث الجيران أو لعله لاحظ بنفسه عليها شيئاً من الريبة.

فأصبح منذ تلك اللحظة أشد الناس غيرة على زوجه ودفعته غيرته الى البقاء فى المنزل وعدم مغادرته الا نادراً مهملا كل أعماله تقريباً حتى لا يشغل باله بأمر زوجه وارتيابه فى سيرها

وبالاختصار . . . أمعن الزوج فى مراقبة سلوكها وطوح به الحذر الى أبعد حد فأصبح لا يهوى عينيه الكرى الا بعد ان تنام زوجه ويتأكد من نومها

ويعلم الله كم كابدت « سيمون » من الآلام التى سببتها لها هذه المضايقة الشديدة، وكم بلغ بها الحنق أقصاه من مراقبته المستمرة التى حالت بينها وبين رؤية عشيقها.

على أن تلك المعاملة القاسية لم تستطع أن تنسيها حبيبها فقد ظل التفكير فيه شغلها الشاغل. وكانت كلما أمعن الزوج فى مضايقتها والحيلولة بينها وبين رؤيته ازداد شغفها به وتحرقها إلى لقائه.

بحثت دائبة مفكرة طول وقتها لعلها تهتدى إلى وسيلة تصل بها إلى غايتها، وبعد تفكير عميق اهتدت إلى خطة أمينة تمكنها من تحقيق إربتها

رأت نافذة مخدعها مطلة على الشارع ولاحظت أن زوجها يقظ لا ينام إلا بعد جهد ولكنه إذا نام نام نوماً عميقاً؛ وثم رأت الفرص سانحة للتمتع بحبيبها

ففكرت فى أنها تستطيع أحياناً أن تفتح الباب لعشيقها « روبرت » فى منتصف الليل. وتقضى معه بضع لحظات سعيدة بقربها منه آمنة من كل ريبة!

وقوي فى نفسها الأمل فى انفاذ عزمها فأخذت تفكر في حيلة تتم بها تحقيقه باحثة عن الوسيلة التى تعلم بها مجيء حبيبها دون أن تلجئه إلى دق الباب أو الانتظار أمامه معرضاً لأعين الرقباء.

ولكن الحب الذى ألهم نفسها هذا أوحى اليها بطريقة فذة تخرجها من هذا المأزق فرأت أن تعلق خيطاً فى النافذة وتمره من تحت أرض الغرفة بحيث لا تقع عليه عينا زوجها؛ ووصلته بسريرها ثم أسرت إلى عشيقها أن يجذب الخيط كل ليلة لأنها ستربطه دائماً فى ابهام رجلها حين تنام؛ فاذا جذبه انتبهت من نومها وعلمت بمجيئه اليها.

وأفضت اليه بالدليل على نوم زوجها وهو انها تترك طرف الخيط مدلى على الباب فاذا جذبه استيقظت من نومها وذهبت اليه لتفتح له الباب. فاذا كان زوجها لا يزال ساهراً جذبت الحبل فلم يتدل من النافذة وبذلك توفر على حبيبها مشقة الانتظار بلا جدوى

لاءم هذا الاختراع مصلحة « روبرت » فلم يتوان عن الذهاب إلى بيتها فى مثل تلك الساعة من كل ليلة والمرور تحت نافذة حبيبته، فاذا وجد الخيط

جذبه اليه وقضى ليلة أنس ناعماً بها وإذا لم يجده رجع من حيث أتى حزينا كاسف البال، وظلا على هذا النمط أشهراً عدة.

وفى ذات ليلة عثر الزوج على الخيط بطريق المصادفة فقد اشتبكت قدمه به - على غير عمد - فمد يده اليه وأمسك به فوجده مربوطا فى ابهام قدم زوجته فلم يشك فى أن هناك سرا خفيا

وبلغت دهشته أقصاها حين رأى الخيط متصلا بالنافذة ثم مدلى منها الى الشارع.

فرأى من الحزم ان يتريث فى الامر حتى يعرف جليته فلم يندفع فى اتهام زوجته حتى يتمكن من ضبطها متلبسة بالجريمة لذلك نزع الخيط من ابهام قدمها ووضعه فى ابهامه ولبث ينتظر مايتم ولم يكد يفعل حتى جاء « روبرت » فجذب الخيط حسب عادته ولم يكن الزوج قد احكم ربطه في ابهام قدمه فلم يكد العشيق يجذبه اليه حتى انخلع وانجذب الخيط كله اليه، فحسب أن عشيقته فعلت ذلك عمدا دلالة على انها تريد ان تفهمه وجوب الانتظار قليلا.

* * *

أما الزوج فأسرع الى ملابسه فارتداها والى عدته فتقلدها والى حسامه فامتشقه ثم اندفع يعدو مسرعا نحو الباب مصمما على قتل كل من وجده فى طريقه انتقاما لشرفه.

رأى « روبرت » ان الباب يفتح بعنف وسمع لفتحه جلبة وضوضاء ولم يجد تلك الحيطة التى ألفها من حبيبته - حين فتحه - فارتاب فى الامر وخامره الشك فى انه ربما كان زوجها هو الذي فتحه فاسرع فى خطاه ولم يلبث ان انقلب شكه يقينا حين سمع صوت الزوج فلاذ باذيال الفرار ولكن (هنريت) لم يستطع ان يترك هذه الفرصة السانحة تمر دون ان ينتفع بها فاسرع فى مطاردته شاهرا فى يمينه حسامه.

و لما رآه « روبرت » لاينى عن مطاردته للحاق به . وقف فى طريقه شاهرا حسامه فى وجهه ونشب بينهما عراك عنيف فتجالدا وتقاتلا مدة طويلة دون ان يستطيع احدهما ان يلحق بالآخر اقل أذى .

أما السيدة « سيمون» فقد ايقظتها تلك الجلبة التى احدثها زوجها حين فتح باب مخدعه بعنف فلما انتبهت نظرت الى الخيط فوجدته مقطوعا فأدركت ان حيلتها قد انكشفت وعلمت ان زوجها ذهب لمطاردة عشيقها فلم تدر ما تفعل لتنهض من تلك العثرة، و قامت من نومها باحثة عن وسيلة للخلاص من هذا المأزق فاسرعت بنداء خادمتها الامينة التى تضع فيها ثقتها وتفردها بكل اسرارها ولا تكتم عنها شيئاً، فتوسلت اليها ان تنام مكانها في سريرها وان تحتمل صابرة متجلدة كل ما ينزله بها زوجها من عقاب الضرب الاليم دون ان تبدى له حقيقة نفسها ووعدتها ان تكافئها على ذلك أحسن مكافأة وان تغمرها بما يضمن لها ان تعيش ناعمة بقية حياتها دون ان تضطر الى العمل .

وبعد أن تم بينهما الاتفاق على هذا اطفأت الزوج المصباح الذى كان يوقده زوجها كل ليلة الى الصباح بسبب غيرته الشديدة على زوجه ، ثم اختبأت مترقبة ختام هذه الكوميديا الغريبة

استيقظ الجيران على صوت الجلبة التى احدثها فى الطريق « هنريت» و «روبرت» فاطلوا من النوافذ و اخذوا يسبونهم لاعنين، و لما كان كلاهما يخشى ان ينكشف أمره او يعرف اسمه و يتقي الفضيحة جهده افترقا و رجع كل منهما الى بيته متعبا منهوك القوى وان لم يصبه اي جرح

عاد الزوج حانقا مشتعلا غضبا لعدم اهتدائه الى معرفة خصمه ولم يكد يضع قدمه فى مخدعه حتى صاح صيحة المهتاج قد أخرجه الغضب عن طوره:-

« اين انت يا فاجرة؟ عبثا تطفئين النور فلن تستطيعى سبيلا الى الهرب من عقابى العادل.»

ولما اقترب من سريرها انهال على الخادم المسكينة ضربا ولكما حاسبا أنها زوجه وما زال يضربها حتى هشم كتفيها ورأسها ووجهها، ولم يكتف بذلك بل قطع شعر رأسها مجرحا اياها بقارص الكلم متطلقا في سبابها بألفاظ شنيعة لا تسمح لى الآداب بذكرها

بكت تلك الفتاة فى نفسها وصبرت مضطرة على تلك الآلام المبرحة - وإن دفعها الألم الى ان تئن متألمة احيانا :

« ويلى . . لقد عجزت عن احتمال الالم ! »

ولكن صوتها ذهب ادراج الرياح فلم يسمعه الزوج الصاخب وتلاشى فى صيحاته العالية التي كان يتوعد بها زوجه دون ان يشعر بخطئه او يدرك أنه يضرب الخادم المسكينة .

وبعد ان اجهده الاعياء من شدة الضرب الذى انهال به عليها والصياح الذى اخرجه عن طوره قال :

« لن أسمح لك بالبقاء فى منزلى بعد هذه الخيانة الشنيعة ، سأذهب الى اخوتك فاقص عليهم كل ماحدث طالباً اليهم أن يأخذوك معهم ليوقعوا بك كل مايرونك جديرة به من العقاب ، أما أنا فقد عزفت عنك مدى الحياة »

ولم يكد يخرج من البيت حتى عادت السيدة «سيمون» - التى سمعت كل ماقال - فأوقدت المصباح وذهبت الى الخادم فوجدتها فى حال تستحق أكبر الرثاء ، فواستها باذلة كل مافى وسعها لتعزيتها عن آلامها ذاهبة بها إلى مخدعها حيث منحتها كل ماتصبو اليه نفسها لتنسيها مالاقته من آلام الضرب المبرح ، ووعدتها بأن ترسل اليها من يداويها من أوجاعها من الاطباء .

وهكذا غمرتها بالشىء الكثير مكافأة لها على صنيعها فنسيت مالقيته من الآلام .

وبعد أن انتهت من مواساة تلك الفتاة المسكينة والعناية بها عادت الى حجرتها فأصلحت سريرها على جناح السرعة ، ثم لبست أجمل ثيابها وجلست

تخيط بعض الثياب أهدأ ماتكون نفساً كأن شيئاً مما حدث لم يكن .

أما « هنريت » فلم يكد يبلغ منزل اخوتها حتى قرع بابه قرعاً عنيفاً ففتحوه له بعد أن استيقظ اخوتها الثلاثة و أمهم على صوته ، فلما سألوه عن سبب مجيئه فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل قص عليهم كل ماحدث من البداية الى النهاية .

و أراد أن يقنعهم بصحة مايقول فأظهر لهم الشعر الذى انتزعه من رأس الخادم - حاسباً أنه شعر زوجه - ثم طلب اليهم أن يذهبوا معه ليأخذوها من عنده ، مقرراً لهم انه لايريد البقاء معها بعد هذا الحادث

***

لم يرتب اخوتها فى صحة مايقول صهرهم فتملكهم الغضب جميعاً وهالهم ماسمعوا منه فأوقدوا مشاعلهم ليرافقوه الى بيته مصممين على التنكيل بأختهم بلا رحمة. بكت أمهم بدموع حارة وهى سائرة معهم متوسلة اليهم - واحداً بعد الآخر - أن يتريثوا فى الأمر وأن يتدبروه بأنفسهم، مظهرة لهم أن غيرة « هنريت » ربما كانت قد جسمت له الأمر وقالت :

« من يدري ، فقد يكون ناقماً على زوجه أمراً آخر فاراد ان يثأر منها فلم يجد وسيلة الى ارضاء نفسه غير تدنيس شرفها! »

« إنى عليمة بالغيورين خبيرة بنفسيتهم وأوهامهم ، فان كل شيء يبدو امام أعينهم فيه موضع للاتهام والظنة وعليه مسحة من آثار الجريمة، حتى انهم ليرون فى سلوك أعف النساء واطهرهن ، الخيانة و الاثم جاثمين امام انظارهم ! »

« انى أعرف بابنتى واخبر بسلوكها من أي انسان آخر ؛ لأنى قد تعهدتها بالتربية والتهذيب ، نعم أعرفها بعيدة كل البعد عما يتهمها به زوجها ، وأنتم يا أبنائى جديرون ألا تأخذوا بشهادة هذا الرجل وحده. »

«يجب عليكم أن ترتابوا فى قول هذا الزوج السيء الظن الذى هيمن عليه

شيطان الغيرة ، و ألا تحكموا على أختكم الطاهرة قبل أن تنعموا النظر فى كل شئ و تقلبوا الأمور على كل وجوهها سابرين أغوارها فاحصين دقائقها، وسيقودكم البحث حتما الى التحقق من خطئه و بعد قوله عن الحقيقة »

* * *

وكانوا قد بلغوا المنزل فلم تكد السيدة «سيمون» تسمع صوتهم - وهم صاعدون اليها على السلم - حتى صاحت قائلة : « من الطارق »

فأجابها أحد اخوتها بصوت متهدج من الغيظ و الوعيد «ستعلمين نبأه تواً»

فصاحت قائلة «يا إلهى !ماذا يعنيه بمثل هذا القول؟» و لم تكد تقع عينها عليهم حتى بادرتهم قائلة:«عموا مساء يا اخوتى، أي خطب حدث وما الذي اضطركم الى المجيء فى هذه الساعة المتأخرة من الليل »

* * *

عجب اخوتها من هذه المباغتة الغريبة و أدهشهم منها ذلك السكون و تلك الطمأنينة اللذان لمحوهما عليها ؛ فخففوا من حدتهم و انفعالهم قليلا ، ثم سألوها مستفسرين عما عزاه اليها زوجها من التهم الشنعاء طالبين اليها أن تخبرهم بحقيقة الأمر - دون مواربة - حتى تأمن العقاب الصارم و تنجو من النكال الحائق بها وشيكا.

فأجابتهم ببرود قائلة : « الحق أنى أجهل ماتقولون ولا أفهم ماذا تعنون بهذا الكلام ، ولا أكاد أصدق أن زوجى يشكو منى أمرا !»

* * *

وثمة ينظر اليها «هنريت » مشدوها — فقد كان يحسب أنه هشم وجهها مهشما بذلك الضرب المبرح الذي أنزله بها، فاذا رأى حالها ارتبك و تلعثم لسانه

ونسى كل حجة يبرر بها مسلكه

لم يدر ماذا يقول ولا كيف يفكر حين رأى زوجه سليمة لم يصبها أذى

ولا لحق بها أي ضرر، ووجدها أبعد ماتكون عن التشويه والتهشيم كأن يده لم تمتد اليها بسوء، وبدت على وجه أمها دلائل المباغتة والانتباه والفرح، شعور ممتزج من هذه الانفعالات الثلاثة جميعاً

ولم تكن دهشة اخوتها الثلاثة من ذلك بأقل من دهشة أمهم فقصوا على أختهم ماقاله لهم زوجها ولم ينسوا أن يذكروا لها حكاية الخيط وحكاية الضرب المبرح الذي أنزله بها عقابا لها على خيانتها وفجرها.

فالتفتت إلى زوجها قائلة:

«أيمكن أن يكون صحيحاً ياسيدى أنك تجد سرورك ولذتك فى أن تلفق على من الأكاذيب والأوهام ماتحاول به تدنيس شرفي والحاق العار بى، ـ كلفك ذلك ما كلفك، وألحق بك من العار ماألحق ـ أم أنت قد أبيت إلا أن أعدك رجلا قاسياً بينما أنت غير ذلك؟

قل لى بربك: في أية ساعة رجعت إلىّ منذ غادرت المنزل صباح أمس ؟ ومتى ضربتنى ؟ قل فأنى لست ذاكرة شيئاً من ذلك!»

وحينئذ التفت اليها الزوج مغضبا وقال .

« كيف تجرئين على الأنكار أيتها المرأة الخبيثة ، ألا تذكرين أننا نمنامعاً مساء أمس فى فراش واحد ؟ ألم أعد اليك بعد مطادرتى عشيقك ؟ ألم أنكل بك تنكيلا اضطرك إلى الصراخ طالبة الرحمة ؟ ألم أنتزع شعرك من رأسك انتزاعا ؟ »

فقالت له : « بل أنت حالم يازوجى المسكين فانك لم تفعل قط شيئاً مما تقول ، وفي استطاعتى أن أفند مزاعمك بمائة دليل ،ولكنى أكتفى بأمر واحد ينقض دعواك من أساسها ، فأتقدم اليك راجية إياك وكل من حضر أن تنعموا النظر فى وجهى وجسدي باحثين عن أقل أثر من آثار ذلك الضرب الذي تزعم أنك أنزلته بى هذه الليلة ،

ماهكذا يتهمون مثلى من فضليات النساء ! فأذا أبيت إلا الاصرار على افترائك الوقح الذي تزعمه فان وجهى الذي لم تمسه يدك والذى تزعم أنك هشمته سيظل ناطقاً بتكذيبك

على أنى أتمم خزيك واهتك الستر عن كذبك وتلفيقك فأكشف لك عن شعرى الذى تزعم أنك قد انتزعته من رأسى انتزاعا »

وثم حسرت عن رأسها فبدا شعرها كاملا غير منقوص.

* * *

حينئذ التفتت أم السيدة « سيمون » واخوتها إلى « هنريت » فصبوا عليه جام غضبهم وانهالوا عليه تعنيفاً ولوماً ،وقالوا له :

« مامعنى كل هذا ؟ ها قد ظهر كذبك وبدا عليك التلفيق فى كل ماقصصته علينا ! هاهى قد أخزتك وفندت كل أقوالك ولم تدع لك مزعماً واحداً صحيحاً

هاقد بدت عليك مظاهر الارتباك ودلائل الحيرة فلم تستطع لحجبها دفعاً بعد أن ظهر عليك العجز والبهتان! »

***

ارتبك (هنريت) مما رأى وغمره الخزى والخجل ازاء هذه الدلائل القوية التى أجمعت كلها على تأييد دعواها

حاول الكلام فلم يستطع ، فجمجم قولا مضطرباً غير مفهوم ، دون أن يستطيع الافصاح ، واكتفى بأن يقف معارضاً منكراً.

***

لم تدع الحسناء هذه الفرصة تمر من غير أن تنتفع بها مستفيدة من حيرته وارتباكه، فقالت لاخوتها :

«أرانى سأضطر إلى الافضاء اليكم بتفاصيل حياة هذا الفاسق الفاجر الحافلة بالخزي والعار . نعم فقد أصبحت مضطرة - بعد أن ألصق بى تلك الاكاذيب الشنعاء ولفق على تلك التهم الزائفة - الى أن أصرح لكم بحقيقة أمره كاشفة لكم ستره حتى تتبينوا مدى خسته ودناءته

سترون أن هذا الرجل الذى زوجتمونى منه — لشقاوتى وسوء بختى — وزعمتموه تاجرا ورأيتم فيه مثال العفة والكمال ونموذج الطهرة والفضل ، ونحلتموه تواضع الزاهدين وزهد الناسكين واحتشام العذراء ، أقرر لكم انكم سترونه مثال الفجور والدعارة ، لايمر به يوم واحد دون أن يسكر ، ولا يكاد يخرج من الحان حتى يعدو مسرعا الى بنات الهوى متنقلا من منزل هذه الى منزل تلك ، ويتركنى ساهرة أترقب عودته الى منتصف الليل ، وربما تركنى احيانا الى الصباح اقاسى ألم الانتظار كما حدث اليوم ورأيتموه بأنفسكم .

وأنى لأحسبه قد ثمل هذه الليلة ؛ ثم عن له أن يذهب الى بيت احدى عشيقاته ليبيت معها فعثر على الخيط الذى حدثكم عنه مربوطا فى قدمها ، وربما ضبط

بعض منافسيه من عشاقها فتبعه وتشاجر معه غيرة من منافسته ، فلما عاد الى عشيقته انهال عليها ضرباو لـكما حتى اذا انتهى من ذلك ختم انتقامه بانتزاع خصلة من شعرها عقاباً لها على فعلتها

ويخيل إلى ان الخمر التى لم يفق منها بعد ، قد لبست عليه الامر فخلط بين عشيقته وزوجه ودفعه ذلك - بلاريب - الى الاعتقاد بأن كل مافعله فى ليلته كان مع زوجه !

أنعموا النظر فى وجهه يتضح لـكم بسهولة أنه لما يفق من سكرته ، إما ماعزاه الى بغيا وافتياتا وما أظهره لـكم من العيب فى حق وكل مافاه به من العبارات الجريئة التى وصمنى بها فانى اتقدم اليكم الآن راجية ان تغتفروها كما اغتفرتها له وان تشملوه بصفحكم وتعاملوه معاملة الرجل القاصر غير المتمتع بحواسه ومواهبه . حسبه الاحتقار عقابا له على عمله فهو وحده جزاؤه الذى يستحق ! »

***

هنا صاحت ام السيدة « سيمون » صيحة المستنكر الحانق وقد اشتعلت غضبا حتى طار من عينيها الشرر وصرخت قائلة : « يا لله يابنتى افى مثل هذه الاشياء يمكن الاغضاء والتسامح ؟ لالا .. مثل هذا الشقي جدير ان يهلك وان تبعج بطنه عقابا له على فعلته ، نعم يجب ان ينكل بهذا الساقط المهتوك ! هذا الجاحد الناكر الجميل الذى انتشلناه من الحضيض ورفعناه الى حيث لا يستحق وزوجناه من امرأة فاضلة مثلك .

ليت شعرى ماذا كان يقوله هذا التعس لو أنه فاجأك وعشيقا لك فى فراش واحد ؟ لست ادري ماذا كان قائله حينئذ واى تشنيع كان يشنعه عليك اكبر من هذا الذى اتهمك به ، أبعد ما تـكونين عن اتيان مثله !!

ياله من وحش ، إنك لم تخلقي لتعيشى مع مثل هذا الشرس وتذهبى ضحية قسوته ووحشيته !

إنى أعرف حق المعرفة هـذا الصنف من الناس الذين يفدون علينا من القرى يتجرون فى أخس البضائع ويلبسون القباقيب ويرتدون ملابس اشبه بتلك التى يرتديها « منظفو المداخن » ولا يربحون طول يومهم ثلاثة دراهم ، ثم هم لا يكتفون بذلك ولا يخجلون من خسة اصولهم ، ولا تمنعهم ضعتهم أن يتطلعوا الى الزواج من ارقى بيوتات المجد والرفعة ، ثم لا نلبث أن نراهم يتقلدون عدة الفرسان ونسمعهم يتحدثون مباهين بأجدادهم وأسلافهم ، كأنما نسوا ماضيهم القديم وجهلوا نشأتهم الاولى .

أما والله يا ابنتى لو أن اخوتك اصاخوا الى نصحى من قبل لزوجوك من أحد ابناء اسرة « الكونت دى جوى » ولكنهم لم يسمعوا لى قولا ، وزوجوك من هذا المخنث الذى لم يقدر لهم هذا الصنيع فبدل الشكران بالجحود وجازانا على جميلنا اقبح جزاء ؛ وجاءنا يصيح فى منتصف الليل زاعما أنك سيئة السلوك رديئة السيرة مع انى لم أر فى حياتى اعقل ولا أعف ولا أطهر منك فى كل نساء المدينة !

ولكن وحق الله لو أن لى رأيا يسمع لأمرت أن يوقعوا به من الجزاء الحق ما يردعه عن الاقدام على مثل هذا الاتهام مرة اخرى »

ثم قالت

« ابنائى : انى اقرر لكم ان اختكم طاهرة الذيل بعيدة عن كل ريبة أو دنس ، وها قد سمعتم كل ما قرره هذا التاجر الحقير ، ولو انى كنت مكانكم لخنقته فى الحال وأرضيت بهذا العمل المبرور ضميرى متصفة للعدل والحق منه .

نعم هذا ماتستحقه أيها النذل ! خفض من بصرك فلقد والله كنت انزل بك كل ماهددتك به من النكال لولم يخلقني الله امرأة »

***

لم يكن الاخوة الثلاثه أقل غيظا وانفعالا من أمهم ولكنهم كانوا أقل

حدة واندفاعا فى تيار العواطف ، فاكتفوا بتوجيه أشد عبارات اللوم والوعيد، وختموا تعنيفهم اياه مؤكدين له أنهم لن يسامحوه الا فى هذه المرة وحدها، فاذا عاد الى مثلها أو ذكر لهم زوجه بسوء بعدها؛ فلا يلومن الا «نفسه»

ثم عاد الاخوة الثلاثة من حيث أتوا

* * *

ذهل « هنريت » ولبث حائرا مشدوه العقل تلوح على وجهه أمارات الذهول والعته ، ولم يعد يعرف إن كان كل ما مر به حقيقة واقعة او حلم حالم وترك لزوجه الحبل على الغارب منذ ذلك اليوم فلم يعن نفسه بسلوكها

أما السيدة « سيمون » فقد حزمت أمرها ولزمت جانب الحيطة فلم تعد تعرض نفسها لمثل ما تعرضت له من قبل من الخطر ، اعنى انها عرفت كيف تنتفع بتلك الحرية الواسعة المدى التى تركها لها زوجها فتلتقي وعشيقها وينعمان بكل ما شاء لهما الهوى ان ينعما به ولكن . . .

بطريقة حكيمة لا تدع مجالا لاتهامها مرة أخرى !

المفاجأة (١)

أو

« عمران بك »

كهل بادن الجسم ، غليظ الرقبة . منتفخ الأوداج ، رضى الخلق ، نشا متوسط الحال ، ثم ساعده الجد ، وبسم له الزمان ، فأثرى واقتنى قصورا فخمة وأراضى شاسعة ، منها دسكرة فى مديرية الفيوم كانت تدر عليه الخير والغنى

وظل جده فى صعود عدة سنوات ، اكتملت له فى أثنائها أسباب الصحة والثراء والرفاهية ، وبارك الله له فى موارد ثروته ، فنمت وازدادت ، حتى إذا أصبح من كبار أهل الثراء اشترى عربة فخمة وأربعة جياد مطهمة ، وأصبح سيد الحى الذى يقطنه ، وموضع اجلال أهله وعشيرته ؛ ترمقه عيون الناس بالمهابة والاجلال ويلجأ اليه المعتفون وذوو الحاجات ، فلا يتردد فى قضاء حاجات الكثيرين منهم ، وكان الرجل طيب السريرة ، محباً لفعل الخير ، فازدحم القاصدون ببابه ، وكان يبر أسرته ويواسى مريضها ويتفقد ضعيفها ويحسن الى فقيرها .

ثم دار الزمن دورة أخرى ، فلازمه جماعة من دهاة السماسرة — لعن الله هذا الاسم وأخفاه من صحيفة الوجود — فما زالوا يغررون به ويطمعونه مزينين له المحال ، حتى أسلم لهم عنانه ، فقادوه الى هاوية سحيقة ، لم يلبث أن تردى فيها ، فلم ينهض منها أبد الدهر

لم يتركه سماسرة السوء حتى بددوا ثروته شر مبدد ، وحتى ركبه الدين وانتابه الفقر ، فأصبح مفلساً بعد غناه ، وظل كاسف البال بعد أن كان دائم الغبطة لا تفارق شفتيه ابتسامة الرضى

---

(١) من كتاب « قصص مصرية »

وقضى « عمران بك » الشطر الأخير من حياته راتزحا تحت أعباء الفقر والافلاس ، تمضه ذكرياته المؤلمه ، فتفعم قلبه أسى وتملؤه هما وألما .

تزوج عمران بك فى ريعان شبابه من فتاة جميلة الطلعة ، ألاقة العينين ، كريمة الخلق ، طيبة القلب ، فعاش معها على أتم ماتكون عيشة من صفاء ووفاق وائتلاف ، ومرت على هذا الزواج السعيد عشر سنوات ، ولدت له فى خلالها غلاماً وفتاتين رائعتى الجمال

* * *

كان «الشيخ عبد العظيم» يستأجر من « عمران بك » ـ أيام غناه ـ دسكرته الكبيرة التى فى الفيوم ، ويؤجر بعض أجزائها إلى صغار الفلاحين ، وكان أميناً فى معاملته صادقا فى قوله ، كما كان جذاب الحديث لطيف المعاشرة

وكان « عمران بك » يخلد اليه بالثقة ولا يرد له كلمة ، كما كان « الشيخ عبد العظيم » يخلص له الوداد ويحب له الخير ، ولا يألو جهداً فى بذل النصيحة له كلما سنحت فرصة أو عنت مناسبة

وكان « الشيخ عبد العظيم » يزوره فى منزله كلما سافر إلى القاهرة ويقيم فيه أياماً وليالى ، دون أن يشعر صاحب البيت بثقل أو يحس مضايقة ، بل لقد كان — على العكس من ذلك — يبتهج بمقدمه . ويفرح لذلك أشد الفرح ، وكثيراً ماضافه عنده مع أصدقائه الذين قد يفدون معه إلى القاهرة أثناء سفره ، فيظل الجميع فى منزل « عمران بك » مكرمين معززين . ويقيمون فيه مدة طويلة على الرحب والسعة .

وكانت أكثر أحاديثهم لاتعدو ذكر القطن وأسعاره ، والفاكهة وأنواعها المختلفة ، والمحصول وماشاكل ذلك من الأمور التى لايكادون يعنون بسواها .

وفى ذات ليلة دار الحديث بينهم وتشعبت أطرافه ، فخرجوا من حديث

العمل إلى حديث الزواج والمتزوجين ، ثم تطرق وامنه إلى ذكر الجمال والرشاقة والسعادة الزوجية وحظوظ أصدقائهم

-: «لقد زوج الشيخ فلان من فتاة صغيرة السن وهو الآن سعيد بزواجه قرير العين بتوفيقه . »

-: «ولكن فلانا جدير بالرثاء له، فقد تزوج للمرة الرابعة فوجد زوجه أقبح من نسائه الأوليات اللائى طلقهن لدمامتهن . »

-: «أما على بك فقد زوج من أوربية جميلة وقد بنى لها قصرا فخماً فى الجيزة تحيط به حديقة غناء . »

-: «أؤكد لكم أن الذى أحرز النجاح فى هذا المضمار هو « حسن افندي » فقد زوج من فتاة غاية فى الحسن ، وهى - مع ذلك - تملك أكثر من مائتى فدان فى مديرية المنوفية عدا مالها من القصور الفخمة فى العباسية والظاهر »

***

وهكذا ظل كل واحد من الحاضرين يبدي ما عن له غير مدخر وسعا فى إقناع الحاضرين بصحة ما يعتقده حتى قطع عليهم «الشيخ عبد العظيم» هذا الحديث بقوله:

« أين أنتم من « زينب » ابنة الحاج حسنين ، صاحب الأرض المجاورة لدسكرة « عمران بك » فى الفيوم ؟ لقد أدخلها أبوها - رحمة الله عليه - مدرسة أميرية . وعنى بتربيتها أكبر عناية

أما جمالها فحدثوا عنه ولا حرج !

إنها ياسادة قد سحرت كل من رآها وأقر لها بالحسن والتفوق كل من وقعت عليها عينه

وإننى لعلى ثقة أن « عمران بك » لو رآها لفتن بها . وأيقن أنها خير فتيات هذا العصر رقة وظرفا وحسناً وأدباً ! »

وما زال يضرب على هذه النغمة حتى أثار فيه عواطفه الكامنة وحرك أشجانه القديمة .

انتهى المجلس بسلام . وذهب « عمران بك » مدله العقل والقلب إلى مخدعه . وبات ليله مشغول البال يفكر فى « زينب » التى أحبها على السماع. وهام بها من قبل أن يراها « والأذن تعشق قبل العين أحياناً »

ومثل لها صورة فى خاطره منحها كل مايتصوره من معانى الجمال وظل يحلم طول ليله أحلاماً سارة ، حتى إذا انبلج الصباح صمم على تحقيق فكرته الجريئة التى عنت له فى الليلة الماضية .

* * *

فاتح زوجه فى أمر « الآنسة زينب » بعد أن وصف لها موقع بيتها وذكر لها اسم أبيها وأمها . فوجدها لا تعرفهما ولا تعرف أحدا من أسرتها فسألها : «أتستطيعين ان تذهبى لتريها - في هذا اليوم - ثم تعودي إلى فتخبرينى برأيك فيها »

-: «وماذا يهمك من أمر تلك الفتاة ؟ »

-: «يهمني ذلك لأن صديق « الشيخ عبد العظيم » يريد أن يتزوج منها وقد حضر من الفيوم الى القاهرة لهذا السبب ولكنه لم يشأ أن يقدم على تحقيق فكرته إلا بعد أن يتثبت من جمالها »

-: «ولكن الشيخ عبد العظيم متزوج من صديقتى زهرة !»

-: «نعم ؛ ولكنه لا يحبها ؛ وهو يريد الزواج من الآنسة « زينب » ولا يثق بغير ذوقك فى الحكم عليها »

هنا أحست الزوج بزهو وعجب حين سمعت ثناء زوجها على ذوقها ، وثقته ببعد نظرها ، فأكدت له أنها ستذهب الى منزل « الآنسة زينب » فى نفس ذلك اليوم ؛ وأنها ستعود من غير تلكؤ ولا إبطاء ، فتخبره بحكمها النهائى لها أو عليها .

* * *

ذهبت السيدة الى منزل « الآنسة زينب » فرأت من جمالها ما أدهشها وامتلك عليها لبها، وأحسنت الآنسة مقابلتها، وفاضت أحاديث الفكاهة واللهو بينهما وتبودلت بينهما نظرات الوداد و العطف، فأصبحتا كأن كلا منهما تعرف الاخرى منذعشرين سنة.

لبثت معها الى وقت الظهر، وتناولتا معا طعام الغداء، ثم ظلت عندها إلى ما بعد العصر، ومضى الوقت مسرعا حتى لحسبتا النهار قد مر فى لحظة

تأهبت السيدة للخروج بعد أن ألحت عليها الآنسة زينب فى البقاء فأبت شيعتها الآنسة الى الباب، ثم خرجت، بعد أن تعانقتا وضمت كل منهما الأخرى الى صدرها، وقد أكدت السيدة على « الآنسة » أن تزورها فى منزلها فى أول فرصة، فوعدتها بتلبية طلبها.

عادت الزوج مبتهجة فرحة بما عندها من الأنباء السارة التى أعدتها لتدخل على قلب زوجها السرور و الغبطة، ولم يكد يقع نظر زوجها عليها حتى رأى على أسارير ها أمارات الفرح، فابتدر ها بسؤاله

-: كيف رأيتها

- لم أر فى حياتى أجمل منها!

- من تشابه ؟

- لا أستطيع أن أرى لها شبيها فى حسنها واعتدال قامتها واتساق جسمها

- أهى تشبهك

- ومن أكون بالنسبة إليها

- اذن فهى أجمل منك

- إننى - اذا قورنت بها - كنت كالفحم اذا قورن بالماس

- انك تغالين بلا شك

- كلا، بل أقرر لك أننى لا أزال عاجزة عن وصف كل محاسنها مهما أوتيت من بلاغة التعبير!

- إذن فهى تصلح زوجة للشيخ عبد العظيم ؟

- انه لو تزوج منها لأصبح أسعد الناس بها ؛ آه لو رأيت عينيها النجلاوين ووجنتيها الموردتين وابتسامتها الساحرة ! آه لو رأيت فاها الصغير الفاتن وقوامها البديع ، وسمعت حديثها العذب و . . .

- حسبك ! حسبك ! فسأشير عليه بالزواج منها ، بعد أن أعيد عليه كل ما تقولين .

-:نعم ، وكن على يقين أننى لا أصلح أن أكون جارية لها . .

* * *

وثق الزوج من جمال « الآنسة » بعد أن سمع ما سمعه من زوجه ومن الشيخ عبدالعظيم ، فأسرع الى منزلها وخطبها من أهلها ودفع لهم كل ما طلبوه من المهر ، وطلب اليهم أن يحضروها له بعد أسبوع واحد من ذلك اليوم ؛ مؤكدا عليهم انه لا يريد أن تحضر معها أثاثا بل يريدها وحدها

* * *

وبعد أن مضى الأسبوع ، جاءت الآنسة « زينب » تقلها عربة « عمران بك » فلما وصلت الى المنزل رأت السيدة صديقتها الجديدة فحسبتها السيدة زائرة فأسرعت اليها فرحة ناعمة بزيارتها التى كانت تترقبها بفارغ الصبر .

ولكن لشد ما أدهشها أنها رأت الخادم يحمل خلفها جعبة كبيرة تحوى ملابسها ؛ ورأت زوجها يخرج من حجرته الخاصة مرحبا بها قائلا :

« تفضلى يا زوجى العزيزة ؛ هاك منزلك الجديد . كل ما فيه رهن اشارتك وطوع أمرك ، فمرى من تشائين ، فأنت سيدة البيت بلا منازع يا زينب ! . »

انتهى الكتاب

مكتبة الوفد

لصاحبها محمد محمود

بأول شارع الفلكى بجوار مكتب بريد سوق الخضار بباب اللوق بالقاهرة

تجد فى هذه المكتبة أنفس المؤلفات العصرية والقديمة بأثمان معتدلة ، و بها فرع العمل الاختام من النحاس والمطاط وغيرهما وطبع بطاقات الزيارة وقسم للتجليد ، هل اطلعت على قائمتها؟ اطلبها من المكتبة ترسل لك فى الحال مجاناً .

مؤلفات الاستاذ ابى شادى

الشفق الباكى

ديوان حافل واقع فى ١٣٣٦ صفحة جامع لشتى القصائد والمقطوعات العصرية المتنوعة مع دراسات قيمة لطائفة من كبار الكتاب.. وهو مطبوع أفخر طبع ، ومزين بصور بديعة ، ومجلد بالقماش تجليداً نفيساً . ثمن العدد عشرون قرشاً خلاف البريد

أوبرات أبى شادى

ثروة أدبية فنية من الشعر والغناء والتمثيل وهى تشمل إحسان ، والزباء ملكة تدمر ، وأردشير ، و بنت الصحراء وأخناتون ، والآلهة . ثمن العدد من كل أوبرا خمسة قروش خلاف البريد

الطبيب والمعمل

أول مؤلف من نوعه فى اللغة العربية وهو يشمل أهم البحوث المعملية بحيث لا يستغنى عنه الطبيب العصرى ولا الصيدلى وهو الى جانب ذلك ذو فائدة عظيمة لمحبى الاطلاع ورجال الاصلاح الصحى . و يقع فى أكثر من ثمانمائة صفحة جامعة لخبرة المؤلف الاختصاصية فى أعوام عديدة ، ومزدان بثلثمائة وستين شكلا ثمن العدد ١٥ قرشاً مصرياً خلاف البريد

مؤلفات متنوعة

معظمها تصانيف شعرية ما بين تاريخية ومدرسية وقصصية وكلها تمتاز بروحها التجديدية و بحسن تأليفها ، و بما حوته من مباحث ممتعة وتحاليل قيمة ، فهى ذخيرة ثمينة .

وجميع هذه الكتب معروضة فى مكتبة (الوفد) .

﴿ مؤلفات الاستاذ الكبير محمد فريد وجدى بك ﴾

دستور التغذية

يبحث فى فلسفة التغذية وأصول الامراض الناشئة عن الغذاء وفيه تحليل لأنواع البقول والفواكه والخضر وفوائد كل منها ومضارها ، منقولا من أوثق المصادر العلمية وثمنه ٦ قروش

على اطلال المذهب المادى

يرى فيه القارىء كيف انتصر المذهب الروحى على المذهب المادى ويستعرض آراء كبار الفلاسفة المشهورين بأسلوب رائع خلاب يغذى العقل ويبهج النفس. وهو ثلاثة أجزاء ثمنها ٢٥ قرش

مذهب النشوء والارتقاء

للاستاذ العالم النابغة اسماعيل مظهر بك. وهو يشرح مذهب النشوء والارتقاء وأثره فى الانقلاب الفكرى الحديث. أجمل شرح وهو مطبوع على ورق كتان. وثمنه ٥ قروش

الشعر النسائى العصرى

وشهيرات نجومه

اصدرت هذا التأليف القيم « مكتبة الوفد » بالقاهرة لتنتفع به مدارس البنات الابتدائية وضمنته سيرة نخبة من شهيرات شواعورنا مع مختارات من اشعارهن، متحرية أن تجمع مواد هذا الكتاب من أوثق المصادر ، وقد عنيت بطبعه أفخر طبع ولم تفتها العناية بتشكيل النظم تسهيلا لقراءته على الطالبات وثمنه ٣ قروش

ابو حامد الغزالى

وصف دقيق لحياته وآرائه بقلم الاستاذ محمد رضا وثمنه ٣ قروش

مكبث

للشاعر العالمى الشهير « وليم شكسبير » وقد نقلها الى العربية الاستاذ عبد الرحمن زكى وثمنها ٤ قروش

الدروس النحوية

جزءان فيهما مقرر السنتين الثالثة والرابعة من المدارس الابتدائية وقد وضعا على هيئة سؤال وجواب ثمن الجزء ٣ قرش

اسماعيل باشا

ثلاثة اجزاء فى سفر واحد نقلها الى العربية الاستاذ محمد افندى موسى ابراهيم وتقع فى ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير وثمنها مجلدة ١٠ قروش وبدون جلد ٥ قروش

يوليوس قيصر

تأليف الشاعر العالمى العظيم « وليم شكسبير » وقد نقلها الاستاذ محمد السباعى الى العربية واتبعها نبذة طريفة تشرح ابطال الرواية شرحا تحليليا طريفا وثمنها مجلدة ٨ قروش وبدون جلد ٥ قروش

آهة المحزون

تأليف الاستاذ على عقبه و بها اربعون رسالة غرامية شائقة وتقع فى اكثر من ١٦٠ صفحة وثمنها ٣ قروش

لوعة المحبين

بقلم الاستاذ محمد الحسينى شحاته وهى تبحث فى ادوار الحب باسلوب طريف وثمنها قرشان

طبائع الاستبداد

بقلم المصلح الكبير السيد عبد الرحمن الكواكبى وهو كتاب لايستغنى عنه باحث ولا أديب وثمنه ٥ قروش

الأدباء الخمسة

يتناول تاريخ حياة كل منهم ونبذة من مختار قوله ويصف مزاياهم باسلوب طلى جذاب وثمنه ٦ قروش

تحرير المرأة

بقلم المصلح الاجتماعي العظيم قاسم بك أمين الذى أحدث اكبر انقلاب فى التطور الاصلاحى وهو غنى عن الاشادة بوصفه وذكره وقد طبع على ورق مصقول وثمنه ١٠ قروش

نساء الاسلام

بقلم الكاتبة الفاضلة كريمة جودت باشا وهو يبحث فى تاريخ نساء الاسلام وشخصياتهن الممتازة وثمنه ٨ قروش

خزانة الادب

ثمانية أجزاء مطبوعة أفخر طبع وهى بشهرتها غنية عن كل مدح وهى أجدر كتاب بألا تخلو منه مكتبته وثمن كل جزء ١٠ قروش

حديث القمر

بقلم الاستاذ الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى وهو خيال ممتع جميل باسلوب صاف جزل وثمنه ٥ قروش

المرأة والسياسة

مباحث طريفة بقلم الكاتبة الانجليزية المشهورة «مارى كوريللى» والكاتب الباحث الكبير « ابريل بارنس» والروائى المعروف « شارل جارفس » وقد نقلها إلى العربية الاستاذ محمد عبد العزيز الصدر ، وثمنها ٣ قروش

عمرو بن العاص

بقلم الاستاذ اسماعيل عبد المنعم وثمن النسخة المطبوعة على الورق المصقول ٥ قروش والنسخة المطبوعة على ورق خشن ٣ قروش

تباريح الهوى

بقلم الكاتب الروائى الكبير « اسكندر ديماس » وقد نقله إلى العربية الاستاذ احمد جمال الدين وعدد صفحاته ١٨٠ وثمنه ٣ قروش

مصطفي لطفي المنفلوطى

وفيه ملخص حياته واقوال الكتاب والشعراء فيه ومختار شعره وثمنه ٥ قروش

سفينة الكتاب

مجموعة مقالات مختارة فى الأدب والاجتماع وثمنها ٥ قروش

جنة الفردوس

تأليف « أرثر ويجل » وقد ترجمها إلى العربية الاستاذ محمد على ، وعدد صفحاتها ٣١٢ وثمنها ٥ قروش

بدائع الخيال

وهى عشر قصص كتبها الفيلسوف الروسى الأشهر « تولستوى » وقد ترجمها الاستاذ عبد العزيز الخانجى وثمنها ٣ قروش

تاج البلاغة

تأليف الكاتب الفرنسى الذائع الصيت « فيكتور هيجو » وثمنه ٥ قروش

ثورة الدروز

تشرح حوادث سوريا وتحلل اسباب ثورة الدروز وقد الفها كاتب كبير وثمنها ٣ قروش

اللؤلؤ

بقلم صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكرى وثمنه ٤ قروش

البائسة

بقلم « بول ماكيه » وقد نقلها إلى العربية الاستاذان محمود افندى كامل فريد ومحمد البهيدى بك وثمنها قرشان

المسألة المصرية والوفد

يشرح النهضة المصرية بأسلوب طلى وثمنه ١٥ قرش

العمدة والكشافة

بقلم الكشاف كساب وهو مطبوع على ورق جيد وثمنه ٥ قروش

مختارات معربة

وهى مختارات من الأدب الغربى نقلها إلى العربية الاستاذ عزيز عبد الله سلامة وثمنها ٥ قروش

الفوتوست

بقلم « شارلس ديكنز » وقد ترجمها الاستاذ محمد مهنى وثمنها ١٠ قروش

ضحايا الكوكايين

تأليف كاتبة انجليزية شهيرة وقعت فى اسر هذا الداء الوبيل وقد نقلها الى العربية الاستاذان سليم خورى ومحمود صادق سيف وثمنها ٦ قروش

الادبيات العصرية

مجموعة مقالات مختارة من كلام المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى الاديب الكبير وثمنه ٥ قروش

أسرار النصر

تشرح الاسباب التى ادت الى انتصار الحلفاء باسلوب روائى جذاب وقد نقلها الى العربية الاستاذ شفيق محمد بدير

يوميات الفيلسوف القانع

تأليف الكاتب الفرنسى النابغ « اميل سوفستر » وقد نقلها الى العربية الاستاذان « اسعد عبد الملك » و « محمود محمد مصطفى » وثمنه ١٥ قرش

فى سبيل المجد

بقلم الكاتب الفرنسى الذائع الصيت « اسكندر ديماس » وقد ترجمها الاستاذ محمد افندى لبيب وثمنها ٣ قروش

مطبوعات دار العصور

ص	
١٥	تاريخ الفكر العربى
١٥	معضلات المدنية الحديثة
١٥	أصل الأنواع جزء أول عن داروين معلم القرن التاسع عشر
١٥	« « « ثانى ويليهما الجزء الثالث وقد أشرف على الانتهاء ثم الرابع والخامس
٦	الضحية وروايات وأبحاث أخرى عن طاغور
٧	العقائد — بحث فى مقارنة الأديان
٥	نزعة الفكر الاوروبى — عن مرتز
٥	نهضة فرنسا العلمية — عن مرتز
٣	الاشتراكية تعوق ارتقاء النوع الانسانى
١٥	الطبيب والمعمل — لأبى شادى
١٠	محاورات رينان الفلسفية
٧	التصوف الاسلامى العربى — بحث تاريخي

كتب للمؤلف

رسالة الغفران

ثلاثة أجزاء فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير على ورق مصقول مصدرة بثلاث مقدمات للاساتذة الدكتور طه حسين ومحمد فريد وجدى بك وكامل كيلانى وثمنها ١٥ قرشا خلاف البريد

نظرات فى تاريخ الأدب الاندلسى

مجموعة محاضرات ألقاها المؤلف فى الجامعة المصرية وهى مطبوعة على ورق مصقول فى أكثر من ثلاثمائة صفحة وثمنها ١٠ قروش خلاف البريد .

ديوان ابن الرومى

يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وبه فهرسان ، أحدهما لعناوين القصائد والآخر للقوافى مرتبة على الحروف الهجائية ، وثمنه ٢٠ قرشا خلاف البريد .

قصص للأطفال

أسلوب جديد فى التربية وبه أكثر من خمس وثلاثين صورة مشوقة وثمنه ٣ قروش خلاف البريد .

وتطلب جميع هذه المؤلفات من مكتبة الوفد .

DATE DUE

FEB 18 2014

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59573880
ME06295
Mukhtar al-qisas.